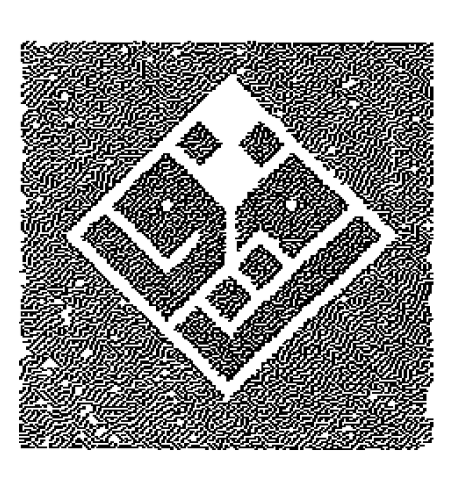
بيتر والكوت

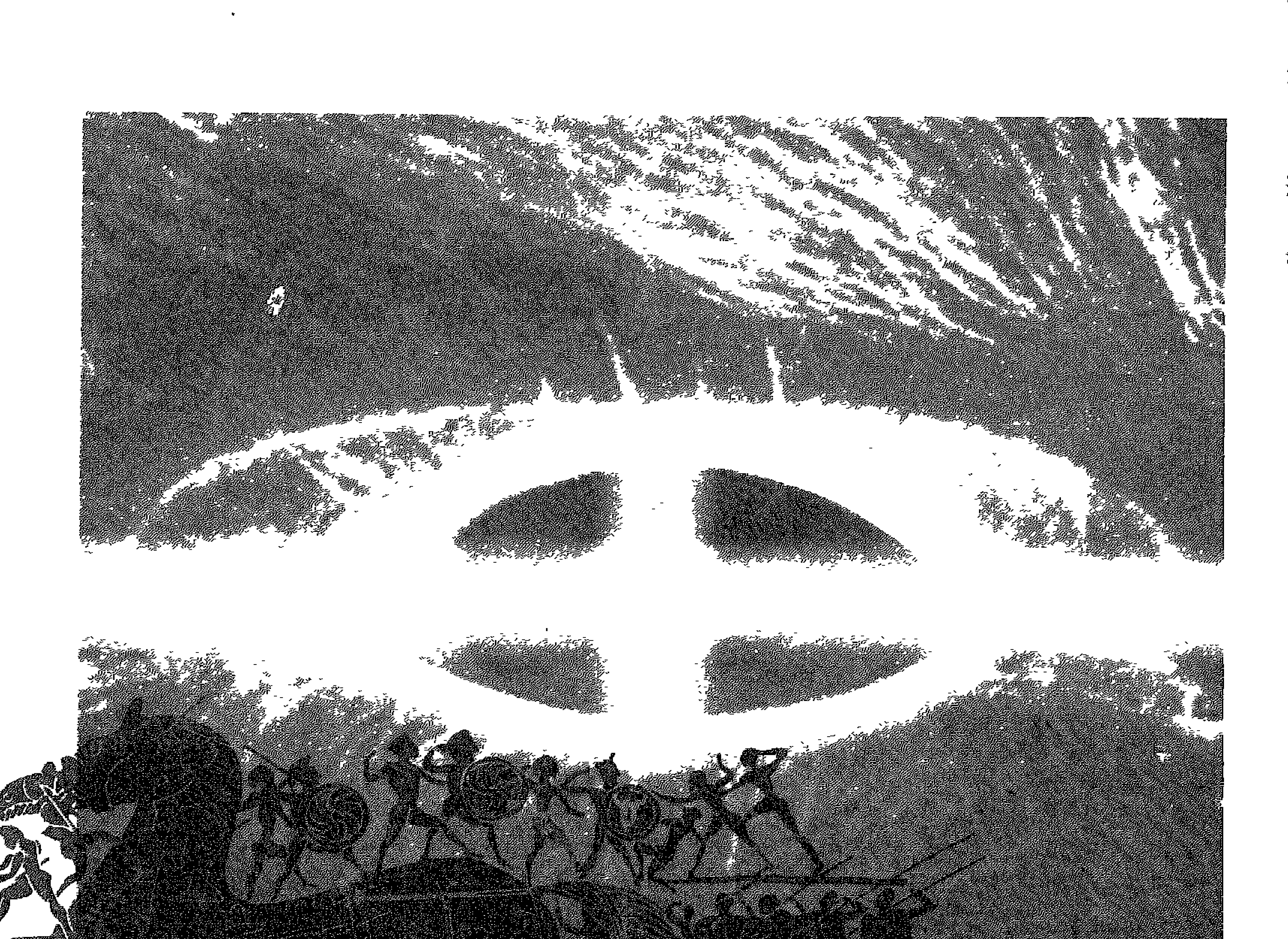
الحسد والإغريق

ترجمة: منيرة كروان





المشروع القومي للترجمة



39

اهداءات ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

بيتر والكوت

الحسد والإغريق

دراسة فى السلوك الإنسانى

تقديم وترجمة وتعليق

دكتورة منيرة كروان

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الأولى



١٩٩٨

مقدمة المترجمة

ربما كانت عاطفة الغيرة والحسد التى تتحكم فى سلوك بنى الإنسان أجمعين من أهم العواطف التى تؤثر على الإنسان ؛ سواء بالمعنى الاجتماعى أو على المستوى الفردى . وبينما تكتسى كلمة «الغيرة» بعض المعانى الحميدة أحيانًا ؛ فإن كلمة «الحسد» توحى دائمًا بمعان كريهة تحمل فى طياتها الضرر والشر والإيذاء . وعلى مستوى دلالات اللغة ومفرداتها لانجد فى الحسد سوى مشاعر الحقد ، والرغبة فى الاستيلاء على ما يمتلكه الغير، أو حرمانه منه وتدميره على أقل تقدير . أما على مستوى الموروث الثقافى ؛ فإن أمم الأرض جميعا جعلت الحسد مرادفًا للشر الاجتماعى؛ فهو يولد العداوة والبغضاء ويسبب الألم والضرر للأفراد ، كما أنه يشعل حرائق الحروب والغزوات ويتسبب فى إراقة الدماء والتخريب على مستوى الأمم والشعوب والقبائل .

وفى تراث الأمم جميعا ترتبط بالحسد ممارسات ثقافية / إجتماعية ، كما يؤثر الحسد فى السلوك الاجتماعى الكلى والفردى؛ بل إن بعض الثقافات أسبغت على هذه العاطفة السلبية بعداً دينيا باعتبارها من الممارسات الشريرة التى ينهى عنها الدين والأخلاق وباعتباره من الممارسات الضارة للأفراد والجماعات على السواء . ففى تراث الكنيسة الكاثوليكية، نجد آباء الكنيسة ، وعلى رأسهم أوغسطين المعلم الأول للمسيحية الغربية يدين الحسد ويهاجمه ويحذر منه ، كما نجد كلامًا مماثلاً فى تراث فلاسفة المسيحية، الكاثوليكية جميعًا . هكذا ، اكتسب الحسد بُعداً دينيًا فى الثقافة الغربية إلى جانب الأبعاد الفلسفية والثقافية والاجتماعية التى كانت قد اكتسبها فى التراث الكلاسيكى .

حدث الشئ نفسه فى التراث العربى الإسلامى ؛ ففى تراث شعوب المنطقة العربية والعالم الإسلامى قبل الإسلام كان الحسد يحتل مكانته فى الموروث الثقافى والإجتماعى لهذه الشعوب . ثم جاء ذكر الحسد فى القرآن الكريم باعتباره شراً من الشرور التى يجب على المسلمين أن يستعيذوا بالله من ضررها ؛ ومن ثم اتخذت عاطفة الحسد السلبية ذلك البعد الدينى الذى عرفته المسيحية من قبل. وإذ امتزج الموروث الثقافى بالمعطيات الدينية وجدنا الحسد يترك بصماته على كثير من الممارسات الاجتماعية والعادات والتقاليد ، كما رأيناه يحكم تصرفات الأفراد فى كثير من الأحيان. وظهرت أشكال الأحجبة والرقايا وأشكال العين

وآيات القرآن الكريم باعتبارها أدوات مادية لاتقاء شر الحسد من ناحية ، كما تجلى فى سلوك المجتمع والأفراد نمط من أنماط ما يمكن تسميته «ثقافة الحسد» من ناحية أخرى . كما أن أدبيات المجتمع وحكاياته وفكاهاته لم تخل من الإشارة إلى الحسد بشكل أو بآخر .

وبطبيعة الحال، لم تكن الحضارة الأوربية الكاثوليكية ، أو الحضارة العربية الإسلامية، شذوذاً فى موقف كل منهما من الحسد . فالحسد عاطفة سلبية يشترك فيها البشر جميعًا ويخشون ضررها ويحاولون اتقاء شرورها جميعا .

ومن هنا تأتى أهمية الكتاب الذى نقدم ترجمته العربية فى هذه الصفحات . فالموضوع الذى يتناوله الكتاب موضوع «إنسانى» عام؛ بمعنى أنه يهم جميع البشر ويشغل حيزا هامًا من تفكيرهم ، كما يؤثر بوضوح على السلوك الإجتماعى ، ويشكل اتجاهات الثقافة فى شتى المجتمعات . ومن ناحية أخرى، نجد أن الكتاب يجذب القارئ المثقف العادى مثلما يسترعى انتباه القارئ المتخصص فى الدراسات الكلاسيكية ، أو فى الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية أو دراسات علم النفس .

وقد نجح المؤلف «بيتر والكوت» أن يأخذ القارئ معه فى سياحة تاريخية مشوقة لمعرفة علاقة الحسد بالحضارة الإغريقية ، وكيف أن الاعتقاد فى الحسد كان ممارسة إغريقية تركت آثارها على فكر الإغريق وتصرفاتهم . ولأن الحضارة الإغريقية القديمة أسهمت فى بنية الحضارة الأوربية فى شتى مراحلها التاريخية، فالموضوع الذى يتناوله الكتاب متصل بالماضى والحاضر فى آن معًا .

وقد اعتمد بيتر والكوت على الدليل الأدبى فى دراسة موضوع الكتاب ، واتخذ لنفسه منهجًا زمنيًا يقوم على أساس تتابع العصور . فقد بدأ بحثه من عصر الملاحم الهرمرية واعتمد على ما ورد بالإلياذة والأوديسيا المنسوبتين إلى هوميروس، ثم حاول أن يستخرج من الملحمتين الشهيرتين «الأعمال والأيام» و «أنساب الآلهة» اللتين كتبهما الشاعر التعليمى هسيود مادته لتلك الفترة القديمة من تاريخ الإغريق . ومن خلال أعمال الشعراء الإغريق القدامى من أمثال بندار وأيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس أخذ يفتش عن تطور الاعتقاد الإغريقى فى الحسد، باحثًا فى ثنايا سطور الدراما الإغريقية (كوميدية وتراجيدية) عن ملامح الفكرة الإغريقية عن الحسد كما تعكسها مسرحيات أولئك الكتاب .

ولم يقتصر جهد بيتر والكوت على الأدب بمعناه الضيق ، وإنما أخذ يبحث فى كتابات المؤرخين الإغريق عن الخطوط العريضة والتفصيلية لدور الحسد فى التاريخ الإغريقى ؛ متتبعًا

ما كتبه هيرودوت وثوكيديدس وبلوتارخوس . كما قام بتحليل أعمال الخطباء من أمثال ديموستينيس ولسياتس ، والفلاسفة من أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو .

فى إطار هذا المنهج الزمنى التتابعى (الكرونولوجى) يواصل المؤلف رحلته وراء مفهوم الحسد حتى يصل إلى ما بعد انتصار المسيحية، فيناقش موقف المسيحية من الحسد كما جاء فى الإنجيل أو الرسائل التى وجهها الرُسُل إلى بعض الشعوب ، أو حسبما ورد فى الأعمال الأدبية أو السير الذاتية لآباء الكنيسة .

وعلى مستوى الموضوع ينتقل الكاتب بحرية واقتدار من الأدب إلى التاريخ ، ومن حلبة الصراع السياسى إلى ساحة الآراء الفلسفية ، ومن العقائد الشعبية إلى الإيمان المسيحى وتعاليم المسيحية وآباء الكنيسة وفلاسفتها ، ومن سجلات القانون وساحات القضاء إلى ما أبدعته قرائح الشعراء الإغريق . ومن كلمات عامة الناس ومشاعرهم تجاه الحسد والحاسدين إلى مشاعر الحسد والغيرة التى كانت الآلهة تحس بها تجاه الأغنياء والقادرين من بنى الإنسان؛ سواء كانوا من الملوك الشرقيين أو الطغاة الإغريق .

ولغة الكتاب الأصلية سلسلة واضحة تنم عن فكر صاف وعقل مرتب ينعكس بوضوح على طريقة عرض المؤلف لأفكاره ، والتسلسل المنطقى الذى يميزها . وقد قسم المؤلف كتابه إلى عدة فصول تسبقها مقدمة تمهيدية وتتبعها خاتمة .

هذا عن الكتاب وموضوعه ومؤلفه ، أما الترجمة العربية فقد راعيت فيها الجمع بين دقة نقلْ المعانى والكلمات من النص الإنجليزى إلى اللغة العربية من ناحية ، والحرص على سلامة الأسلوب واللغة العربية بقدر ما تسمح طبيعة الموضوع ، وخصائص اللغة العربية من ناحية أخرى . وعلى الرغم من الصعوبات المعتادة فى عملية الترجمة فإن المتعة التى يوفرها الموضوع جعلت تلك الصعوبات أمراً مقبولاً إلى حد كبير. كذلك فإن موضوع الكتاب يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدراسات الإغريقية التى أنفقت فيها الشطر الأكبر من عمرى ، وهو ما جعل الترجمة قائمة على أساس من المعرفة الوثيقة بالإطار التاريخى والأدبى الذى يدور فيه كتاب من هذا النوع . وقد أدى هذا بالضرورة إلى التدخل بالشروح والتفسيرات اللازمة لبعض الأسماء والمصطلحات والأحداث التى قد تشكل نقطة غموض وحيرة للقارئ العربى من غير المتخصصين مع الإشارة إلى المصادر والمراجع التى يمكن أن تكون ذات فائدة بالنسبة للقراء المتخصصين .

وفى تصورى أن المشروعية العلمية لهذه الترجمة تقوم على أساس أن موضوع الكتاب موضوع إنسانى عام ؛ بغض النظر عن ظروف الزمان والمكان . فالحسد محل اهتمام الجماعات الإنسانية قديمًا وحديثًا . والكتاب يمثل نموذجًا طيبًا لدراسة الحسد فى إطار ثقافة بعينها ، أو داخل نطاق حضارة ما . وعلى الرغم من أن هذه الدراسة التى نقدمها لقراء العربية تدور فى رحاب الحضارة الإغريقية ، فإن سماتها الإنسانية العامة ترشحها لأن تكون دليلاً لفهم الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية والأنثروبولوجية لدى أى شعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم.

ويبقى أن نشير أخيراً ، إلى أن هناك دراسات أخرى عن الحسد فى التراث الغربى الأوربى والأمريكى ورد ذكر بعضها فى النص الإنجليزى لهذا الكتاب وأثبتناها فى الترجمة العربية . بيد أن ما نخشاه هو أن مثل هذه الدراسة العلمية الجادة للحسد وتأثيراته على شتى الجوانب فى حياة المجتمع المصرى أو غيره من المجتمعات العربية والإسلامية ما تزال تنتظر من يقوم بها . فما كتب فى موضوع الحسد، فى المكتبة العربية ، غارق كله أو جُلّهُ فى النزعة الأخلاقية من ناحية أو مشدود إلى مهاوى الخرافة والخزعبلات من ناحية أخرى .

ونحن إذ نقدم هذه الترجمة إلى القارئ العربى نرجو أن تكون إضافة لها أهميتها للمكتبة العربية ونتطلع إلى التسامح إزاء بعض الأخطاء التى قد نكون قد غفلنا عنها . والله ولى التوفيق

دكتورة منيرة عبد المنعم كروان

الهرم ٢٤ ديسمبر ١٩٩٧م

هذه ترجمة كاملة لكتاب

Peter Walcot , Envy and the Greeks - A Study
of Human Behavior
Aris and Phillips Ltd ., Warminister - England 1978

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تمهيـــد

يتناول هذا الكتاب مشاعر الغيرة والحسد والطرق التى أثرت بها هذه المشاعر على فكر القدماء وأعمالهم منذ عصر هوميروس[1] وحتى انتصار المسيحية . ولكن لماذا اضطر إلى استخدام كلمتى «الغيرة» و «الحسد» بدلاً من استخدام كلمة واحدة ؟ يجد علماء الاجتماع وغير المتخصصين أن هناك صعوبة ، بل استحالة فى كثير من الأحيان، فى التفرقة بين الشعور الذى نطلق عليه اسم «الغيرة» والشعور الذى نسميه «الحسد» . صحيح أننا نميل إلى التفكير فى الحسد باعتباره شعوراً أقوى وأشد ضرراً ومن ثم فإننا نقول أن أبناءنا يشعرون بالغيرة فيما بينهم ولانقول أنهم يحسدون أحدهم الآخر .

لقد ارتبط الحسد بوجود ما هو أكثر من شبهة ضغينة طفيفة ، وهو شعور سيئ ، أما «الغيرة» فقد تكون حميدة، مثلما نقول عن شخص أنه «غيور على شرفه» . والحقيقة أننا إذا أردنا أن نفرق بين الغيرة والحسد فسيكون ذلك عبر هذه السطور على نحو ما فعل جورج كراب George Crab مثلاً فى القرن التاسع عشر فى كتابه «مترادفات إنجليزية» (English Synonymes) بقوله : إننا نشعر بالغيرة على ما يخصنا ، ولكننا نحسد ما يملكه الآخرون ، وذلك أن الشخص الغيور يخشى أن يفقد ما يملكه ، ولكن الشخص الحسود يتألم لرؤية الآخر يملك ما يريده هو لنفسه إن الحكام يغارون على سلطتهم والرعايا يشعرون بالغيرة على حقوقهم، ورجال البلاط يحسدون من ينالون مكانة أسمى منهم ، والنساء بصفة خاصة يحسدن من تتمتع بقدر أكبر من الجمال . ولكن هذا التعريف تفوح منه رائحة عصر قديم لايتناسب مع اللغة اليومية التى نعرفها الآن . ورغم وجود الرأى الذى يقول أن الحسد عاطفة يجب إدانتها وأنه بالتأكيد ، أقوى العاطفتين، فمازال الحسد والغيرة بحاجة إلى تعريف : إن وجود تعبيرات مثل «إننى لا أحسده على محاولته » أو «إننى لا أبالى بما يريده ... » توضح نوعا من الاستخدام يتعلق بفعل مماثل لايدل على شعور قوى وعلى أن اختيارنا للغة اختيار

أسلوبى أكثر منه اختيار معنوى. ولقد استخدم الإغريق أيضا كلمتين منفصلتين فى تنويعة من الأشكال المرتبطة ببعضها، الأولى كلمة " Zelos " التى جرى العرف على ترجمتها بكلمة «الغيرة» ، أما الكلمة الثانية فهى " Phthonos " وتعنى الحسد . وتدل الكلمتان بقدر كبير على نفس معانى نظيرتيهما فى اللغة الإنجليزية وتستخدمان كذلك بنفس الأسلوب الفضفاض. ويمكن ، على سبيل المثال، أن تكون هاتان الكلمتان مترادفتين : ولقد بقى لنا من أوائل القرن الرابع حديث جنائزى للخطيب لسياس (Lysias) الذى يتحدث بطريقة بلاغية تقليدية ، ويقول أن الحرب قد نشأت بين الإغريق بسبب الغيرة (Zelos) مما حدث والحسد (Phthonos) على ما تم فعله . ورغم ذلك ، فإننا قد نرى ، فى موضع آخر من نفس الحديث، الكلمتين وقد استخدمتا بمعنى متباين ، فتجئ كلمة (Zelos) بمعنى جيد بينما تحمل كلمة (Phthonos) معنى سيئا : وهكذا شعر العدو الإسبرطى بالحسد (Phthonos) بسبب ازدهار الحلفاء الكورنثيين ، ولكنه يستخدم كلمة (Zelos) عندما يشير للأثينيين الذين يتم الاحتفال بذكرى موتهم المجيد فى المعركة ، ويقول بأنهم محسودون (Zelotoi) فى حياتهم وموتهم . كما يقول أن أولئك الذين أعادوا النظام الديموقراطى لأثينا موضع حسد البشر جميعا (Zelotai) وأن التقدير الذى حصلوا عليه موضع حسد البشر (Zelotai) . ورغم ذلك ، فإن المعنى الدقيق الذى تنقله الكلمات يختلف عندما يشير لسياس إلى الملك الفارسى ، الذى يُقال أنه، فى ذلك الموقف السياس المتأزم بالنسبة للإغريق ، كان محظوظا «وانبعثت من داخل نفسه الغيرة من خطة أسلافه» ومن الواضح أن لسياس كان يضع فى ذهنه الغزو الفارسى لبلاد الإغريق والذى حدث منذ قرن مضى وهو يتحدث عن التورط الجديد فى أمور الإغريق . وفى هذه الفقرة فإن كلمة (Zelos) تعنى «الرغبة فى تقليد» أو (الرغبة فى منافسة) ، وهو نفس المعنى الذى نجده فى الأسماء الإغريقية المركبة من هذه الكلمة (فعلى سبيل المثال يعنى الاسم (Polyzelos) الذى يلقى كثيرا من الإعجاب وبذلك يعنى ضمنيا «الشخص الذى يحاول كثيرون تقليده»، أو (الشخص الذى يحاول كثيرون منافسته) .

ويتضح الفرق الجوهرى بين كلمتى Zelos و Phthonos بشكل أكثر وضوحًا عندما تأتيان متقاربتين ، وهو ما نجده فى خطاب يُنسب لديموسثنيس Demosthenes فى نهاية القرن الرابع ق . م ، يقول ديموسثنيس فى الجزء المقتبس أنه يتردد فى ذكر تفاصيل خدماته للدولة لأنه يخشى من الحسد (Phthonos) ، ثم يضيف أن خدماته تلك كانت عظيمة لدرجة تجعل

أثينا محسودة (Zelousthai) من الجميع . وهناك خطيب ثالث يفيدنا بنفس القدر، ، وهو أيسوكراتيس Isocrates الذى يتوجه بأحد أحاديثه إلى الملك المقدونى فيليب ، الذى يأمل أيسوكراتيس فى أنه سوف يحل المشكلات التى تحاصر الدويلات الإغريقية فى القرن الرابع : إن الوقت مناسب تماما ، حسب قول أيسوكراتيس ، كى يوحد فيليب الإغريق ويقودهم ضد عدوهم المشترك ، أى الفرس . فإذا ما نجح فى ذلك فسوف ينال المكانة الأسمى بين الإغريق ، وحتى إذا فشل فى تحقيق ما يتوقعه ، فسوف يكسب رضا الإغريق ، وهو أمر أكثر نبلاً من الاستيلاء على مدن إغريقية عديدة عن طريق القوة : فهذا يولد الحسد (Phthonos) ، وإن ما يرتبط بكلمة الحسد هنا ، وأعنى به بالتحديد العداوة والكثير من القتل ، يؤكد المعنى الشائع للكلمة . وإذا ما اتبع فيليب نصيحة أيسوكراتيس فسوف لايجلب على نفسه الحسد (Phthonos) ولكنه سوف يحظى بإعجاب الآخرين (Zelotos) . ويعد ذلك بقليل عندما يتحدث أيسوكراتيس ، عن أن فيليب قد قُبح من قبل رجال يحسدون الملك، فليس من المستغرب أن يستخدم الفعل (Phthonein) . ورغم ذلك فإن كلمة (Phthonos) ليست سيئة المعنى تماما، وهو ما سيتضح من حديث آخر لأيسوكراتيس . ففى ذلك الحديث تسنح الفرصة لأيسوكراتيس ويذكر أجاممنون ، القائد الأسطورى الإغريقى الذى ذهب إلى طراودة لاستعادة هيلين ، وكانت هذه القوة تمثل بلاد الإغريق مجتمعة وتضم بين أعضائها أحفاد الآلهة بل وأولاد الآلهة أيضا ، رجال لايشبهون الأغلبية ولكنهم مملؤون بالحماسة وبالروح العالية وبحب الشرف والغيرة عليه . والكلمة التى أترجمها بكلمة الغيرة هنا هى (Phthonos) . وقد يكون تفضيل كلمة (Phthonos) فى هذا السياق أمراً غريبًا ، ولكن يبدو أن أيسوكراتيس فى حديثه عن ذوى الصلات الإلهية كان متأثراً بالتراث القديم الذى يسلم بفكرة حسد الآلهة (Phthonos Theon) ذلك النوع من الحسد الذى تشعر به الآلهة تجاه بعض البشر الذين يصبحون أقوياء للغاية لدرجة أنهم قد ينافسون الآلهة . وكما تستخدم كلمة « أحسد » فى الإنجليزية فى حين أنها ببساطة لاتعنى سوى « لا أبالى » أو « لا أهتم » فقد استخدم الإغريق الفعل (Phthonein) بنفس الطريقة . ففى مسرحية «ميديا » Medea ليوربيديس تحاول المربية معرفة بعض المعلومات من ميديا فتقول لها : «لاتحسدينى على الإجابة، فى حين أن المعنى هو « أننى لا أبالى بالإجابة» وبنفس هذه الصياغة يستحث سقراط محدثه للإجابة عن سؤاله . وفى خطاب آخر أشتهر بأن من كتبه هو ديموستنيس ، نجد تعبير «إننى لا أحسد»

يعنى «أننى لا أهتم» . وسوف نوضح بالتفصيل معنى كلمتى Phthonos و Zelos والفرق بينهما واشتقاقاتهما سواء من الأفعال أو الصفات وذلك عندما نتتبع تأثير الغيرة والحسد بداية من الشاعر هسيود وما يقدمه لنا من دليل .

عزيزى القارئ ، إذا ما التزمت الصبر فسوف تجد فى الفصول التالية أى عدد تريده من الأمثلة على الغيرة والحسد . ورغم ذلك ، فقد يكون من المفيد فى هذه المرحلة من البحث أن نذكر أن هناك ثلاثة أنواع من الغيرة . هذه الأنواع الثلاثة قد نُطلق عليها «الغيرة المهنية» ، و«الغيرة العائلية» و «الغيرة الجنسية» . بعد هذه الملاحظات التمهيدية سوف نتأمل الدليل الأدبى فى الأساس ، ولهذا السبب سوف أبحث عن الدليل من مصادر مختلفة عديدة ، ومن المادة التى توضح ذلك فى التراث الشعبى الإغريقى . والشخصية المميزة فى كل التراث الشعبى هى شخصية السيد صاحب الصنعة ، وهو النموذج الذى يقدمه دايدالوس[٢] ، الذى كان انجازه البارز كما ، كان معتقداً ، هو بناء قصر التيه للملك مينوس فى مدينة كنوسوس .

ويسجل التراث إن دايدالوس وُلد فى أثينا ولكنه أجبر على أن يترك المدينة بعد أن قتل ابن أخيه المسمى تالوس Talos أو بيردكس Perdix . وهذه القصة شائعة بقدر كبير فى العصور القديمة، أما القصة التى حفظها لنا أبوللودورس فى «المكتبة» فهى تقليدية بشكل كبير[٣]. ومن الواضح أن تالوس كان صبيا يتمرن على يد دايدالوس ولكن سيده خشى أن يفوقه فى المهارة . وطبقا للشاعر الرومانى اوفيد Ovid[٤] كان تالوس صبيا ذكيا فى الثانية عشرة من العمر، وقد أثار غيرة دايدالوس عندما اخترع المنشار والبوصلة [٥]. وبالنسبة لنا فإن التفاصيل أقل أهمية من الحقيقة الفاسية التى تقول أن دايدالوس ، بعد أن أكلت «الغيرة المهنية» قلبه واستولت عليه الكراهية العميقة تجاه أحد زملاء المهنة الذى تفوق عليه ، استدرج تالوس إلى سطح أحد المبانى ودفعه من الحافة وهكذا تخلص من شخص كان من المحتمل أن يصبح منافسا له. وتطلق بعض المصادر الأخرى على تالوس اسما آخر هو برديكس (Perdix) (وتعنى طائر الحجل) . وهناك شخصية فلكلورية أخرى تحمل اسم طائر أيضا ، تلك هى شخصية ايدون Aedon (الكراون) ونعرف أن ايدون كانت شقيقة نيوبى Niobe وكان لايدون ابنا وحيدا ، بينما كانت نيوبى تفاخر بان لها ستة أبناء أو أكثر وست بنات أو أكثر . ولقد دفع الشعور بالغيرة، أى الغيرة العائلية ، ايدون أن تحاول قتل احد أبناء اختها ، ولكنها قتلت أبنها ايتيليوس Itylus عن طريق الخطأ [٦]. وانطونيوس ليبراليس Antonus Liberalis هو

واحد من أقل كتاب الأساطير المقرؤين ، ولكنه يحفظ لنا رواية ساحرة لقصة ايدون . وروايته شديدة الطول ولكننى سأحاول أن أقدم ملخصا مختصرا يهدف إلى توضيح نتائج الحسد. تقول تلك الرواية أن ايدون تزوجت من رجل يحمل اسم بوليتخنوس Polutechnos وهو اسم يعنى ذو المهارات المتعددة ، ورزقا بابن وحيد هو ايتوس .

ولقد آثار الزوجان غضب هيرا(٧) عندما ادعيا بأنهما متحابان أكثر من زيوس وهيرا ، وغضب هيرا هذا يوحى بالغيرة الجنسية . شجعت هيرا ظهور التنافر بين الزوجين البشريين ، فأنغمسا فى منافسة كانت الأولى فى سلسلة من المنافسات والمنازعات التى شاعت بينهما . وبتعبير آخر شجعت هيرا وجود نوع من التنافس المهنى بينهما. وفازت ايدون فى المنافسة ، وغضب بوليتخنوس غضبا شديدا فاغتصب شقيقه ايدون (٨). هذه هى فقط المراحل الأولى لقصة شديدة التعقيد ، ولكننا نجد هنا مثالا على الغيرة المهنية والغيرة الجنسية. والغيرة الجنسية لها اشكال عديدة : فقد يتعارك الرجال من أجل النساء ، وقد تتعارك النساء من أجل الرجال، وقد يتعارك رجل وامرأة على رجل أو امرأة . ورغم كل ذلك ، يقال إن الحب يجعل العالم يدور وهو ينفث الغيرة والحسد. إن شهرة اخيليوس تحجب الأنظار عن قضية أبوه بيليوس Peleus الذى تتردد قصة زواجه من الربه ثيتس Thetis كثيرا فى التراث الشعبى. ورواية ابوللودورس لقصة حياة بيليوس من الروايات التى تزودنا بمعلومات مهمة للغاية . كان اياكوس Aeacus هو والد بيليوس ، وكان له العديد من الأبناء الآخرين ، وكان فوكس Phocus الذى تفوق كرياضى من بين أبنائه المفضلين (٩)، فتآمر بيليوس وشقيقه الثالث تيلامون Telamon ضد فوكس ، وبالفعل يقتل تيلامون فوكس أثناء إحدى المباريات الرياضية مستخدمًا الجله (قرص الرماية) ويشترك الشقيقان فى اخفاء جثة شقيقيهما . لقد تسببت الغيرة العمياء فى قتل فوكس ونفى شقيقاه . وأثناء مغامرات بيليوس المتأخرة حدث أنه كان يشترك فى إحدى المسابقات فوقعت استيداميا Astydamia فى حبه، وكانت زوجة للملك الاقليم ، وقامت ببعض المحاولات معه لكنه صدها بقوة (١٠). ولكى تنتقم لنفسها ، قامت استيداميا بإرسال رسالة كاذبة لزوجة بيليوس فتسببت فى انتحارها ، كما اتهمت بيليوس بمحاولة اغتصابها وذلك فى اتهام قدمته لزوجها الملك. إن جهنم خالية من الغضب . لقد ردت استيداميا بالتأكيد بوحشية وانتقمت انتقاما كاملاً عندما أحبطت مساعيها. ولاتوجد أمثلة كثيرة أفضل من ذلك على الإحباط الجنسى والغيرة. وتشبه بقية قصة بيليوس

القصص الخرافية ، وهى كذلك بالفعل . فإن الملك لم يقتل بيليوس وإنما تركه نائما بعد رحلة صيد، واخفى سيفه داخل روث البهائم ، ولكن القنطورى Centaurs[١١] انقذوا البطل بيليوس واستعادوا سيفه ، وبناءً عليه تزوج بيليوس الربه ثيتيس التى لم تكن هى نفسها بعيدة عن الغيرة الجنسية : ففى إحدى الفترات تنافس زيوس وبوسيدون عليها ، وذلك طبقا للقصة التراثية التى اوردها أبوللودوروس [١٢]. ولم تكن ثيتيس راغبة فى الارتباط بزيوس لأن هيرا هى التى قامت بتربيتها . وفى ثورة غضبه ، فضل زيوس أن تتزوج من بشر فان . وبالطبع فقد حدث النزاع بين هيرا وأثينا وأفروديتا حول من منهن الأجمل أثناء حفل زواج بيليوس وثيتيس . وهنا يجب أن نسوق ملاحظة كراب Crabb التى يقول فيها «إن النساء يشعرن بالغيرة ممن يفوقهن فى الجمال » ، وقد أدى النزاع إلى تحكيم باريس واختطاف هيلين وبالتالى إلى الحرب الطروادية وموت اخيليوس ، ابن بيليوس وثيتيس ، ولكن هذه قصة أخرى.

تكتسب إحدى التفصيلات أهمية خاصة ، فإن ابوللودورس يذكر كيف يذهب اخيليوس إلى طراوده وبصحبته فوينكس[١٣] الذى أصيب بالعمى فترة مؤقتة على يد والده بسبب اتهام كاذب اتهمته به محظية والده[١٤]. ويمكن جمع بعض التفاصيل الأخرى من الياذة هوميروس ، والتى تكشف كيف يمكن أن يتنافس رجلان، شاب وكهل ، حتى لو كانا أب وابنه، على حب نفس المرأة . ولايورد هوميروس فقط مثال على هذا التنافس ، ولكنه يورد صراعا كان من نتيجته غيرة الزوجة . يحكى فوينكس القصة بنفسه ويذكر كيف هرب من البيت ومن غضب والده امينتور Amyntor ، وأن سبب غضب والده كان إحدى المحظيات[١٥]. إن حب امينتور لامرأة أخرى كان سببا فى تلويث سمعة زوجته ، أم فونيكس. خضع فونيكس لتوسلات أمه المستمرة بأن يأخذ محظية أبيه حتى تكره الرجل العجوز »[١٦]. وقد فعل الابن ما طُلب منه على أكمل وجه، ولكن الأب شك فى ابنه فاستمطر اللعنات على رأسه . ويفيدنا هذا الاستطراد البسيط من هوميروس كما يفيدنا أيضا نص آخر يختلف عنه . ففى موضع آخر فى الإلياذة يتتبع الشاعر جلاولوس ابن هيبو لوخوس الحليف الاسبرطى [١٧]. كان البطل بلليروفون Bellerophon هو جد جلاوكوس ، وقصة بلليردفون هذا هى موضوع استطراد هوميروس ، ومن خلال هذه القصة نجد أنفسنا مرة أخرى فى مجال التراث الشعبى. لقد طرد بروبتوس Proitos بلليروفون من أرجوس ، فذهب إلى ليكيا فى آسيا الصغرى . ولكن لماذا نُفى بلليرفون ؟ لقد كانت أنتيا Antiea، زوجة بروتيوس ، تشتهى بلليروفون ، ولكنه كان

محصنا ضد محاولاتها للتقرب منه، فردت على ذلك ، مثل استيداميا فى قصة بيليوس ، بان ادعت كذبا ان بلليروفون كان يرغب فى ممارسة الحب معها ضد إرادتها (١٨)، وبدلا من أن يحكم بروتيوس بالموت على بلليروفون ، أرسله إلى والد انتيا فى ليكيا ومعه رسالة سرية بأن عليه أن يقتله . وبنفس الأسلوب الملتوى ، كلف ملك ليكيا بلليروفون بثلاث مهام تبدو مستحيلة ، ولكنه إتمها جميعا ، وهنا حاول برتيوس عمل كمين له ولكنه لم ينجح أيضا . وأخيراً تأكد أن بلليروفون من أصل إلهى ، ومن ثم منحه جائزة عبارة عن أميرة، مناسبة له ونصف المميزات الملكية .

ولن يكون من الصعب اقتباس العديد من الأمثلة من المصادر الإغريقية عن موتيفه «زوجة بوتيفار» أى الزوجة غير الوفية التى تثأر لنفسها بان تدعى بأنها قد تعرضت للاغتصاب وذلك عندما تفشل محاولاتها وتقابل بالاحتقار ، وقد تشمل هذه الأمثلة الإضافية نماذج من زوجة الأب الشريرة مثل فيلونوم Philonome وفيدرا Phaedra . ولكنى أود أن اختم ملاحظاتى التمهيدية بنقطة عامة. أن الغيرة المشتعلة بسبب المنافسة المهنية أو العائلية أو الجنسية ما زالت متفشية ، رغم أننا قد نكره الاعتراف بوجودها وبقوتها . وطالما يستمر معظم البشر فى الزواج وانجاب أطفال فسوف نستمر فى التعرف بشكل شخصى على الغيرة العائلية. إننى راغب عن تمثيل دور العالم النفسى قليل الخبرة ، بالرغم من أننا فى الختام قد نلاحظ أن ميلانى كلين Melanie Klein ، على سبيل المثال ، قد اعتبرت «الحسد تعبيراً ساديا شفويا ووجدانيا عن عن دوافع مدمرة ، وأنه يظهر ويكون فعالا من بداية الحياة، ، وأن أساسه مرتبط بالتكوين .(١٩) وإننى لأؤكد للساده القراء أنه ليست لدى رغبة فى أن أسير فى نفس الطريق الذى فتحته ملاحظة ميلانى كلين الأولى، بالرغم من أننى قد أؤكد الرأى القائل «بأن الحسد له أساس يتعلق بالتكوين إننا نتشوق جميعا لأن نكون آباء صالحين وأن نبذل أقصى ما فى استطاعتنا كى لايشعر أحد أبناؤنا أنه (أو أنها) يُعامل بطريقة أسوأ مما نعامل بها ابن آخر ، ولكن أبناؤنا يظلون فى نزاع مستمر مع بعضهم البعض . وقد يكون أمراً يحمل لنا بعض العزاء أن يخبرنا أحد علماء نفس الطفل البارزين أننا نتعارك مع الطبيعة البشرية ذاتها. ولكنى أختم بكلام ميلانى كلين، لأننا سرعان ما نعرف أن الإغريق كانوا صادقين لدرجة أنهم تقبلوا هذه الحقيقة وذكروها بمنتهى العلنية عند مناقشتهم للدوافع الإنسانية . ومن سوء الحظ أن عددا قليلا من العلماء هم الذين يملكون شجاعة ماهافى J. P. Mahaffy الذى

قال، منذ قرن مضى، أن الغيرة الإغريقية هى سمة تأصلت بشكل خاص فى نسيج طبيتعهم منذ أقدم العصور [٢٠].

ولكن إذا ما بحث أحد فى فهرس أى كتاب من الكتب العديدة التى تدور حول القيم الأخلاقية للإغريق والتى نُشرت فى العشرين عاما الأخيرة ، فسوف يجد الإشارة للحسد غائبة أو طفيفة . ووجد هيلموت شيوك Helmut Schoeck نفس الوضع بالنسبة لعلم الاجتماع ، ويعلق على ذلك بقوله «إنه من الغريب للغاية أن تلاحظ أنه فى حوالى بداية هذا القرن بدأ الكتاب، خاصة فى العلوم الاجتماعية وفلسفة الأخلاق، يميلون لقمع مفهوم الحسد» . ويلاحظ شيوك «أن كل إنسان ينزع إلى درجة قليلة من الحسد ، بدونها يستحيل التفكير فى عملية التفاعل بين القوى الاجتماعية وأصل المجتمع [٢١]. إننا ندرس الحسد ليس من أجل الحسد فى حد ذاته وإنما لكى نفهم كيف قام المجتمع القديم بوظائفه .

الهوامش

١- هوميروس Homer

شاعر يونانى فذ، كان مولده فى القرن العاشر ق . م ، أحب الشعر وهو صغير فقال الشعر وأجاده ، وعرفته المحافل خطيبًا ، ويحدثنا تاريخه عن أنه وقع أسيراً فى إحدى الحروب ، وامتهن تعليم الصبية حينا ، كما كان يحب التنقل والتجوال فى البلاد ليعرف الكثير عن أحوال الناس ، ولكن سرعان ما فقد بصره وهو فى مقتبل العمر فقبع فى موطنه وانكب على قرض الشعر يعول نفسه بما يدره عليه من كسب . وقد زادت هذه المعاناة الدائمة للشعر فى انطلاق خياله ، ودربت عليه لسانه وفتحت له قريحته ، فإذا له من هذا كله ، ومما أفاده من طوافه من تجارب معين خصب يستمد منه مادته فى صوغ «الإلياذة» و «الأوديسيا» وتشتمل كل منهما على ٢٤ كتابا ، وهو نفس عدد الحروف الهجائية اليونانية .

وعلى الرغم من أن «الإلياذة» تفوق «الأوديسيا» مكانة وشهرة فإن «الأوديسيا» لاتقل رفعة وأناقة ، وإن افتقرت إلى ما تشتعل به «الإلياذة» من عاطفة نارية . ويقارن الفيلسوف والناقد لونجينوس Longinus (٢١٣-٢٧٣) بينهما قائلا . إن «الإلياذة» هى وهج الظهيرة و«الأوديسيا» هى شمس الغسق . ولاغرو فقد ألف هوميروس «الإلياذة» وهو فى ربيع عمره ، فجاءت صورة لشبابه وعنفه وقوته . ولكن ما إن امتد به العمر ، وتملكه ما يتملك الشيوخ من أناة وسكينة حتى رأيناه يضع «الأوديسيا» فى تضمنها تجربته الرزينة عن البطل أودسيوس وزوجته وولده، فإذا هو يصور الآلهة أكثر حكمة وأقل عنفا وإذا هو يفرغ فيها تجربة العمر كله . وقد بلغت أشعاره شهرة واسعة للغاية فى العالم القديم ، بحيث كان كل إنسان مثقف يردد، فى يسر وسهولة، أى مقطع من مقاطع «الإلياذة» و«الأوديسيا» .

ويقال أن بيزاستراتوس Pisistratos طاغية أثينا كان أول من جمع ونسق أشعار الإلياذة والأوديسيا فى القالب الموجود بين أيدينا اليوم .

لمزيد من المعلومات ، انظر :

Bowra , C . M . , Homer (1972) ; Beye , C . R ., The Iliad, The Odyssey and the Epic Tradition (1966) ; Whitman. C . H ., Homer and Homeric Tradition (1958) ; Nilsson , M . P ., Homer and Mycenae (1933) ; Mireaux , E ., Daily Life in the Time of Homer , transl . by Iris Sells (1959) .

د. أحمد عتمان : الأدب الإغريقى تراثا إنسانيا وعالميا ، دار المعارف ١٩٩٧ .

(المترجمة)

٢- اوفيد (Ovid) :

شاعر رومانى كان الشعر يتدفق من بين شفتيه تدفق الماء من الينبوع قدم باكورة انتاجه فى ديوانه الصغير المسمى «الغزليات» Amores وأبدع فى كتابه الثانى «البطلات» Heriodes عددا من الرسائل التى كتبها على لسان نساء شاعت مآسى غرامياتهن فى عالم الأساطير، ثم ارتقى أوفيد قمة ابداعه الشعرى فى كتابه «مسخ الكائنات» (أو التحولات) Metamorphases ، وهو موضوع تغير صور الكائنات الحية وتحولها من شكل لآخر أو من طبيعة لأخرى . ولقد كسبت الإنسانية بهذا الأثر الأدبى كنزا حافلا بالأساطير والحكايات الخرافية لايزال منتجع الأدب والفن فى ربوع العالم حتى اليوم كما قدم أوفيد كتابه «فن الهوى Ars Amatoria الذى قدم فيه إلى شباب جيله والأجيال التالية حصيلة خبراته مغلفة بغلاف من خفة الظل والذكاء مازجا بينه وبين الأساطير التاريخية وثقافة عصره .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Binns , J . W . (ed.) : Ovid (1973) , Frankel H . : Ovid , a Poet Betwen two Worlds (1969) Galinsky, G . K . : Ovid`s Metamorphoses (1975) Otis, B: Ovid as an Epic Poet (1971) .

(المترجمة)

٣- 3 , 15 , 8 .

٤- دايدالوس :

كان دايدالوس فنانا معماريا اسطوريا يُعزى إليه تقدم فن النحت والبناء، وهو سليل أسرة اثينية ، لجأ إلى مينوس ملك كريت حيث ساعد باسيفاى زوجته وهيأ لها السبيل لمضاجعة الثور الذى عشقته بان صنع لها هيكل بقره من الخشب كانت تتخفى داخله لتخدع الثور فيضاجعها خلال غيبة زوجها ، فانجبت منه المنيوطور Minotaurus ، وهو حيوان نصفه رجل ونصفه ثور ، ولما علم مينوس بخيانته أمر بحبسه فى قصر اللابيرنث أو قصر التيه ، مع ابنه ايكاروس ، فاتخذ لنفسه ولابنه أجنحة من الريش والشمع طارا بها عبر البحر وفرا من المدينة حتى وصل هو إلى صقلية على حين سقط ابنه فى البحر بعد أن اذابت الشمس الشموع حين اقترب منها فى طيرانه ضاربا بتحذيرات أبيه عرض الحائط .

لمزيد من المعلومات أنظر :

د. عبد المعطى شعراوى : أساطير إغريقية . الجزء الأول ، أساطير البشر . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢ .

(المترجمة)

٥- Metamorphoses 8, 236-59 .

٦- cf. Odyssey 14, 518 - 23 .

٧- هيرا :

كان زيوس كبير آلهة الأوليمبي عظيم الشغف بالنساء، لايكاد يلمح انثى جميله - إلهة كانت أم بشرا- حتى يهيم بها ويحتال لمضاجعتها ، لاينتابه أدنى خجل حتى لو اضطر إلى التنكر فى صورة حيوان ليبلغ وطره منها، وقد شدته الإلهة هيرا وهى شقيقته التى كانت أبوها كرونوس قد ابتلعها بعد ولادتها حتى كبر زيوس فارغمه على لفظها وانقذها بذلك وردها إلى الوجود . وكانت هيرا جميلة قوية الشخصية متعالية وحسودا سريعة الانفعال والانتقام ، وهى ربة النساء ترعاهن فى الشدائد وتشرف على زواجهن . وقد حاول زيوس أن يظفر بها دون طائل حتى عرض عليها الزواج فقبلت وصارت تجلس إلى جانبه على عرش الأوليمب ، وتظفر بأكبار جميع الآلهة غير أنه كان ينسى فى بعض الأحيان أن له زوجة فيحوم حول غيرها وكانت هيرا تحضر دائما فى ثوب طويل ينسدل حتى قدميها ويخفى حذاءها الذهبى ويتوج رأسها اكليل منسول ينتهى بوشاح طويل ينحدر على كتفيها وفى صحبتها الطاووس والبقرة والرمانة والصولجان . انتشرت عبادتها فى اليونان واقيمت أشهر معابدها فى أرجوس وساموس .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Graves, R : The Greek Myths vol . 1 (1957)

(المترجمة)

٨- Antonuis Liberalis 11, 2-5 .

٩- 3 , 12 , 6 .

١٠- 3 . 13 . 3 .

11 - القنطورى Centaurs :

شعب متوحش كان يعيش فى ثيساليا وكان أفراده يشبهون الإنسان رأسا وجسداً ، وكانت أعضاؤهم الباقية أعضاء جياد ومع أن كثرتهم كانت تميل إلى الحروب ومعاقره الخمر ومعاشرة النساء ، فقد كان من بينهم محبون للبشر يصادقونهم ويعلمونهم ويحاربون فى صفوفهم . وقد اشتهر من بينهم خيرون Chiron بوصفه حكيما ومعلما للآلهة والبشر . وحين تصدى القنطورى لهرقل هزمهم ، كما قتل القنطور نيسوس الذى حاول اختطاف زوجته وقد صورهم الفنانون فى موكب ديونيسوس يسيرون مسالمين إلى جوار الساتير والحوريات وعابدات باخوس تقودهم جميعا ربات الحب .

(المترجمة)

١٢- 3 , 13 , 5 .

١٣- 3 , 13 , 8 .

١٤- 9, 447 ff .

١٥- Verss 452 .

١٦- 6 , 150 ff .

١٧- Verses 163- 65 .

١٨- فيدرا Phaedra :

بعد أن تزوج ثيسوس بفيدرا التى كانت تصغره كثيرا وقعت فى غرام هيبوليتوس ابن زوجها وحاولت استمالته ، غير أنه لم يستجب لها أو يبادلها غراما بغرام بل سخر منها ، فشكته إلى أبيه متهمة أياه كذبا وزوراً بأنه راودها عن نفسها فجن جنون ثيسوس وغضب على ولده وطلب من الإله بوسيدون أن يخلصه منه. وبينما كان هيبوليتوس فى طريقه إلى المنفى الذى أرسله إليه أبوه ويقود مركبته بحذاء شاطئ البحر بعث بوسيدون بوحش أفزع جياد المركبة فسقطت فى البحر ومعها هيبوليتوس . غير أن الحقيقة ما لبثت أن تكشفت وظهرت براءة هيبوليتوس .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Graves, R . : The Greek Myths , Part II (1957) .

(المترجمة)

١٩- Klein . M . : Envy and Gratitude, Tavistock Publications Ltd . London , 1957 . p. IX.

٢٠- Mahaffy . J . P . : Rambles and Studies in Greece , Macmillan , London . 2 nd ed . 1878 , p. 230 .

٢١- Schoeck , H . : Envy , a Theory of Social Behaviour, Harcourt , Brace and World . Inc. , New York , 1970 , pp. -9-10 .

الفصل الثانى

طبيعة الحسد

عاش الشاعر الإغريقى هسيود[1] ، كما يبدو ، فى أواخر القرن الثامن ق . م ، وبقيت من قصائده قصيدتان كاملتان ، «أنساب الآلهة» أو «أجيال الآلهة» و «الأعمال والأيام» ، وهى قصيدة شعرية تعليمية موجهة إلى أخ له يدعى بيرسيس Perses يحثه فيها على أن يترك الكسل وأن يتجه إلى العمل الجاد. ويظهر من الدليل الداخلى، رغم أنه غير مقنع بشكل لايمكن انكاره ، أن أنساب الآلهة هى العمل الأقدم . وهكذا يبدو أن هسيود يعدل فى قصيدة «الأعمال والأيام» مما قاله بالفعل فى «أنساب الآلهة» عن الربة إيريس Eris ربة النزاع .

ففى تلك القصيدة نجد إيريس هى ربة النزاع بالمعنى السئ وقد وضح ذلك بشكل كاف : فأتباعها هم العار، والخداع ، والجنس والشيخوخة القاتلة[2] . وقد أنجبت الربة إيريس كلا من التعب والنسيان والمجاعة والألم وكافة أشكال الموت العنيف والشجار والتمرد والجنون ، والقسم الذى يؤذى الناس بأقصى درجة عندما يرغب أحدهم فى الحنث بيمينه [3]. وفى تناقض واضح تزعم قصيدة «الأعمال والأيام» أن هناك شكلان مختلفان من ربة النزاع إيريس: واحدة صالحة والأخرى سيئة [4]. وتتسبب ربة النزاع السيئة فى الحرب والصراع بينما تشجع أختها الصالحة حتى الشخص الكسول، مثل بيرسيس العنيد، أن يبذل الجهد ، وأن يحرث ويبذر الحب ، وأن يشيد منزلاً حتى يحقق ثروة مثل الآخرين . إلى هنا والأمور تسير سيرا جيدا، ولكن ما يلى ذلك قد يزعج ، وحتى قد يصدم ، الدارس المعاصر للشاعر هسيود ، خاصة الدارس الذى نشأ فى مجتمع يلغى التنافس من نظامه التعليمى . فكما رأينا فإن إلغاء مبدأ الاختيار من التعليم فى سن الحادية عشر بشكل كبير، ، جعل عدم التميز سمة من سمات التعليم الثانوى وأصبح يمثل ضغطا متزايداً لعدم تصنيف درجات الامتحان ، فكيف سيكون رد فعل الطالب تجاه عواقب الربة إيريس الطيبة كما يصفها هسيود فى الأبيات ٢٣ و ٢٤ من قصيدته ؟ نقرأ «أن الجار يشعر بالغيرة من جاره (Zeloi) إذا ما سعى هذا الجار وراء الثروة . ويتكرر نفس هذا المعنى بعد ذلك فى قصيدة «الأعمال والأيام» ، فبعد القول المأثور

«إن العمل ليس شيئا يلام عليه المرء، ولكنه يُلام على الكسل» [٥]، يستمر هسيود ويقول «إذا ما عملت فسرعان ما يغار الكسول من ثروتك » [٦]. إن حقيقة أن الآخرين سوف يغارون من نجاحنا تبدوا حافزا خاصا كى نبذل مجهودا أكبر ، ولكن لايمكن إساءة فهم رسالة هسيود فهو يقدم توضيحا عمليا من خلال توجيهاته لفلاح المستقبل: إذا ما حرثت فى الوقت المناسب، عندما يأتى الربيع سوف لاتحسد الآخرين ، ولكن أحداً آخر سوف يحسدك ، ورغم ذلك ، إذا حرثت متأخرا سوف تنتهى بالقليل وسوف يحسدك قليلون » [٧]. وينهى الشاعر هسيود كلامه عن ربة النزاع بنوعيها بسطور اكتسبت قوة الأمثال ، سطور تزودنا بمثال كلاسيكى عن الغيرة المهنية : «إن صانع الفخار حانق على زميله صانع الفخار، والعامل حانق على زميله ، والمتسول يشعر بالغيرة من المتسول الآخر والمطرب يغار من زميله المطرب » [٨].

وربما وجد من ينشرون أعمال هسيود فى القرن التاسع عشر، هذين البيتين الأخيرين فى غاية الصعوبة أو أنه يجب حذفهما حتى من نص الشاعر. ولكنا نقول أنه ليس هناك تناقض مع ما سبق مباشرة ، فهما ببساطة يوسعان مجال الغيرة المهنية المتفشية بين المزارعين لتشمل طرقا أخرى كان يمكن بها كسب العيش فى العالم القديم. إن مدى استجابة طالبنا لهذا الاتجاه التنافسى سوف تتحدد بمدى القوة الخاصة التى يلصقها بفكرة الغيرة والحسد. ومن التجارب المألوفة والتى تمر علينا أن نرىّ بعض الإعلانات التى تحثنا على شراء هذه السلعة أو تلك حتى نصبح «موضع حسد أصدقائنا» . والحسد هنا لايعنى الكثير ، أو هكذا يبدو الأمر ، ما دام أولئك الذين يحسدوننا هم أصدقاء محددين ، ولكن ماذا يحدث إذا ما قبلنا تعريف الحسد الذى قال به ويليام ديفيدسون W . C. Davidson وقبله عالم الاجتماع هلموت شويك بمنتهى الترحيب :

«إن الحسد شعور أنانى أساسًا وسئ القصد . وهو موجه ضد الأشخاص ، ويتضمن شعورا بالكراهية تجاه الشخص الذى يملك ما يشتهيه الشخص الحاسد نفسه أو ما يريده ، ولذلك فإنه يرغب فى إيذائه. ويكمن فى أساس الحسد الطمع وسوء النية كما يوجد به أيضا إحساس بالدونية تجاه الشخص المحسود وشعور بالغضب تحت هذا الإحساس. إننى أشعر أن من يملك ما أحسده عليه يكون فى مركز أفضل منى وأنا أشعر بالغضب من هذا [٩].

فهل كان استخدام هسيود لكلمة الحسد ، سواء استخدم كلمة Zelos أو كلمة Phthonos، استخدام برئ ، مثل استخدام ذلك الكاتب أم هل من المفيد أن نؤكد تعريف ديفيدسون ؟ كيف

نفسر الحسد عند هسيود ؟ وكيف نستطيع تقييم ربة النزاع الطيبة ؟ إن ربة النزاع الطيبة تسبب الحسد بالتأكيد ، ولكن هل يؤدى هذا الحسد إلى الأنانية والضغينة والنفور والرغبة فى الإيذاء والشعور بالعدوانية والامتعاض؟ إننى أزمع تقديم إجابة لهذه التساؤلات وإن بداية قصيدة «الأعمال والأيام» هى ببساطة نقطة مناسبة لبداية البحث الذى سيتناول الحسد وسيطرته خلال تاريخ العالم القديم . وفى النهاية ، فإننى أخشى أن إجابتى قد تحزن أولئك الذين ما زالوا يرغبون فى رسم صورة مثالية للقدماء وفى أن ينسبوا إليهم قدراً من التميز الأخلاقى أكبر مما يُنسب للسمو المسيحى . ولكن تصوير هسيود لربة النزاع الطيبة يقدم لنا مأزقا قلما بدأ العالم المعاصر فى حله : كيف نوفق بين واجبنا تجاه أنفسنا وواجبنا تجاه الآخرين ؟ لقد كان الإغريق واعيين بالفعل لهذه المشكلة ، أو على الأقل حاولوا مواجهتها بدون خوف ، مدركين أن الإنسان كائن يشعر بالحسد ولم يحاول كتمان الحقيقة غير المستساغة بأن الحسد موجود وواضح فى كل مكان .

وطبقا لتصور الإغريقى ، فإن الإنسان حسود بطبعه ، والحسد جزء من شخصيته الأساسية ومن فطرته . وفى النصف الثانى من القرن الخامس ق . م . جمع هيرودوت[١٠] تاريخه عن الهجوم الفارسى عام ٤٩٠ وغزو عام ٤٨٠ ، ق . م . ويحتل وصفه لتلك الغزوات الفارسية لأوربا الثلث الأخير فقط من كتاباته ، ويملأ هيرودوت الخلفية بمناقشة مستفيضة حول اللذين والفرس والمصريين وأهل سكيثيا وغيرهم . وتحكى إحدى القصص التى يرويها قصة المناقشة التى من المعتقد أنها قد حدثت قبل أن يصبح داريوس ملكا على الفرس ، وفيها يعارض أحد المتحدثين بقاء بلاد فارس تحت الحكم الملكى. ويعتبر هذا المتحدث الغطرسة (hybris) والحسد (Phthonos) من المفاسد الشائعة فى النظم التى يحكم فيها رجل واحد ويضيف قائلا : إن الحسد طبيعة فى الإنسان وقد كان فيه منذ البداية[١١] . وبعد ذلك بقرن من الزمان يقول ديموسثنيس فى أحد أحاديثه «أنه من الطبيعى أن يسمع جميع البشر السباب والاتهام بسرور[١٢] وفى فقرة أخرى فى نفس الحديث يقول إنه يلاحظ وجود تيار خفى ، من الحسد ضد الأحياء ، سواء كان هذا التيار كبيراً أو صغيراً ، وهذا أمر طبيعى[١٣] . وعندما وجه الملك الاسبرطى المنفى ديماراتوس Demaratus النصيحة لأكسركسيس Xerxes ، ووجهت خطبته بالرفض من جانب الفارسى اخايمنيس Achaemenes الذى ادعى أن اكسركسيس يعرض نفسه للخطر حين يستمع لنصيحة رجل يغار من نجاحه . ويزعم اخايمنيس، أن ديماراتوس مثل

أى إغريقى آخر يغار من النجاح ويكره من هو أكثر منه قوة (١٤)، ويرد اكسركسيس ويرفض فكرة عدم ولاء ديماراتوس على أساس أنه كان أجنبيا ، والأجنبى يسعده إلى أقصى درجة نجاح أى أجنبى ، أما المواطن فإنه يحسد زميله المواطن على نجاحه ويصبح بمثابة العدو له ، فيما عدا حالات قليلة (١٥).

وسوف يكون لنا هنا تعليق نناقشه باختصار ، أى فكرة أن الأنداد ، أو الذين يكادون يكونون أنداداً ، أى أولئك الذين يكادون يكونون متساويين فى المكانة تقريبا ، هم الذين يحسدون أحدهم الآخر. فالفجوة بين الإسبرطى المنفى والملك الفارسى كبيرة لدرجة لاتسمح بأن يكون بينهما تنافس متبادل ، وبدون احتمال التنافس ، لايكون هناك مجال للحسد . بالإضافة إلى ذلك ، فإن ديماراتوس واكسركسيس يتمتعان بعلاقة من نوع خاص ، علاقة الضيف بضيفه. وتؤكد قصة أخرى من قصص هيرودوت نفس وجهة النظر التى يؤمن بها اكسركسيس. فبعد معركة سلاميس وبعد تقسيم الأسلاب ، كان على الإغريق أن يحددوا الشخص الذى سوف يفوز بجائزة خاصة باعتباره أكثر من ساهم فى إحراز النصر للإغريق فى حربهم ضد الغزاة من الفرس . فحدث أن صوت كل قائد لنفسه فى المقام الأول، ولكن فى المقام الثانى قضت الأغلبية بمنح الجائزة للأثينى ثيمستوكليس (١٦).

وبالرغم من ذلك ، فقد منعت الغيرة هؤلاء الرفقاء، وهم رجال ذوى مكانة متساوية ، من أن يصلوا إلى قرار بالرغم من أن جميع بلاد الإغريق كانت تعتبر ثيمستوكليس أحكم الإغريق جميعا ، كما حظى بتكريم متميز عندما زار إسبرطه (١٧).

وبتعبير آخر، فإن غيرة الرفقاء قد انصبت على ثيمستوكليس الذى ، بالرغم من ذلك ، أُغدق عليه المديح والثناء والهدايا من سكان دولة إغريقية منافسة . ولكن ماذا حدث عندما عاد ثيمستوكليس من اسبرطه إلى موطنه أثينا ؟ ومرة أخرى يخبرنا هيرودوت أن أحد الأثينيين ، وكان اسمه تيموديموس Timodemus، وكان عدوا لا قيمة له لثيموستكليس ، قد جن جنونه من الغيرة، فاتهم رفيقة المواطن بأنه لايستحق الثناء الذى أسبغ عليه فى اسبرطة وأن الفضل لايرجع إلى شخص تيموستكليس ولكن إلى مدينة أثينا(١٨) فكما لاحظ اكسركسيس فان المواطن يغار من نجاح مواطن آخر، مثلما يستاء المزارع من نجاح وثراء مزارع آخر، طبقا لقصيدة «الأعمال والأيام» .

ويمكن الرجوع مرة أخرى إلى هيرودوت ليقدم لنا مثالا استثنائيا يؤكد القاعدة التى تقول بأن الإنسان غيور بطبعه فنقرأ فى تاريخه أن الاجاثيرسوى Agarthyrsoi كانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش وكانت النساء مشاعًا بينهم . «حتى يكونوا جميعا اخوة ، أعضاء أسرة واحدة ، لاينغمسون فى مشاعر الحسد والعداء تجاه بعضهم البعض[١٩] ، ويغض النظر عن التشابه الكبير بين النظام الاجتماعى لهذا الشعب وبين ما ورد فى «جمهورية» أفلاطون ، فقد كان مجتمعهم نمطا غريبا للغاية للمجتمع حسب التصور العادى لنمط المجتمع ، فحتى لا يتفشى الحسد كان لابد من شكل غير تقليدى. وفى الحقيقة فإن هيرودوت يصف شعب الاجاثيرسوى فى معرض تعليقه على العادات الغريبة التى تمارسها الشعوب الغريبة من غير الإغريق خاصة فى معاملتهم للنساء، ومن خلال تعليقه يهدف هيرودوت إلى رسم تناقضها مع عادات الإغريق فى معاملة النساء .

لقد رأت العصور القديمة المتأخرة أن تصنف المجموعات الأدبية المنتقاة من كتاب الشعر والنثر ، لكى توضح موضوعات محددة ، وكان مؤلف إحدى هذه المجموعات الأدبية هو ستوبايوس Stobaeus الذى اقتبس بيتين للشعر (٢٥-٢٦) وردا فى قصيدة «الأعمال والأيام» ويقولان «أن صانع الخزف يحارب زميله الخزاف ، وصاحب الصنعة يحارب زميله ، والشحاذ الشحاذ، والمغنى زميله المغنى» ، وذلك فى الفصل الذى خصصه للحسد مع مجموعة أخرى من الفقرات . وتوضح قطعة مقتبسة أخرى وردت فى هذه الفصل أن الفيلسوف السوفسطائى هيبياس Hippias الذى عاش فى القرن الخامس قد قال بأن هناك نوعان من الحسد (Phthonos) مثلما قال هسيود من قبل بوجود نوعان من ربة النزاع إيريس . وبالنسبة لهيبياس كان يوجد نوع صحيح من الحسد، وذلك عندما يحسد أحدهم الإنسان الشرير على ما يناله من شرف وتكريم لايستحقه ، ونوع غير صحيح وهو الذى يوجه إلى الإنسان الصالح [٢١]. وسوف يتضح الفرق بين النوعين تماما إذا ما اطلقنا تسمية مختلفة على كل من الحسد الصحيح وغير الصحيح . ويقترح هسيود التمييز بينهما من حيث الاشتقاق وذلك إذا ما قارنا قصيدة «الأعمال والأيام» بقصيدة «أنساب الآلهة» . ففى القصيدة الثانية يذكر هسيود حقائق قاسية عن المجتمع فى عصره ؛ فعصره هو عصر الحديد فى مقابل العصور الأقدم : عصور الذهب والفضة والبرونز وعصر الأبطال ، وكانت الروابط التى تربط المجتمع معا على وشك أن تتفكك[٢٢].

فإن الآباء والأبناء ، الضيوف والمضيفين ، الأصحاب والأشقاء كل منهم يمسك بخناق الآخر وكان العنف والضغينة من الأشياء الطبيعية فى الحياة اليومية . وقد نقل ريشموند لاتيمور Richmond Lattimore قوة الأبيات ١٩٥-٢٠١ بطريقة تثير الاعجاب فى ترجمته التى حافظت على روح النص [٢٣].

إن روح الحسد ، بوجهها الكريه

وصوتها الصاخب ، والتى تفرح

للشر، سوف تظل الرفيق الدائم

-للإنسانية البائسة

وفى النهاية ، فإن الأدب والاحترام،

بعد أن يلفا هيئتهما البراقة فى عباءتهما الشاحبة،

سوف يذهبان بعيدا عن الأرض ذات الطرق الواسعة

وسوف يعودان فى طريقهما إلى جبل الأوليمبوس

هاجرين كل الجنس البشرى .

وكل ما سيتركانه للإنسان

هو الألم الخبيث ، وسوف لايكون هناك

من يحميه من الشر .

إن رؤية هسيود للمستقبل رؤية تنبؤية تسبب القلق للغاية. إن ما يترجمه لاتيمور بكلمتى «روح الحسد» هى الكلمة اليونانية Zelos . وهذه الترجمة معقدة التركيب لكلمة يونانية واحدة لها ما يبررها ، فإن الصفات الثلاث المركبة التى تأتى فى سطر ١٩٦ لوصف روح الحسد بوجهها الكريه وصوتها الصاخب والتى تفرح للشر تجعل الحسد كائنا مجسداً مثلما يحدث بالنسبة لكل من الأدب (Nemesis) والاحترام (Aidos) فى السطور التالية . بالإضافة إلى ذلك فإن ربة النزاع الشريرة تشترك أيضا فى إحدى هذه الصفات ، فهى أيضا تفرح للشر (Kakochartos) [٢٤]، وإن الحسد فى السطر ١٩٥ ، رفيق الإنسان لأن الترابط الاجتماعى يتفكك ، ليس سوى شكل آخر لربة النزاع السيئة ، تلك القوة التى تشجع الحرب

والصراع. وهكذا يبدو أن الهدف الذى يوجه إليه الحسد (Zelos) هو الذى يحدد ارتباطه بربة النزاع الصالحة أو الصالحة .

ورغم ذلك ، يختلف الحسد فى قصيدة «أنساب الآلهة» تماما . فالحسد بتجسد بشكل كامل فى هذه القصيدة، فهو ابن ستيكس (Styx) ، وأحد أنصار زيوس فى حربه ضد التياتن[٢٥] . إن حقيقة أن الحسد (Zelos) حليف زيوس وأنه ارتبط فى نفس السطر مع النصر(Nike)[٢٦] ، توضح أن كلمة Zelos فى أنساب الآلهة تعبر عن الحسد ، أو الاعجاب ، إذا استخدمنا كلمة أقل فى مدلولاتها ، الذى يشعر به الآخرون تجاه زيوس ، والإعجاب ، كما نعرف ، يؤدى إلى التقليد والمنافسة . وحقيقى أن Zelos هنا ليس مثل ما أسماه هيبياس بالحسد الصحيح ، الحسد الذى يوجه ضد شخص لايستحقه إذا كرم ، ولكننا نرى أنه من الممكن التفرقة بين كلمتى Phthonos و Zelos ، حيث أن الأولى صفة حميدة والأخرى سيئة .

ولكن الأمر احتاج لأرسطو فى القرن الرابع ق . م ، بحبه الشديد للتصنيف والتحديد ، حتى نطور التفرقة بين Phthonos بمعنى حسد و Zelos بمعنى تنافس ، وهو يحدد هذه التفرقة فى كتابه الثانى من مؤلفه الريتوريقا [٢٧]، وذلك عندما يوضح أن سبب التنافس ليس أن الشخص الآخر يملك ، ولكن سببه أننا نحن لانملك ، إن التنافس يدفعنا إلى الامتلاك ، بينما يعنى الحسد منع الجار من الامتلاك . إن الرجل الذى ينافس يعد نفسه كى يحصل على كل ما هو طيب ، بينما يعد الرجل الحسود نفسه كى يمنع جاره من الحصول على كل ما هو طيب، وباختصار فإن الاحتقار عكس التشبه بشخص معين .

إن ما يقصده أرسطو من التنافس بالتحديد يتضح بشكل جيد فى حديث ايسوكراتيس (Isocrates) ، حيث يقول الخطيب لمن يتلقى نصيحته إن عليه أن يجعل سلوكه مثل سلوك الملوك فبهذه الطريقة سوف يحذو حذوهم ويتشبه بهم (Zeloun) ، وسوف تكون النتيجة تقديراً أعظم من الغالبية وضمان الرضا الملكى بشكل أكيد[٢٨] وسوف نرى مثالا آخر من بلوتارخوس [٢٩]، الذى سوف اقتبس من كتابه الكثير مره بعد أخرى كلما تقدمت هذه الدراسة، وسوف لا أعتذر عن الاقتباس المتكرر من هذا الكاتب الذى عاش بين النصف الثانى من القرن الأول وبداية القرن الثانى الميلادى. ومجموعة مقالاته الأخلاقية وثيقة الصلة بموضوعنا بشكل خاص وغيرها من المقالات المعروفة بشكل عام باسم "Moralia" . ويمكن التعرف على الفرق بين

التنافس والحسد عندما يتحدث بلوتارخوس عن شقيق صغير يحترم شقيقه الأكبر ويحاول أن يتشبه به (Zeloun) ويحذو حذوه . ويتسأل بلوتارخوس عما إذا كانت هذه الرغبة فى هذه التشبه، ، وليس الحسد، هى جزء من منافسة الأخ الأصغر «لأن التقليد علامة على إعجاب الإنسان بينما تدل المنافسة على الحسد» (٣٠).

وفى هذا العالم غير الكامل ، ربما تكون مقولة أرسطوا متناسقة أكثر من كونها مقنعة ، وربما كانت تفرقته صالحة من الناحية النظرية أكثر من الناحية العملية. إن تفضيل المرء لوصف عاطفة ما بأنها «تنافس» أو «حسد» تعتمد فى كثير من الأحيان على وجهة نظر المرء الخاصة أو على ميوله . لقد سبق واقتبست تعريف ديفيدسون للحسد كما ورد فى مقالة «الحسد والتنافس» . وعندما يبدأ ديفيدسون فى مناقشة التنافس فإنه يصفه بقوله :

إنه نوع من التنافس أو المنافسة ، ولذلك فمن المفترض وجود متنافسين أو خصوم ، ولكن ليس من الضرورى اعتبار الخصم عدواً يجب كراهيته ، بل يجب اعتباره صديقا إذا ما شد من عزائمنا واستخرج مكامن الطاقة فينا وساعدنا على تطوير أنفسنا . وبالفعل فإن التنافس المحب للذات يجب أن يوضع ضمن الرغبة الطبيعية فى التفوق أو القوة، ولكنه ليس أنانيا ، وهو يليق بالشخصية الكريمة وبالعزيمة القوية ، وهو غير الحسد وغير الغيرة .

والقسم التالى عند ديفيدسون بعنوان «التنافس المُفسد» ويلاحظ هنا أن التنافس قد ينحرف بسهولة ويتحول إلى حسد ، إنه من المناسب ومن الرجولة أن يرغب شخص فى أن يبرع فى السباق وأن يجهد نفسه من أجل تحقيق هذه الغاية ، ولكن عندما يجد العداء أن منافسه على وشك أن يتخطاه ، فيحاول أن يدفعه بمنكبيه وأن يجعله يتعثر، فهذا تنافس انحط فأصبح حسداً : لقد حل سلوك غير شريف محل المنافسة الشريفة . وتقدم محاورة «مينيكسينوس» لأفلاطون حاشية مناسبة لتعريف ديفيدسون للتنافس ، ففيها نقرأ أنه بعد زوال التهديد الفارسى جلبت أثينا على نفسها الغيرة (Zelos) فى البداية ثم الحسد (Phthonos) بعد ذلك ، ولقد أضاف لهذه الجملة تعليقا يقول فيه «وهو أمر خليق بأن ينزل بالشخص الناجح على يد البشر(٣١) ومن سوء الحظ أن التنافس ينحط فى معظم الأحوال ليتحول إلى حسد .

إن ديفيدسون يتحدث عن تحول «التنافس الشريف إلى سلوك شائن»(٣٢) ولكن صعوبة التفرقة بين التنافس والحسد كانت صعوبة مركبة خلال التاريخ القديم بسبب الرغبة الملحة لدى كل إغريقى أن يزيد من نفوذه الشخصى ومن سعيه الحميم لنيل الشرف والتكريم . إن

إيسوكراتيس يتسأل عن الدوافع التى تدفع الإنسان إلى القيام بفعل ما . وتكون الإجابة إنها: اللذة ، والمنفعة ، والشرف [٣٣]. والدافع الثالث دافع إغريقى صميم . إن استحواذ فكرة الشرف والتقدير على الإغريق قد يفسرها عدد كبير ومتنوع من المصادر ، ولكن ربما لايوجد تبرير أكثر روعة لظاهرة السعى وراء التقدير والتكريم من ذلك الذى جاء على لسان الشاعر سيمونيديس Simonides فى كتاب "Hiero" لاكسينوفون : ففيه نعرف أن الإنسان يعانى فى بحثه عن الشرف والتكريم مشقة كبيرة ويتحمل كل الأخطار [٣٤]. وبالنسبة لسيمونيديس فإن السعى وراء الشرف والتكريم هو ما يميز الإنسان الحقيقى عن الحيوانات . إن حب الشرف (Philotimia) ليس شيئا فطريا ، سواء فى الحيوانات فاقدة الوعى أو فى كل إنسان ، ولكن أولئك الذين غُرس فى نفوسهم الولع بالشرف والمديح هم فقط البعيدين تماما عن الحيوانات ، وهؤلاء يعتبرون رجالا وليسوا مجرد بشر . ويوجد نفس القدر من التأثير فى الثناء الذى قاله بركليس فى خطبته الجنائزية التى ألقاها لتأبين من ماتوا فى العام الأول من الحرب البليونيزية والتى أوردها ثوكوديديس : «فحب الشرف هو وحده الذى لايهرم فى الحياة ولايشيخ ، وعندما تضعف قوة أجسامنا وتوهنا الشيخوخة ، فليس المال- كما يذهب البعض فى قولهم- هو الذى يحقق السعادة أو يجلب المتعة بل الشرف [٣٥]، ويتردد صدى فكرة بركليس هذه فى القرن الرابع على لسان ايسوكراتيس الذى يقول «إن الثروة فانية ولكن الشهرة خالدة» [٣٦]، والتكريم يحتاج أن يعرفه الآخرون ، ومن ثم فإنه يعتمد على شهرة المرء أو سمعته . ويحاول إيسوكراتيس فى حديثه مع فيليب المقدونى أن يغرى الملك بأن يلوح له بالجائزة التى سوف تمنحها له العظمة ، ويقول إننا جميعا نملك أجسادا فانية ولكننا نحظى بالخلود من خلال مدح الآخرين لإرادتنا القوية ومن الشهرة والذكرى التى تجارى الزمن [٣٧].

والشهرة هى ترجمة للكلمة اليونانية Pheme التى تحدث عنها هسيود قبل ذلك بوقت طويل فى قصيدته «الأعمال والأيام» وقال إنها لاتفنى عندما يتحدث عنها كثيرون، وإنها أحد الآلهة[٣٨] ويقتبس الشاعر ايسخينيس Aeschines هذه السطور من هسيود فيقول : إن كل من يطمحون فى التقدير العام يعتقدون أن الشهرة سوف تأتى إليهم من السمعة الطيبة[٣٩].

ولكن بالتحديد كيف يؤثر حب التقدير والرغبة الملتهبة فى الشهرة فى مشاعر الحسد ؟ ولماذا قال بلوتارخوس ، وهو يقارن بين حياة وسلوك اليونانى ارستيدس Aristides والرومانى

كاتو Cato ببساطة تستحق الثناء، «إن حب الشهرة (Philotimia) أمر صعب وهو يؤدى بشكل كبير إلى الحسد »[٤٠]، ولماذا يقول نفس الكاتب فى موضع آخر «إن الحسد والغيرة الموجهة ضد الذين يتفوقون فى الشهرة والتقدير مغروسة بشكل طبيعى فى نفوس أولئك الذين يحبون التقدير؟[٤١] ولماذا يلاحظ بلوتارخوس فى فقرة أخرى إن العظمة أو الافتقار إلى العظمة هو ما يجعل الحسد يتفاقم إلى أقصى درجة ؟ [٤٢]، إن الآخرين يجب أن يعرفوا هذا التقدير ، ومن ثم فإنه يعتمد على الشهرة أو السمعة الطيبة ، فالشرف شئ نسبى وليس مطلقا . فالتتخيل أنه من الممكن تحديد مقدار الشهرة ، وأن شخصًا معينا يزعم أنه وصل إلى مقدار ما من الشهرة – مثل هذا الشخص لاينال أى تقدير إذا ما زعم رفاقه أنهم وصلوا إلى نفس المقدار من الشهرة أو تعدوه . إن التقدير يستدعى أن يكون الآخرون أقل تميزا بشكل عام: إن التقدير الذى يناله المرء لايعتمد فقط على عائلته وانجازاته ولكن يتعمد أيضا على عائلات رفاقه وعلى إنجازاتهم . وإننى أعتقد أن المليونيرات أقل تكريما فى جنوب كاليفورنيا عنهم فى منطقة سكن الولزيين ويمكننا أن نضرب مثلا أفضل ، فإن أول عداء يجرى مسافة ميل فى أقل من أربع دقائق ، يمدحه العالم كله لانجازه هذا ، وسوف يحتفظ بهذا التكريم الذى يُسبغ على أول رجل يكسر حاجز السرعة هذا ، ولكنه يفقد هذا التكريم إذا ما فقدت قدمة تميزها ، وقد يُنسى تمامًا عندما يصبح هذا الإنجاز بمرور الوقت أداء عاديا لعداء المسافات الطويلة .

إن المرء الذى يصبح مشهورا ومن ثم يلقى التقدير يستطيع أن يحقق مصلحته الخاصة بأن يستغل ما يملكه بقدر المستطاع وهو ما يستعصى على شخص آخر . إن أستاذ الجامعة ، إذا ما فاز بمكانة أكاديمية مميزة ، قد يصبح راغبا عن أن يمنح الآخرين مكانة مشابهة بدرجة غريبة، فإن مكانته فى وسط الدارسين تصبح مهددة إذا ما أصبح من السهل الحصول على مكانة أكاديمية مميزة وعلى نطاق واسع . وبالتأكيد فإننا هنا نكتشف ، وإن كنا نكره الاعتراف بذلك، أن الرغبة فى الحصول على تكريم تسير جنبا إلى جنب مع الشعور بالغيرة . وفى «تربية قورشى» Cyropedia ، وهى سيرة ذاتية غير حقيقية لمؤسس الامبراطورية الفارسية ، يخبرنا كسينوفون[٤٣] بقصة قورش الصغير ، فقد نظم جده مسابقة كبيرة للصيد وأصدر أوامره بألا يبدأ أحد الصيد حتى يكتفى قورش من الصيد. ولكن قورش لم يخضع لهذه الأوامر وأغرى جده بأن يدع الجميع يستمتعون بالصيد. وقد أسعد سلوك قورش هذا جده ، الذى لاحظ أن

قورش يمارس اللعبة بروح تفيض بالحيوية والنشاط، ونقرأ أنه سعد لرؤية قورشى يضحك مع أحدهم ويمدح الآخر «دون أن يظهر عليه أقل قدر من الغيرة أو الحسد»[٤٤]. وقد تصدم الملاحظة الأخيرة الطالب المعاصر لكونها أكثر من مجرد ملاحظة ليس لها مبرر . ورغم ذلك فإنها ليست هكذا ، فإذا ما تذكرنا كيف أن عدم الشعور بالحسد لم يكن من سمات أى شخص إغريقى أو إغريقى متخفى (Crypto) مثل شخصية قورش عند كسينوفون.

وفى «تربية قورش» تسنح الفرصة أمام اكسينوفون كى يعلق على موقف الأشخاص المتخاصمين من القضاة ومن قراراتهم ، وهذا التعليق يسترعى الانتباه بقدر ما يكشف عن الكثير : من الواضح أن كلا الجانبين المتخاصمين سوف يسعى إلى كسب القضاة إلى جانبه ، وسوف يحسد الخاسر الرابح وسوف يكره القضاة الذين لم يصدقوا لصالحه ، بينما يعزو الرابح نجاحه إلى عدالة قرارهم ، ومن ثم فهو لايدين بالشكر لأحد [٤٥]، وهذا بالطبع منظور حاذق يكشف قلة الاهتمام بالعدالة الخالصة أو بالعدل وسوف نراه مرة أخرى ، فإن كسينوفون يشير إلى أول شخص من بين أصدقاء قورش يشعر بالغيرة من الآخرين فكانت النتيجة أن الأغلبية أرادت إن يستبعد كل واحد الآخر بدلا من العمل معا لمصلحتهم المشتركة [٤٦]. ولم يفاجأ كسينوفون بمثل هذا السلوك باعتباره سلوكا غير متوقع ، فهو عندما يذكر أولئك الذين يطمحون فى صداقة الملك فإنه يضيف قوله «مثل آخرين فى المدن» . وعند مناقشتنا للحسد كما يظهر من خلال النظام الديموقراطى الأثينى سوف ندرك مدى صدق إضافة كسينوفون . لم يكن لدى الإغريق وقت للعاطفة ، ولذلك فقد تقبلوا الطبيعة الطبيعة البشرية كما هى ، ولقد احتوت الطبيعة البشرية بالطبع ، وما زالت تحتوى ، على قدر لا بأس به من مشاعر الحسد .

وعند مناقشة أرسطو لموضوع الحسد والتنافس فإنه يشير أكثر من مره إلى الرجال الذين يطمحون فى التقدير ، ففى موضع ما يشير ، على سبيل المثال ، إلى أن هؤلاء الذين يحبون التقدير[٤٧] يكون الشعور بالحسد لديهم أقوى من أولئك الذين لايحبونه .

وإذا ما ألقينا نظرة على أحاديث ديموستنيس ، فلن يكون من الصعب علينا أن نجد فقرات حيث تعنى كلمة «حب التقدير» (Philotimia) الحسد ، وحيث تعنى الصفة (Philotimos) أنه شخص حسود . ومن ثم يشير ديموستنيس إلى عدوه اللدود فيليب المقدونى بقوله إنه يتخلص ، كما يقال ، من ذوى المهارة بسبب الغيرة Philotimia لأنه يريد أن يبدو كل تصرف وكأنه تصرفه الشخصى ، فبالإضافة إلى أخطائه الأخرى كان حب التقدير مستحوذا عليه

بشكل لايفوقه شئ آخر ، وتظهر كلمة Philotimia مرة أخرى (٤٨). وفى موضع آخر يتحدث هذا الخطيب عمن كانوا يخالطون فيليب ويقول إن الملك المقدونى كان غيورا (Philotimos) لدرجة أنه كان يفضل أن يفشل قواده على أن ينجحوا لأنه كان يرغب فى أنه يظهر أن كل فعل عظيم يرجع إليه (٤٩). إن الفعل Philotimeisthai الذى يعنى «حب التقدير» قد يعنى أيضا «أن يكون غيوراً » . ويأتى مثال مفيد من إحدى المسرحيات الكوميديه التى كتبت فى أواخر القرن الخامس ق . م ، وهى مسرحية «الضفادع» لارستوفانيس . ففى هذه المسرحية ينزل الإله ديونيسيوس إلى العالم الآخر حتى يستعيد الشاعر الراحل يوربيديس ، وتبدأ المسرحية بزيارة ديونيسيوس لشقيقه هراكليس ، وهو شخصية تقدم فرصا عديدة للإضحاك ، إذ يقدم نموذجا فريدا «لقوة العضلات دون عقل أو تفكير ، كما أنه أكول لايهتم بالثقافة الرفيعة ، وهو رجل يفتح بنفسه لمن، يقرع بابه الأمامى ثم يصبح سلوكه كريها تجاه ضيفه» (٥٠)، ولقد نزل هراكليس بالطبع من قبل إلى العالم الآخر ولذلك فإنه يصبح مصدرا مهما للمعلومات ، وهو يقدم هذه المعلومات بالفعل (٥١)، ولكنه لايشجعه ، ويفترض ديونيسيوس أنه يتعمد تثبيط عزيمته عن القيام بهذه المهمة (٥٢). وعندما يصل ديونيسيوس إلى العالم السفلى تتأكد شكوكه ويعلق بقوله إن هراكليس كان يبالغ فى تصوير الصعوبات فى محاولة منه كى يخيفه، فهو يعرف أنه رجل محارب، ولأنه غيور (philotioumenos) . لذلك يقول ديونيسوس ، إنه لاشئ يثير الازدراء مثل هراكليس. وهنا يقف ديونيسوس بطريقة مليئة بالتكلف وتصبح لغته متباهية ، وبالفعل فإن البيت ٢٨٢ تقليد مباشر للشاعر التراجيدى يوربيديس .

ولكن لماذا يتهم ديونيسوس هراكليس بالغيرة ؟ إن هراكليس لايرغب ، كما يعتقد شقيقه فى أن يرى تقديره يتناقص ، لقد زار بالفعل عالم الموتى واكتسب بهذه الزيارة صيتا وتقديرا ، وبالطبع فإن تقديره سوف يقل إذا ما تبع خطاه ابن آخر من أبناء زيوس إن هراكليس غيور على شرفه، ولذا نجد ديونيسوس يتهمه فى البيت ٢٨٦ بأنه حسود (Philotimoumenos) وهو كذلك بالفعل. هناك عوامل مشتركة بين ديونيسوس وهراكليس : فهما من أبناء زيوس ، ومن ثم فعلينا الاعتراف بذلك النوع المميز للغاية من الغيرة ، أى الغيرة العائلية . وإذا كان هناك اتفاق عام بين علماء النفس أن السبب الأساسى للشعور بالغيرة يتمثل فى تجارب الطفولة المبكرة وبصفة خاصة داخل نطاق العائلة فإن الأخ يتنافس مع أخيه فى كسب حب والديه ويستمر عنصر المنافسة وتسميم العلاقة بين الإخوة خلال حياتهم وهم بالغين .

إن النزول للعالم السفلى هو تحدى للموت ذاته ، وهو عمل بطولى جليل لدرجة أن ديونيسوس يبتهل أن يجد المتنافس جديرا بهذه الرحلة (٥٣). يعتقد ديونيسوس أن هراكليس يتصرف كرجل محب للتقدير بشكل أصيل وخاصة فى مجتمع يسوده التنافس بقدر كبير مثل عالم الإغريق . لقد أوضح أرسطو هذه النقطة منذ زمن بعيد فى كتابه «الريتوريقا» ، إذ يقول إن الأشخاص الناجحين وأولئك الذين يقومون بأعمال عظيمة هم الذين يشعرون بالغيرة (Phthoneroi) لأنهم يظنون أن كل شخص يأخذ ما يخصهم ... وبصفة عامة فإن أولئك الذين يحبون الشهرة فى أى شئ يكونون غيورين على شهرتهم (Phthoneroi) (٥٤).

وتتأكد هذه القضية البديهية بالفعل فى الموقف بين ديونيسوس وهراكليس فى بداية مسرحية «الضفادع» . وقد تم الاستشهاد بالموقف بشكل جيد على يد أرسطو عندما يفسر فى نفس الفقرة من الذى شعر بالسخط ، ولماذا ؟ فبالتأكيد كان هراكليس أبعد ما يكون عن السعادة لأن مخنثا مثل ديونيسوس (٥٥). يطمح فى أن يقوم بعمل مخصص للإنسان الشجاع بحق .

وكما لاحظ أرسطو فى كتابه «الريتوريقا» أيضا فإن جميع البشر شغوفين بأنفسهم (philautos) بقدر أو بآخر . لذلك فإن أعمالهم وأقوالهم تكون ظريفة بالنسبة لهم ، ولذلك فإنهم شغوفين بالتقدير وبالنفاق ، وبالحب والأطفال ، فالأطفال نحن الذين نصنعهم (٥٦) . وبعد ذلك بقليل يضيف أرسطو قوله «حيث أننا نحب التقدير (Phitotimoi) بقدر كبير، فإننا نشعر أنه من الظريف أن ننتقص من قدر أولئك الذين يحيطون بنا».

يقول أفلاطون فى «القوانين» إن أكبر الشرور هى تلك التى يعبر عنها بقوله إن كل إنسان بالطبيعة يحب نفسه ، وهذا يتطلب من كل فرد أن يتجنب حب الذات المبالغ فيه(٥٧) ، ويحذرنا أفلاطون قبل ذلك بعدة سطور من مخاطر الحسد، ويعقد مقارنة بين ما يعود على الدولة من نعم من إنسان تخلو نفسك من مشاعر الغيرة والحسد وبين ما يعود عليها من إنسان غيور «وهكذا ، فليكافح كل إنسان بكل حرية ، كى يحصل على جائزة الفضيلة ، وليت الحسد يختفى فإن الطبيعة غير الغيورة تزيد من عظمة الدولة، فإن الإنسان غير الغيور حينما يتنافس لاينسف السمعة الطيبة لأى إنسان ، ولكن الإنسان الغيور ، الذى يشعر أنه سوف يحصل على الأفضل عن طريق الافتراء على الآخرين، يكون أقل حيوية فى سعيه وراء الفضيلة الحقة ، ويجبر الآخرين على فقدان الأمل بافتراءاته الكاذبة عليهم . وهكذا، فإنه يجعل المدينة كلها تدخل الساحة غير متمرسة على ممارسة الفضيلة ويقلل من عظمتها ما

استطاع إلى ذلك سبيلا»[٥٨] لقد تعمدت تأجيل الاقتباس من أفلاطون إلى هذه النقطة ، وأنا أعترف بذلك بكل صراحة ، حتى أقلل جزئيا ، من التأثير الذى سوف يحدثه جزء كبير من هذا الفصل على مشاعر القارئ المعاصر . ولكن أفلاطون فيلسوف ، بالرغم من أن محاورة «القوانين» قد تكون صورة أكثر عملية من المحاورة الأقدم «الجمهورية» ، فسوف نلاحظ أيضا فى نفس الوقت أن بلوتارخوس ينفى أن هناك دولة لم تعرف الحسد والغيرة والتنافس[٥٩] ولقد تعهدت منذ فترة طويلة ، أن أوضح إذا ما كان الحسد كما عرفه الإغريق ، قد أدى إلى الأنانية والضغينة والنفور الشخصى والرغبة فى الإيذاء ، والإحساس بالدونية وبالتالى أدى إلى الاستياء . وإننى بالفعل أخشى أنه قد أدى إلى ذلك ، فقد أمكن لنوكوديديس أن يجعل بركليس يقول فى خطبته الجنائزية : إن مدح الآخرين يمكن تحمله فقط إذا ما اعتقدنا أننا شخصيا قد نستطيع أن نفعل المثل ، أما ما يزيد على ذلك فسوف يثير حسدنا ويجعلنا لانصدقه [٦٠].

ولقد أدرك أفلاطون الخطر الناتج من الحسد وصوره عندما قارن بين ما يساهم به الإنسان المجرد من مشاعر الحسد فى الحياة وبين الاضطراب الذى يخلقه الإنسان الحسود . وربما أمكننا أن نختم هذا الفصل بملاحظة لاتخلو من القسوة ويجب علينا أن ننتظر بصبر حتى الفصل الأخير ليمكننا أن نفكر فى حلول لمشكلة الحسد، حيث أن الفصول التالية سوف تتناول الدليل فى ترتيب زمنى ، ولم يحدث فى العصور القديمة أن وجدت الفلسفة والدين حلولا لمشكلة الحسد سوى فى فترة متأخرة . لقد تناول هذا الفصل الحسد بشكل عام ، وقد أدى ذلك إلى أن نبدأ بهسيود (حوالى عام ٧٠٠ ق . م) ، وأن ننتهى بالفقرة الأخيرة التى يقدمها لنا كل من أفلاطون وبلوتارخوس وثوكدديدس الذين عاشوا فى القرن الرابع ق . م والقرن الأول والثانى الميلادى ، والقرن الخامس ق . م على التوالى .

إن مثل هذا الترتيب الزمنى قد يوحى بأن رحلة طويلة ، وأتمنى أن تكون مجزية ، تنتظرنا . إن ما سوف تكشف عنه هذه الرحلة ليس منقطع الصلة بموقف الإنسان المعاصر .

وبالرغم من ذلك، وفيما يتعلق باللحظة الأنيه، علينا أن نلاحظ أنه طبقا للمفهوم الإغريقى كان الحسد شعورا فطريا فى الطبيعة الإنسانية ، أى لم يكن مجرد نتيجة للظروف البيئية أو للتجربة ، وإن كان يجب علينا أن نميز بين الحسد والتنافس ، بالرغم من سهولة الخلط بينهما ، وأخيراً فقد ارتبط الحسد بمفهوم الشرف والتقدير وهو ما يصدق أيضا على جزء كبير من نظام القيم الإغريقى .

الهوامش

١ – هسيود Hesiod

كان الشاعر الإغريقى هسيود من أبناء المزارعين نشأ أول ما نشأ مزارعا ثم حُبب إليه العلم وشغف بالمعرفة فتزود منها بما شاء . وحين مات أبوه جار عليه أخوه واغتصب نصيبه من مزرعة أبيه فرفع هسيود مظلمته إلى القضاء فلم ينصفه، مما أثار كامن حسه فإذا لسانه ينطلق بموجدته حكمة وعظه وإذا هو ينظم هذا شعرا وإذا هو يطالعنا بقصيدة «الأعمال والأيام» والتى تضم أبياتا ثمانمئة يشيع فيها النضج والدعوة إلى العدل والقناعة والتعاون وتتخللها عظات وابتهالات إلى الآلهة فضلا عما تتضمن من وصف للحقل والزراعة وفصولها وآلاتها والماشية والرقيق الذين يعملون فى الحقول . وحين خطا الزمن بهسيود وضع قصيدته «أنساب الآلهة» التى ضمن أبياتها الألف حياة الآلهة ومعتقدات الناس وتعد بحق أقدم وثيقة أرخت للعقائد الدينية فى اليونان، ولعلها كذلك السجل الجامع لأساطيرهم . وقد سمى هذا النوع من الشعر «بالشعر التعليمى» نحا فيه الشعراء ، منحى البحث العلمى وفحص الحقائق وعلاج الأخطاء الخلقية والتدليل على قدرة الآلهة .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Beye , C . R . : Ancient Greek Literature and Society (1975) , Burn , A . R . : The World of Hesiod . 2nd ed . (1966) , Solmsen , F . : Hesiod and Aeschylus (1449) .

(المترجمة)

٢– Verses 224-25 , Cf - also 211 FF .

٣– Verses 226 -32 .

٤– Verses 11 FF .

٥– Verse 311 .

٦– Verses 312-13 .

٧– Verses 477-482 .

٨– Verses 25-26 .

٩– James Hastings (ed.) Encyclopaedia of Religion and Ethics , 5 , Edinburgh , 1912 , p . 322 .

١٠– هيرودوت Herodtus (٤٨٥-٤٢٨ ق . م)

ولد فى مدينة هاليكارناسوس بآسيا الصغرى ، وسافر إلى كثير من المناطق والبلدان، اطلق عليه شيشرون لقب «أبو التاريخ» . كان مفهوم هيرودوت للتاريخ أكبر من مجرد رصد الأحداث السياسية أو الوقائع العسكرية فقد كان يؤمن أن الملابسات التى تحيط بالناس هى التى تدفعهم إلى هذا الاتجاه أو ذاك ولقد كان هيرودوت شاهد عيان لكثير مما يرويه من احداث ، وهو يتميز بانسياب روايته التاريخية فى سلاسة مع الافاضة فى التفاصيل ، ولقد تأثر فى ذلك بالموروث الملحمى وكذلك بالتراجيديا ، إلا أن الشكل الغنى الذى ابتدعه لعمله التاريخى هو من نبات أفكاره . فقد كان يتمتع بشخصية الأديب المبدع والمفكر المتفلسف ، كما يتمتع بعقلية الباحث المدقق واسع الافق المتفتح على العالم والمتقبل لوجود الآخرين حتى لو كانوا مختلفين .

لمزيد من المعلومات أنظر .

Fornara , C . W . : Herodotus (1971) , Glover , T , R . : Herodotus (1924 , rep . 1970) , How , W . W . : & Wells , J (eds.) : A commentary on Herodotus 2 vols, (1928) ImmerWahr , H. R . : Form and Thought in Herodotus (1966) , Myres, T . L : Herodotus . Father of History 1953 , reper. 1971) .

(المترجمة)

١١- 3 , 80 , 3 .

١٢- 18 , 3 .

١٣- 18 , 315 .

١٤- 7 , 236 , 1 .

١٥- 7 , 237 , 2-3 .

١٦- ثيمستوكليس Themistocles (٥٢٤-٤٦٠ ق .م)

واحد من أعظم السياسيين الأثنيين ، وهو مؤسس الأسطول الاثينى الذى بفضله استطاعت أثينا تكوين امبراطوريتها العظيمة . فى عام ٤٨٣ ق . م حث أثينا على بناء أسطول من عائد مناجم الفضة التى تم اكتشافها حديثا ، وبفضل خططه وسياساته الذكية استطاعت اثينا دحر جيش اكسركسيس فى معركة سلاميس (٤٨٠ ق .م) . وبعد ذلك بقليل أصبحت أثينا سيدة حلف ديلوس واختفى ثيمستوكليس لفترة عن الساحة السياسية واختفت اخباره إلى أن تم نفيه عام ٤٧٢ ق .م بدعوى أنه كان يتآمر مع الفرس .وتقول بعض المصار أن ثيمستوكليس انتحر عندما كان عليه أن يشن هجوما بحريا لمصلحة الفرس ضد موطنه أثينا .

لمزيد من التفاصيل أنظر :

Podlecki , A . L : The Life of Themistocles (1975) .

(المترجمة)



١٧- 8 , 123-124 .

١٨- 8 , 125 , 1 .

١٩- 4 , 104 .

٢٠- ستوبايوس Stobaeus

عاش فى القرن الخامس الميلادى وألف كتابا يحوى مقتطفات مختلفة من الشعراء وكتاب النثر صنفها طبقا للموضوعات .

٢١- Anthologium 3 , 38 = Hippias DKB 16 .

٢٢- Verses 176 FF .

٢٣- Richmond Lattimore , University of Michigan Press, Ann Arbor 1959 .

٢٤- Verses 28 , 196 .

٢٥- Verses 383 FF .

٢٦- Verses 384 .

٢٧- Aristotle : Rhetoric , 1387 b - 1388 b .

٢٨- 1 , 36

٢٩- بلوتارخوس (٤٦-١٢٠م) :

واحد من أهم المؤرخين الاغريق الذين عاشوا فى بدايات العصر الرومانى . ذاعت شهرته بسبب كتاباته التى سجلت حياة العديد من الشخصيات البارزة فى التاريخ الإغريقى والرومانى. كما كتب مقالات عديدة تناولت شتى نواحى الحياة سياسيا وفلسفيا ودينيا وأدبيا ، جُمعت كلها تحت اسم Moralia ولكنها لم تنل من الشهرة ما نالته كتاباته التاريخية . ولد بلوتارخوس فى خيرونيا التى تقع بالقرب من دلفى ولكنه لم يستقر بها طويلا وإنما جاب بلاد الإغريق كلها طولا وعرضا كما زاد العديد من الدول الأخرى .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Barrow , R . H . : Plutarch and His Times (1467) , Jones , C . P . : Plutarch and Rome (1971) , Russell , D . A : Plutarch (1973) .

(المترجمة)

٣٠- Moralia 487 A - B .

٣١- 242 a .

٣٢- 15 , 217 .

٣٣- 7 , 1 - FF .

٣٤- 7 , 3 .

٣٥- 2 , 44 , 4 .

٣٦- 2 , 32 .

٣٧- 5 , 134 .

٣٨- Verses 763-64 .

٣٩- 1 , 129 , cf . 2 , 145 .

٤٠-

٤١- Moralia 486 B .

٤٢- Ibid . 537 B .

٤٣- كسينوفون Xenophon (٤٣٠-٣٥٤ق .م)

ولد كسينوفون حوالى عام ٤٣٠ ق. م وتعرف على سقراط عند نهاية القرن الخامس ، وأعجب به ايما اعجاب . ويعد كتابه «الحملة» رائعة كسينوفون ، فهو بالإضافة إلى قيمته الأدبية العالية يقدم كما ضخما من المعلومات الجغرافية والاثنولوجية عن آسيا الصغرى أما كتباه «تربية قورش» فيمكن اعتباره أول رواية تاريخية أو قصة نثرية أخلاقية الطابع تصلنا من العالم القديم . فهى تحكى قصة قورشى منذ طفولته وإلى موته مع إبراز الجانب التربوى . وقد سجل احاديث سقراط له فيما يعرف باسم «المذكرات» وفيها تختفى تلك الروح التى سادت ابان عصر بركليس وحلت محلها الحلول التوفيقية . ومن مؤلفاته الأخرى «الادارة»، والمأدبة هيرون ودستور اسبرطه و«الأمور الهللينية» .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Anderson . I . K . : Xenophon . (1974) , Higgins , W . E . : Xerophon the Athenian ; The Problem of the Individual and the Society of the Polis (1977) , Strauss , L : Xenophon`s Socratic Discourse (1970) .

(المترجمة)

٤٤- 1 , 4 , 15 .

٤٥- 8 , 2 , 27 .

٤٦- 8 , 2 , 28 .

٤٧- Rhetoric 1387 b .

٤٨- 2 , 18 .

٤٩- 11 , 12 .

٥٠- Verses 35 FF .

٥١- Verses 136 FF .

٥٢- Verses 14 li - 45 .

٥٣- Verses 283-84 .

٥٤- 1387 b .

٥٥- Verses 46 FF .

٥٦- 1371 b .

٥٧- 371 d - 732 b .

٥٨- 731 a - b , Benjanim Jowtt`s translation .

٥٩- Moralia 86 . c .

٦٠- 2 , 35 , 2 .

الفصل الثالث

غيرة الآلهة : (١) الأمراء الشرقيون

لقد كان هراكليس وديونيسوس من الآلهة ، وإذا كنا نبحث موضوع الحسد ومظاهره فى المجتمع الإغريقى ، فإن أول ما نفكر فيه تقريبا هو حسد الآلهة أو Phthonos theon . ويُعتبر هذا الربط أكثر من مجرد مفاجأة صغيرة ، لأننا نتصور دائما أن الشخص المحسود يملك شيئا ، ، سواء كان صفة أو ملكية ، يريدها الشخص الذى يشعر بالحسد لنفسه، وإذا ما أردنا صياغة الأمر بكلمات أخرى فإن الشخص المحسود يكون أسمى بينما يكون الشخص الذى يحسد فى وضع أدنى . ولكن الحسد الذى يشعر به أحد الآلهة تجاه أحد البشر الأقوياء سببه أنه من المحتمل أن يفقد هذا الإله ما يملكه بالفعل وأنه لايرغب فى أن يشاركه فيه الآخرون الذين يقلون عنه فى المكانة، حيث أن مجرد المشاركة تعنى تقليل المزايا ، وحسد الآلهة سببه رغبتهم فى الاحتفاظ لأنفسهم فقط بشئ يحاول الكائن البشرى أن يحصل عليه ولايفقده . ولكن ، كما سبق ورأينا ، فإننا نعرف أن التقدير أمر نسبى وأن مكسب شخص ما يعنى خسارة شخص آخر ، ففى مقابل كل فائز هناك أيضا شخص خاسر . وهكذا فإن الحسد يمكن أن يوجه إلى محدث النعمة، فهو يتجه إلى أسفل مثلما يتجه إلى أعلى، ومما لاشك فيه أن الإصرار على تحسين وضع الشخص فى أى جماعة أو فى أى مجتمع أمر مهم للغاية .

وإذا كانت آلهة هوميروس تتباهى بأنها تشبه الإنسان فى مجال وفى نوعية عواطفه ، فإن هذا يعنى أنه يمكنهم تماما الإحساس بمشاعر الحسد، وبالرغم من أننا لاننجح فى اكتشاف شئ فى أشعار هوميروس يمكن مقارنته بمفهوم الحسد الإلهى الذى ارتبط بهيرودوت وايسخولوس وبندار فى القرن الخامس ق . م . فى أحد أجزاء «الأوديسيا» تخبر كاليبسو هرميس بأن الآلهة غيورين أكثر من غيرهم بكثير [١]. وتبرر هذه الفقرة بعض الاستطراد ، الذى سوف يسمح بتعليق عام على شكل آخر من أشكال الغيرة ، لعل أفضل ما يُطلق عليه هو «الغيرة الجنسية» . لقد وصل هرميس لتوه إلى جزيرة كاليبسو ومعه أوامر لها بأن تطلق سراح أوديسيوس وأن ترسله إلى وطنه [٢]. وعلى مضض توافق كاليبسو وتقول : «إنكم أيها الآلهة تحسدون الإلهات على علاقتهن مع البشر كما يثبت ذلك علاقة ربة الفجر مع أوريون وعلاقة الربة ديميتير وجاسيون Jasion [٣].

وهنا نجد تلميحا واضحا للغيرة الجنسية ، خاصة إذا ما تذكرنا أن الإغريق قد وضعوا معايير مختلفة للسلوك الجنسي الذى يناسب الذكر والأنثى . وسوف يتضح هذا إذا ما تركنا هوميروس لحظة وتحولنا إلى التراجيديا الإغريقية : فنجد كليتمنسترا ، وهى شاهدة متحيزة بشكل لايمكن إنكاره ، تقول فى مسرحية يوربيديس «اليكترا» إن الزوجة التى تبحث عن الحب خارج الأسرة تجلب على نفسها العار ، بينما لايضحى الزوج الخادع بشئ من سمعته [٤]. إن أكبر مثال لمشاعر الغيرة الجنسية تقدمه الزوجة التى ترى زوجها يحضر إلى المنزل سيدة أخرى، مثلما رأت كليتمنسترا أجاممنون يحضر الأميرة الطروادية كاسندرا . هناك أيضا اثنتان من النساء هما ديانيرا وايولى وكانتا زوجة وعشيقة لرجل واحد بحسب ترتيب ذكرهما ، وإذا ما صدقنا الشاعر باخيليديس فقد كانت الغيرة القوية (Phthonos) هى المسئولة عن تدمير ديانيرا [٥]. إن الكلمات الحادة التى تبادلتها الزوجة هرميونى والعشيقة اندروماخى يفسرها بيتان قالهما الكورس : «إن النساء غيورات بطبيعتهن وهن دائما شديدات العداوة لمن ينافسهن فى الحب[٦] وعندما تتكلم أندروماخى، تتلقى هرميونى درسا فى أن الزوجة يجب أن تكون دائما راضية بزوجها وألا تنافسه فى الزهو بالنفس ، بالرغم من أن ذلك الزوج قد لايستحق ذلك ، فهل كانت هرميونى ستقتل عشيقات زوجها إذا كانت قد تزوجت من ملك تراقيا حيث يعاشر الرجل زوجات عديدات كل حسب دورها ؟ وتستمر إندروماخى قائلة «إنه إذا ما حدث ذلك وقتلت الزوجة عشيقات الزوج فإن النساء سوف تُتهم بأنهن نهمات جنسيا[٧] ولكن ماذا عن العلاقة الزوجية بين أندروماخى وزوجها السابق هكتور ؟ وفقا للكلمات التى وضعها الشاعر على لسان أندروماخى ، فقد كانت أندروماخى تتحمل وتصبر إذا ما أضلته عاطفته ، لدرجة أنها كانت ترضع من ثديها أبناء زوجها غير الشرعيين ، وهكذا ربطت هكتور إليها بالفضيلة [٨].

وبالطبع فإن تصرف أندروماخى يبدو غير مألوف بالمرة ، وما يتوقعه المرء من امرأة حلت أخرى محلها فى عواطف زوجها هو عنف ميديا أو انتقام الزوجات الفارسيات المخيف ، وهناك مثلان يمكننا اقتباسهما من هيرودوت : يصور المثال الأول زوجة قورش الأكبر التى وجدت سيدة مصرية أخرى تحل محلها فى قلب زوجها ، وكان سخطها قويا لدرجة أنها ، طبقا لإحدى الروايات ، اقنعت ابنها قمبيز بغزو مصر عندما تخلف قورش عن ذلك [٩]. أما الانتقام الأكثر بشاعة فقد قامت به زوجة الملك كسركسيس[١٠] ، وكانت الضحية هذه المرة أم المرأة التى

فضلها كسركسيس عليها : فقد أطلقت العنان لضغينتها فقامت بتشويه جسد أم منافستها ، فقد قطعت صدر تلك المرأة وألقت به إلى الكلاب لتأكله ، كما قطعت أنفها وأذنيها وشفتيها ولسانها [١١].

ما زال الرجال يتلذذون بمغامراتهم الجنسية ، سواء كانت حقيقية أم خيالية ، بينما يطلبون الاخلاص التام من زوجاتهن اللائى أساءوا إليهن إلى حد بعيد ، فمن المحتمل أن زيوس قد مارس ما لايُعد ولايُحصى من العلاقات الغرامية ، ولكن هيرا لم تُتهم مطلقا بالخيانة ، كما كانت النساء خاضعات لأقصى الضغوط داخل نطاق العائلة . إن الغيرة الجنسية التى تأخذ صورة الرغبة فى حماية نساء العائلة من محاولات الدخلاء تتضح من إجابة أودسيوس على ألكينوس، فعندما ينتقد ملك الفياكيين ابنته لأنها لم تحضر الغريب إلى البيت طوال الطريق ، يدعى أودسيوس أن ناوسيكا كانت راغبة فى ذلك بشدة ، ولكنه هو شخصيا الذى رفض ذلك، وذلك حتى لاتسبب غضب والدها «فإننا نحن الرجال نغار بشكل مخيف» [١٢]، وفقا لملاحظة البطل اللبقة .

بالإضافة إلى ذلك ، هناك الفوارق «الطبقية» ، وقد أصبحت هذه الفوارق أكثر صرامة بقانون الشرف خاصة بين مجموعات متباينة مثل الآلهة والبشر : إن على البشر أن يقصروا اهتمامهم على ما يدخل فى نطاق شئون البشر فقط [١٣]، إن كاليبسو وأوديسيوس يستمتعان بعلاقتهما ولكنهما لم يكونا زوجين ، ولكن الإيمان بفكرة أن الزواج بمن هو أدنى يجلب العار[١٤]، كان ينعكس على من يرتبطون بعلاقة غير شرعية ، وإذا كان هرميس سيحتاج إلى مجادلة كاليبسو ، فقد كان سينطق بكلمات تعبر عن مثل تلك المشاعر التى نطقت بها فيدرا فى مسرحية « **هيبوليتوس** » ليوربيديس، عندما يتحدث ذلك الكريتى الأرستقراطى عن انهيار الزواج بسبب ذلك المثال المسكين الذى وضعته الأسر الأرستقراطية حيث يوحى بالتشدد ، بينما يطلق للعاطفة العنان ، وهكذا ينتشر الفساد من خلال تلك المخلوقات الدنيئة . لقد أصبحت النساء مسئولات ، رغم كونهن متزوجات .

إن شخصية هيبوليتوس تساعدنا فى فهم سبب آخر لشعور آلهة هوميروس بالغيرة. إن هيبوليتوس يهين الربة أفروديتا ويتسبب فى دماره شخصيا بسبب فشله فى الاعتراف بهذه الربة أفروديتا . لقد حددت الآلهة الامتيازات بشكل جيد، ويحق لهم أن ينالوا قدرا من الاحترام . والإنسان الذى لايمتثل للآلهة ولايهتم بهم بالقدر الكافى يصيبه البلاء ، سواء كان

شخصية فى دراما القرن الخامس أو بطلاً من أبطال الملاحم الهومرية . ويقدم مصير أجاكس فى المسرحية التى تحمل اسمه لسوفوكليس لنا درسا مفيدا . وفى «الإلياذة» يغضب بوسيدون لأن الإغريق قد بنوا حائطا لحماية سفنهم دون أن يقدموا القرابين للآلهة ، وهذا الحائط سوف يجعل الناس ينسون الحائط الذى بناه أبوللو بوسيدون [١٥]. ويقال أيضا إن أرتميس قد غضبت لأن أوينوس Oeneus قد أهمل تقديم القرابين لها من دون الألهة جميعا [١٦]. وفى مسابقة رمى السهام التى كانت جزءاً من الألعاب التى أقيمت تكريما لجثمان باتروكلس Patroclus ، أهمل تيوكر Teucer أن يعد الإله أبوللو قربانًا مناسبًا [١٧]، فكانت النتيجة أنه لم يصب الهدف ، فقد بخل عليه أبوللو بذلك [١٨]. وتقدم لنا قصة عابدات باكوس مثالا شديد التطرف لإهمال أحد البشر لإله من الآلهة ولقد عرف هوميروس هذا النوع من أسطورة «المقاومة» ، فهو يشير فى الإلياذة للملك ليكورجوس ولمحاولته الفاشلة فى القضاء على احتفالات ديونيسوس الدينية .

بالإضافة إلى ذلك ، فإنه من الممكن أن تصبح الآلهة حقودة تماما. إذ أن كل ما تستطيع أرتميس أن تفعله للانتقام من أفروديتا ، فى مسرحية «هيبوليتوس» ، هو أن تهدد بالانتقام فى المستقبل من إحدى المقربات لشقيقتها [١٩]، مثلما حدث فى «الإلياذة» ، فعندما ألقى أبوللو السوط من يد ديوميديس [٢٠]، أعادته إليه اثينا مرة أخرى ، بل أكثر من ذلك ، فقد حطمت عربة يوميلوس Eumeles [٢١].

إننا نسمع بشكل عام ، خلال القصائد الهومرية ، عن حسد الآلهة فى جمل مبهمة تعكس تساؤل الإنسان الهومرى ، ولكن هذا الجمل المبهمة لاتساهم فى تكوين نظرية عن حسد الآلهة على الأقوياء . وهكذا ، عندما يلتقى أودسيوس وبنيلوبى مرة ثانية ، فى الأوديسيا ، تقول بنيلوبى إن الآلهة تحسدهم لأنهم سوف يقضون حياتهم معا[٢٢] . ويتكلم مينيلاوس عن حسد الإله لأنه هو وأودسيوس سوف يتحدان معا [٢٣]. ويشير ألكينوس إلى أنه سمع من ناوسيثيوس Nausithous أن بوسيدون يحسد الفياكيين على وظيفتهم كمرشدين لجميع البشر[٢٤]. ويقال ، فى «الإلياذة» أن حسد (agassato) أبوللو قد أوقف نجاح مينيلادس فى ميدان القتال[٢٥]. بالإضافة إلى ذلك ، يمكن أن يستخدم هوميروس الفعل Phthonein بحيث لايعنى أكثر من «لايرغب»، ففى «الإلياذة» تحاور هيرا زوجها زيوس وتتعهد له بألاّتقف فى

وجهه إذا ما أراد تدمير أرجوس أو إسبرطة أو موكيناى ، وتقول إننى لا أحسدك عليها ، وتضيف قائلة : فإذا كنت لا أرغب (Phthoneo) ولا أوافق على تدميرهم ، فإننى لن أحقق أية فائدة من عدم موافقتى، حيث أنك أكثر قوة منى » [٢٦]. وفى قصيدة هوميروس الثانية ، يحاول الشحاذ إيروس Irus النيل من أودسيوس المتخفى لأنه من المحتمل أن ينافسه ، ولكنه يتلقى إجابة حاسمة من البطل الذى يقول «إننى لن أقول ولن أفعل أى شئ قد يضرك ، وإننى لن أستاء (Phthone) ممن يعطيك ، رغم أن العطية قد تكون سخية[٢٧]. إن إنسان هوميروس يعى الهوة التى تفصله عن الآلهة ، بالرغم من أنه قد يدعى أنه ينحدر من أصل إلهى، وأن زوجته تنتسب للالهة . إن إجابة مينيلاوس فى الأوديسيا مهمة فى هذا السياق ، فعندما يتأثر الشاب الصغير بشدة من فخامة القصر الاسبرطى[٢٨] ويشعر أنه يشبه قصر زيوس لشدة فخامته ، يقول له مينيلاوس بسرعة أنه ما من بشر ينافس زيوس فى سكنه وممتلكاته كلها خالدة[٢٩] إن غياب المنافسة يعنى عدم وجود مبرر لمشاعر الغيرة .

ومما لاشك فيه أن الشعر الغنائى الإغريقى قد عرف مجرمين كبار حاولوا الاستيلاء على ما يخص الآلهة مثل تيتيوس الذى مارس العنف مع ليتو عشيقة زيوس [٣٠]، والعملاقان اوتوس Otos وافيالتيس Ephialtes اللذان حاولا الصعود إلى السماء، وسالمونيس Salmoneus الذى أراد طبقا لكتالوج هسيود [٣١]، أن يحتل مكان زيوس ، ورغم أنهم جميعا قد نالوا عقابهم ، فلم يقال إنهم ضحايا حسد الآلهة . والواقع أنه كان علينا الانتظار حتى القرن الخامس ق . م حتى نلتقى بفكرة الحسد الإلهى Phthonos theon الذى يحل بالإنسان المتغطرس . ولكن لماذا تظهر هذه الفكرة فى نصوص تلك الفترة ؟ وهل يجب علينا أن نبحث عن تغيير عميق وغريب فى موقف الإغريق من الآلهة ؟ أم هل يوجد تفسير أبسط وأكثر احتمالا وأكثر إقناعا ؟ إننى أعتقد أن الأمر كذلك وأن الفقرات التى اخترناها تقدم التفسير فعلا . ولقد لاحظنا من قبل أن العلاقة بين هراكليس وديونيسوس فى «الضفادع» علاقة تكدرها لعنة التنافس العائلى، وهو نوع الغيرة التى يجسدها الصراع بين الأخوين الأسطوريين بولينيكس وإبتوكليس واتريوس وثيستيس Thystes . إن الصراع على العرش هو أحد أشكال الصراع على الممتلكات ، ويوضح ديزموند موريس Desmound Morris كيف «تتصارع الحيوانات فيما بينها لسبب وجيه أو لسببين ؛ لكى تؤكد سيادتها فى هيراركية اجتماعية أو لكى تؤكد حقوقها الإقليمية على منطقة محددة من الأرض [٣٢]. إن التعطش للأرض المنتجة

وما يخلقه مثل هذا التعطش من حسد يكشف عنه ما يحكيه هيرودوت فى إحدى رواياته عن طرد البلاسجيين من أتيكا : فمن الواضح أنهم قد منحوا قطعة أرض عديمة الجدوى فى اتيكا أجراً لهم لأنهم بنوا السور الذى يحيط الأكروبول فى أثينا ، ولقد استطاع البلاسجيون أن يصلحوا هذه الأرض وحققوا قدرا من النجاح لدرجة أن الاثينيين ، بعد أن تملكتهم الغيرة والحسد (Phthonos) والرغبة فى الحصول على هذه الأرض، قد قاموا بطردهم من اتيكا [٣٣].
وربما يتضح التنافس والشك الذى قد يفسد الود بين الإخوة كأحسن ما يكون فى الإجراءات التى كان يوزع الميراث بمقتضاها فى بلاد الإغريق وذلك بتقسيم الميراث إلى أجزاء متماثلة ثم يسحب الإخوة القرعة لتحديد من الذى يحصل على نصيب معين[٣٤] . ويقول ديڤيز J. Davis فى مناقشته لنظام التوريث فى الدراسة التى أجراها على شعوب البحر المتوسط : «أن الأبناء يبحثون بشكل دائم عن المساواة فى تقسيم الميراث ومن ناحية فهذه مسألة مبدأ أساسى بين طرفين ، ومن ناحية أخرى وبطريقة مباشرة أكثر فهى مسألة غيرة إذا ما امتاز أحد الأشقاء ببداية لحياته أفضل من الآخر [٣٥].

وربما كان يجب على ديڤيز هنا أن يقتبس مقالة بلوتارخوس التى تدور حول الحب الأخوى والموجودة ضمن كتابه Moralia[٣٦] حيث يقول بلوتارخوس فى أحد المواضع إن البعض يمنحون المحظيات والعاهرات المنازل والأراضى ولكنهم يبارزون شقيقهم من أجل قطعة أرض أو من أجل ركن فى منزل [٣٧]. ويستمر المؤرخ الإغريقى فى حديثه ويلاحظ كيف يلعب العديد من الأشقاء دور الديماجوجى ضد أشقائهم من أجل أن يحتفظ لنفسه فقط بود والديه ، بالرغم من أنه يجب عليه ألاَّ يشارك الأب فى أى سخط قد يشعر به تجاه أولاده وأن يحاول استعادة العلاقات المتجانسة[٣٨] . حيث أن ذلك يحقق ميزتين ، الأولى أنه يقلل من حجم الغضب تجاه الشقيق المغضوب عليه، كما تكسب الأخ الذى يحاول الإصلاح حب الأب أكثر . وعادة ما يكون ذلك خليطا من الأخلاق والمنفعة التى تكسب الفعل شكلا محددا . ولكن المشكلة الحقيقية تبدأ عندما يموت الأب : فعندما يجب تقسيم التركة بين الأشقاء ، لايجب أن تعلن الحرب كما يحدث مع الأغلبية فيأتوا مستعدين للمعركة ، بل يجب عليهم أن يكونوا واعين لذلك اليوم، فهو بداية عداوة ونزاع لا علاج لهما بالنسبة للبعض ولكنه بداية صداقة وانسجام للبعض الآخر [٣٩]. فماذا يُفيد أن تحصل على عبد على حساب حب وثقة أخيك وهو أكثر قيمة من الميراث ؟ إن أمثلة شائنة وأمثلة جديرة بالثناء تنطبق على رسالة بلوتارخوس وتؤكد

العديد من القضايا المقتطفة من سولون وأفلاطون وبيتاكوس Pittacus [٤٠]. وتوجد معالجة أكثر تفصيلا عن ذلك، ولكننا نفضل تأجيل مناقشتها إلى وقت لاحق ، بالرغم من أنه يجدر بنا التعرف على مثال تاريخي واحد للنزاع بين الأشقاء على الزعامة لكى نضعه بجانب مثالى بولينيكس وايتيوكليس واتريوس وثيستيس : ففى أواخر القرن السادس كان يحكم جزيرة ساموس الطاغية بوليكراتيس Polycrates الذى سوف تسمع عنه مرة أخرى فيما بعد . يخبرنا هيرودوت أن بوليكراتيس كان يقتسم السلطة فى البداية مع اثنين من أشقائه ولكنه قتل أحدهما فيما بعد ونفى الآخر [٤١].

لقد كان كل من بولينيكس وايتيوكليس يمسك بخناق الآخر، وإذا نظرنا لمسرحية «انتيجونى» لسوفوكليس ، فسوف نرى أن شقيقتيهما أنتيجونى واسمينى كانتا فى حالة تنافر ، فقد كانت كل منهما لاتنسجم مع الأخرى . ولكن كانت أنتيجونى تشعر بحاجتها القوية لدفن جثة شقيقهما بولونيكس ، لدرجة أنها كانت مستعدة أن تتحدى قرار كريون الذى يمنع دفن جثته . وباختصار ، يبدو أن أنتيجونى كانت تكن لأخيها من الحب قدر ما تفتقر الحب تجاه أختها اسمينى . وهنا تجد مثالا للتنافس والكراهية بين أفراد العائلة من نفس الجنس : بولونيكس واثيوكليتس ، أنتيجونى واسمينى ، ولكننا نجد رابطة قوية بين أفراد العائلة المختلفين فى الجنس : بولونيكس وانتيجونى . ونفسر هذا التناقض الواضح بسهولة إذا ما تذكرنا أن الإغريق كانوا يحددون وظيفة وصفات مختلفة لكل من الجنسين : «فالرجال والنساء يختلفون أخلاقيا كما يختلفون جسمانيا ، وكل منهم يقوم بدور مختلف ، ومتميز تمامًا ، فى المجتمع ، وبادائهم لدور مختلف لايستطيع أحدهما أن ينافس الآخر . وكما سبق ولاحظت ، فإن غياب المنافسة يعنى عدم وجود مجال للإحساس بمشاعر الغيرة ، فحين لايوجد مجال للمنافسة لاتوجد عداوة ، فيما عدا إذا كان أحدهما يعمل فى نفس الحقل. وفى الأسرة اليونانية الحديثة يتم تشجيع الإخوة كى يعمل كل منهم فى مجال مختلف ، فيبقى أحدهم فى مزرعة الأسرة ، ويصبح الآخر موظفا حكوميا ، بينما يؤهل الثالث نفسه كى يصبح مدرسا. وكأنهم تقريبا يتبعون نصيحة بلوتارخوس ، تلك النصيحة التى تقول إن الأخوة يجب ألا يسعوا إلى نيل التقدير وإلى الحصول على القوة من نفس المصدر ولكن من مصادر مختلفة[٤٢] ومن الواضح أنه يعتبر اشتغال الإخوة بنفس المهنة أمرا سيئا مثل وقوعهم فى حب نفس المرأة[٤٣].

ومن الملاحظ أن المنافسة بين الإخوة فى أوساط الرعاة الجراكسة فى بلاد اليونان الحديثة قد تلاشت وذلك بتشجيع كل أخ أن يتخصص فى مهارة معينة، فبينما يكون أحدهم متميزاً كأفضل من يصنع الجبن ، يتخصص الآخر فى تسمين الحيوانات الصغيرة ، بينما يتميز الثالث بمهارته الخاصة فى حلب النعاج . وهنا يستدعى المرء مرة أخرى بضع سطور لهسيود من قصيدته «الأعمال والأيام» حيث يخبرنا عن التنافس بين الخزافين والصناع والشحاذين والمطربين[٤٤] ، أو قد نتحول للتاريخ حيث لاتنتهى سلسلة المشاجرات على توافه الأمور بين الملوك الاسبرطيين المختلفين . ويبدو أن الملكية الثنائية التى مارسها الاسبرطيون قد تميزت بالصراع بين الملكين اللذين يملكان المنصب منذ البداية [٤٥]. ومن أشهر أمثلة الملوك الذين لم يستطيعوا التعاون معا كليومينيس Clemenes وديماراتوس Demaratus[٤٦] ويبدو أن التنافس بين أعضاء المهنة الواحدة يتميز بنفس قسوة التنافس بين أفراد العائلة الذين ينتمون لنفس الجنس .

وقد يتساءل القارئ أين نحن الآن ؟ فقد انحرفنا بعيدا ، أو على الأقل هذا ما يبدو ، عن تفسير سبب تطور مفهوم حسد الآلهة بحيث أصبح منتشراً لهذه الدرجة عند هيرودوت وايسخولوس وبندار . ولكن النقطة التى أردت أن أوضحها أن الحسد يوجه ضد «من يشتركون فى نفس المكانة» وهو ما ينطبق على الأشقاء وعلى الملوك الإسبرطيين . وفى محاورة أفلاطون «ليسيس» Lysis يقتبس سقراط من قصيدة «الأعمال والأيام» عن الغيرة المهنية . فعند مناقشة موضوع الصداقة ، يقول سقراط إن الصداقة تعتمد على الاختلاف ، وليس على المبدأ القائل بأن الأشباه تتجاذب «فوفقًا لنظام الكون المعصوم من الخطأ ، فإن أى شيئين متشابهين تقريبا ، كلما اكتملا أكثر كلما أزدادت غيرتهما وتنافسهما فتزداد الكراهية بينهما » [٤٧]. ويوضح أرسطو فى كتاب «الريتوريقا » أن الحسد (Phthonos) هو ألم مزعج نوجهه ضد الشخص الذى يكونا ندا لنا ويشبهنا بسبب حظه الجيد »[٤٨] أن الناس يشعرون بالحسد تجاه من يشبهونهم أو من يبدو أنهم يشبهونهم (homoioi) ، ومن الأشياء الأخرى التى تثير الحسد : التشابه فى المولد وفى الأسرة، والعمر ، والعادات والشهرة والممتلكات . أى أن الحسد يتفشى بين المتقاربين فى الزمان والمكان والسن والشهرة [٤٩]. وبعد أن يقتبس أرسطو بيت الشعر الذى يقول «إن صلة القربى أيضا تعرف كيف تحسد » ، ويضيف أرسطو إلى قائمة الأشخاص الذين نشعر تجاههم بالحسد أولئك الذين تتنافس معهم دون أن نحصيهم ، أولئك الذين لاتوجد مصلحة لنا فى منافستهم ، ونعنى بهم أولئك الذين ماتوا منذ زمن بعيد

أو الذين لم يولدوا بعد، أولئك البعيدين عنا للغاية سواء كانوا يقلون عنا فى المستوى أو الذين يتعدونا تماما فى المستوى ، ولكن من نتنافس معهم أكثرهم أولئك الذين يبتغون نفس غايتنا ، وهو الرأى الذى يدعمه أرسطو بجزء من البيت ٢٥ من قصيدة «الأعمال والأيام» والذى يقول «إن الخزاف يحسد الخزاف»[٥٠] وبكلمات أخرى تستطيع القول بأننا نحسد أولئك الذين يبدو أن وضعهم أو ممتلكاتهم تدخل فى نطاقنا . وفى الغالب لاتكون الفجوة بين الحاسد والمحسود كبيرة للغاية : إن من يمتلك دراجة بخارية يحسد من يمتلك سيارة عائلية متواضعة أو حتى سيارة رياضية ولكنه لايحسد من يملك سيارة ديملر اورولزرويس ، كما أن العامل اليدوى يحسد جاره الموظف أكثر مما يحسد مدير العمل. وبالتأكيد فإنه ما من أحد يحسد ملكة انجلترا أو الرئيس الأمريكى ، فيما عدا منافس الرئيس الذى هُزم فى الانتخابات بالطبع . وكما يقول الشاعر باخيليوس Bacchylides[٥١] «إن الغنى يرغب فى أشياء كبيرة بينما يرغب الفقير فى أشياء أقل» ، وعادة فإن أستاذ الجامعة يسعده أن يصبح أستاذ كرسى واسع الخبرة ، إن قولى أننا لانحسد الملكة يجد تأكيدا قويا فى الحجة التى يقولها ايسيوكرانيس فى حديثه الذى يؤيد فيه الحكم الملكى : ففى هذه الفقرة يدعى المتحدث أن الناس فى الحكم الأوليجاركى والديموقراطى يؤذون الدولة بسبب طموحاتهم المشتركة والمتداخلة ، ولكن هؤلاء الذين يخضعون للنظام الملكى يبذلون أقصى طاقاتهم «لأنه لايوجد أحد يحسدونه » [٥٢]، أى أن الملك بعيد عن رعيته بقدر لايثير حسدهم ، ولقد سبق وأشرت إلى المناقشة الفارسية التى أوردها هيرودوت والتى قدم فيها ادعاء مماثل لتبرير اعتقاده بأن النظام الملكى أفضل أشكال الحكم [٥٣]. ويخبرنا هيرودوت أيضا كيف أحاط الملك الميدى ديوكوس Deiocus نفسه ببلاط رسمى ولم يكن يسمح لأحد منهم بالوصول إليه مباشرة وإنما كان الاتصال به من خلال رسول. ولقد فعل ذلك ، كما يخبرنا هيرودوت ، لسبب محدد، هو ألا يحزن أولئك الذين يتساون معه فى العائلة وفى الرجولة والذين نشأوا معه عندما يرونه ويتآمروا ضده، ولكن كان يظهر لهم، دون أن يتيح لهم فرصة رؤيته وكأنه ينتمى لجنس مختلف [٥٤]، ولقد ظلت هذه الصفة المميزة، والتى احتفظت بها الطقوس المعقدة للمجلس ، جزءا أساسيا فى النظرية الملكية .

ويؤكد بلوتارخوس أن النجاح يشجع نمو وازدياد الحسد وذلك ضمن العديد من النقاط عندما يقارن بين الحسد والكراهية فى كتابه الأخلاق Moralia . ولكنه فى الوقت نفسه يزعم أن النجاح الباهر دائما ما يخمد الحسد ، ويشير هنا إلى الأمثلة التى يقدمها الإسكندر الأكبر الإغريقى والملك الفارسى قورش الأكبر [٥٥]، ويقوم دليله هنا على منطق أن هؤلاء الذين قهروا

العالم قد حققوا قدرا من النجاح لايطوله الحسد، أى أنهم المعادل القديم للملكة وللرئيس الأمريكى ، ومثلما لايكون هناك ظل على الإطلاق عندما تتوسط الشمس كبد السماء فإن الحظ السعيد يقف فوق رأس الحسد ويجعله يتناقص وينسحب وينكشف أمام تألقه وإشراقه . وكما سنذكر بعد قليل ، فإنه ما من أحد يحسد الإنسان المسكين ، وهكذا يختم بلوتارخوس بقوله إن الحسد يخبو عندما يكون الحظ فى أقصى نهاية أى الاتجاهين .. أعلى أو أسفل .

إن الأمل فى تحقيق وضع مماثل أو حيازة ملكية مماثلة يؤدى إلى الشعور بالحسد. فالملك الفارسى لم يزعجه احتمال الخيانة من جانب الاسبرطى المنفى، رغم أن ذلك الاسبرطى كان ملكا ذات مرة . إن قوة الملك الإسبرطى كانت ضيئلة إذا ما قورنت بقوة الملك الفارسى . والآلهة تحسد البشر فقط عندما يكون لديهم قوة يبدو أنها تقترب من قوة الآلهة أنفسهم ، ولقد تعرف العالم الإغريقى على هؤلاء الرجال عندما واجه الإغريقى الملوك الشرقيين لأول مرة: ففى ذلك الوقت أصبح الملوك منافسين للآلهة وليسوا مجرد أشخاص يحظون برعاية الآلهة كما كانوا فى الإلياذة (٥٦). وأيا كان التحديد التاريخى للمجتمع الذى تصوره القصائد الهومرية ، فمن الواضح أن فترة لايستهان بها تفصله عن مجتمع القرن الخامس ق . م ومن الواضح بنفس القدر أن هذه الفترة قد شهدت تغييرات درامية ، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية فى كل العالم الإغريقى، وأن هذه التغييرات قد أنجبت مجتمعا أكثر انفتاحا وأقل صرامة فى نظامه ، وإننى أعتقد أن نمو المجتمع الأكثر انفتاحا هو سبب آخر فى أن الآلهة وجدت نفسها تشعر بالحسد تجاه الشخص القوى عالى المكانة .

ومن الصعب المبالغة فى تأثير ثراء الحكام الشرقيين على الخيال الإغريقى وذلك عندما احتكوا بهم خلال التاريخ القديم. لقد كان المثل يضرب بضخامة ثروة ميداس Midas(٥٧) وكريوسوس Croesus ، كما توجد إشارة إلى ثروة جيجس Gyges ، ملك ليديا ، خلال النصف الأول من القرن السابع ق . م ، فى أشعار أرخيلوخوس (٥٨). وتعتبر الإشارة إلى جيجس إشارة مهمة للغاية ، إذ تقول الشذرة «من هوجيجس ، إنه غنى يملك الذهب، ولكن ذلك لايزعجنى ، ولم يتملكنى شعور بالحسد (Zelos) تجاهه ، إننى لا أنظر بشوق لأعمال الآلهة ، إننى لا أشتاق بشكل متهور لملكة كبيرة وذلك لأنها بعيدة جدا عن عينى » (٥٩). إننا نرى هنا خليطا من الأشياء المجتمعة : ثروة جيجس ، الحسد ، الآلهة ، الحكم ، وهو ما يقدم تقريبا ملخصنا للموضوعات التى نناقشها الآن ، وحيث أن قائل هذه السطور كان فيما يبدو حرفى يسمى خارون ، يمكننا أن نفهم تعليقه الختامى .

وليس هناك شك بالتأكيد فى ضخامة ثروة الملوك الفريجين والليديين . ويخبرنا هيرودوت أن ميداس ، ملك فريجيا قد أهدى عرشه المشهور لمعبد دلفى ، بينما أرسل جيجس العديد من الهدايا للمعبد الإغريقى ، وكان معظمها من الفضة وإن كان هناك قدر كبير من الذهب ، وبالإضافة إلى ذلك أرسل ستة صناديق من الذهب تزن ثلاثين تالنت [٦٠]. وفى القرن السادس أنشأ كرويسوس إمبراطورية جذبت الإغريق إلى عاصمتها سارديس Sardis ، وكان من أشهر هؤلاء الإغريق سولون الشاعر والسياسى الأثينى. ومن خلال القصة التى يحكيها هيردوت عن المواجهة بين الملك الشرقى والإغريقى، وهو التراث الذى يؤكد فى كل جزئية فيه على ثروة كرويسوس المذهلة ، نعرف أن الإله يشعر بالحسد وأنه يفرح للفوضى [٦١]، وهو الاعتقاد الذى تأكد من خلال حقيقة أن كرويسوس قد وقع فيما بعد ضحية لغضب السماء لأنه نفسه أكثر البشر نجاحًا [٦٢].

وتعتبر إنجازات قورش أكثر تأثيراً فهو الذى هزم كرويسوس وخلفاءه من الملوك الفارسيين. إن فكرة حسد الآلهة ترتبط بشكل خاص بهيرودوت وايسخولوس. فكيف نظر المؤرخ والشاعر للملوك فارس ؟ هل صوروهم كمنافسين للآلهة ؟ حين يشير هيرودوت إلى خطط قورش بإرسال حملة ضد Massagetae ، فإنه يلاحظ أن قورش كان لديه أسبابه القوية للقيام بهذا العمل ، الأول مولده الذى يظن أنه كان غير بشرى[٦٣] وبعد ذلك بقليل يقدم كريوسوس نصيحة لقورش يبدأها بقوله «إذا كنت تظن أنك خالد [٦٤]، إن كلا من السبب ومقدمة قورش يوحى بالتشاؤم ، يوحى بأن مؤسس الإمبراطورية الفارسية كان يهدد بالفعل بمنافسة الآلهة فى المكانة وفى القوة . وفى مسرحية «الفرس» أقدم مسرحيات ايسوخولوس الباقية ، تخاطب الملكة اتوسا روح زوجها الراحل قائلة إنه كان أثناء حياته يفوق الآخرين فى النجاح ، وكان محسودا (Zelotos) لأنه كان يحيا حياة سعيدة ، وكان بمثابة إله للفرس [٦٥]، وهى عبارة توضح مرة ثانية لماذا كان يجب على الآلهة أن تشعر بالحسد تجاه الملوك الشرقيين . ومرة أخرى يحيى الكورس الملكة الفارسية باعتبارها أم اكسركسيس وزوجة داريوس، فهى زوجة إله وأم إله[٦٦]. وإذا ما وثقنا فى صحة رواية هيرودوت فإن الإسكندر الأكبر عندما ظهر أمام الأثينيين يحثهم على عقد معاهدة مع الفرس، ، تحدث عن قوة كسركسيس باعتبارها تفوق المستوى البشرى للقوة [٦٧]. ويمكن وصف قورش وداريوس وكركسيس بلغة تكشف أن الآلهة ، ذات العواطف البشرية لايمكن لومها ، بالمقاييس الإغريقية إذا ما اشتعل شعورها بالحسد وتوهج بشدة .

وتوجه النصائح دائما على صفحات تاريخ هيرودوت لملوك الفرس ، وهكذا فإن أرتابانوس Artabanus يحث كسركسيس على عدم غزو بلاد الإغريق ويسأل الملك إذا ما كان لم يلحظ كيف أن الآلهة تضرب أطول الحيوانات وأعلى المبانى والأشجار ، فإن الإله يرغب فى قمع كل شئ مغالى فيه[٦٨] ويضيف قائلا إن الجيش الضخم قد تحطمه قوة صغيرة عندما يبعث الإله الخوف فى النفوس ، بعد أن يشعر بالحسد (Phthonosas) ... فإن الإله لايسمح لأحد غيره شخصيا بأن يتمتع بالأفكار المتغطرسة وبالتالى يلاحظ أرتابانوس أن الحياة بائسة ورغم أنها قصيرة فإنها تبدو طويلة ، والموت هو بمثابة هروب جذاب . إن الإله يعطينا طعما حلوا للحياة فقط كى نكون محسودين على هديته [٦٩]. وبالطبع ، فإن الآلهة توافق فقط على قواعد الحياة الإنسانية العادية ، وكما رأينا ، فقد كان الإغريق يشعرون بالغيرة من نجاح الآخرين ، فعلى سبيل المثال ففى تعليق اكسركسيس على داماراتوس ، وكما سنرى بعد قليل ، فإن الفرس كما يظهرون عند هيرودوت لم يكونوا كرماء ، فقد كان هناك ادعاء آخر بوجوب التزام الحذر على الجانب الفارسى بسبب حليفتهم أرتميسيا Artemissia ، ملكة هاليكارناسوس Halicarnassus ، التى عارضت الاشتباك فى سلاميس فجاء رد الفعل الفارسى لشجاعتها بشكل متباين : فإن أولئك الذين كانوا يحسدونها لأنها كانت تلقى تكريما أكثر من بقية الحلفاء ، قد أسعدهم مشهد تحطمها [٧٠].

إن هيرودوت يجعل ثيمستوكليس ، يقول للإغريق ، وخاصة الأثينيين بعد انتصارهم فى سلاميس ، إنهم ليسوا مسئولين عن هزيمة قوات كسركسيس ، والمسئول هم الآلهة والأبطال الذين شعروا بالحسد لأن رجلا واحدا قد أصبح ملكا على آسيا وأوربا ، رجل غير مقدس ومجحف ، يعامل المقدس والدنس بنفس المعاملة ، يحرق تماثيل الآلهة ويدمرها ، يجلد البحر ويقيده بالأغلال [٧١]. وفى مشرحية «الفرس» ينسب الرسول الانتصار الفارسى إلى مجموعة من الخدع الإغريقية ، وإلى ثيموستكلس وإلى حسد الآلهة[٧٢]، ثم يقول إن الإله أعطى للإغريق مجد المعركة البحرية [٧٣]، ولكن هذا الحسد كان له مجداً أوسع بالنسبة لإيسخولوس، لأنه لايدمر الملك الفارسى فقط ولكنه يدمر أيضا شخصية أجاممنون فى المسرحية التى تحمل نفس الاسم . ولقد أصبح هذا الامتداد فى المدى ممكنا من خلال المقارنة الضمنية بين البطل الإغريقى المنتصر والنظير الأسطورى للملك الفارسى، برياموس ملك طروادة .

ولم يفتتح هيرودوت تاريخه حول الحروب بين الإغريق والفرس بسلسلة الاختطافات التى وصلت لذروتها باختطاف هيلين من أجل لاشئ ، فقد كان بريام أول ملك شرقى احتك به

الإغريق . وفى مسرحية أجاممنون تطلب كليتمسترا من أجاممنون أن يسير على البساط الأرجوانى فيجيب طلبها بقوله إنها يجب ألا تجعله موضع السجود مثل الشرقيين (وكانت تلك عادة فارسية) وألا تعرضه للحسد لأنها فرشت له طريقه بالبسط ، فالآلهة فقط هم الذين يجب توقيرهم بهذا الشكل ، أما أن يسير إنسان على البسط الوثيره المطرزة فإنه أمر مستحيل يجلب الخوف [٧٤]. إن أجاممنون يريد لنفسه الاحترام الذى يليق بأحد البشر وليس بأحد الآلهة.

وتجيب كليتمسترا بسؤاله عن تصوره لما كان سيفعله بريام إذا كان فى نفس موقفه، فيعترف أجاممنون أن الملك الطروادى كان سيسير على البساط . وهنا تلعب الزوجة بورقتها الرابحة وتقول «إن الإنسان الذى لايغار من أحد(aphthonetos) لايكون محسوداً(epizelos). وبهذه الكلمات تصيغ كليتمسترا ما يمثل اللغز الأساسى عند الرجل الإغريقى- إن الإنسان يسعى جاهدا من أجل الشهرة ولكنه يثير حسد الآخرين عندما يحصل على المكانة والشهرة. وقد يكون حسد الآخرين مطلوبا ولكنه بدوره يعرض الإنسان للمقت والضغينة والسخط والنميمة والهجوم ، وقد يعرضه حتى لغضب السماء . والكورس ، الذى يكون دائما وسيلة الشاعر لعرض القيم الأخلاقية السائدة ، يقول فى نفس المسرحية[٧٥] «إن المدح المبالغ فيه خطير، فإن الرعد ينطلق من عيون زيوس[٧٦]. ويختار الكورس النجاح بدون حسد-aph) (thonos رغم عدم وجود ضمان لوجود مثل هذا الاختيار، ومن المشكوك فيه تماما من وجهة نظر الرجل الإغريقى أنه قد وجد على الإطلاق . ويخضع أجاممنون فى النهاية لتملق زوجته ويتضرع قائلا «لنأمل ألا تنظر إلى عين حاسدة من بعيد»[٧٧] وفى هذا السطر فإن كلمة الآلهة تكون واضحة للغاية للدلالة على المكان الذى تنبعث منه مخاوف أجاممنون . إن الآلهة تشارك البشر العاديين أحاسيسهم ومشاعرهم ، ولقد قال أجاممنون فى بداية كلماته أنه من النادر أن يحترم إنسان صديقه الناجح «دون حسد» ، إن الحسد يربط نفسه بالقلب ويضاعف من قوة المرض ، فبالإضافة إلى أحزان الإنسان على نفسه فإنه يتأوه لمنظر شخص آخر ناجح [٧٨].

وحتى الآن ، فإن الناس يعترفون أنهم يتعاطفون مع صديق فى ضائقة أسهل من أن يفرحوا لنجاح صديق . لقد كان الإغريقى أقل كبتا لعواطفه ، وكانت فكرة أن النجاح يستلزم الحسد والضغينة فكرة شائعة . ويحفظ لنا ستوبايوس Stobaeus شذرة فيها نصيحة يبدو أنها لم تكن متبعة دائما : «لاتحسد الإنسان الناجح حتى لاتبدو شريرا » [٧٩]. ويقدم سوفوكليس هذه النقطة بشكل واضح ومختصر فى مسرحية «أجاكس» : إن الحسد يزحف على الإنسان

الذى يملك[٨٠] ويقول ثيسيوس فى مسرحية «الضارعات» ليوربيديس، إن هناك ثلاث مجموعات من المواطنين : الأغنياء والفقراء والطبقة المتوسطة فماذا يقول عن المجموعة الثانية؟ يقول إن المعدمين الذين لايملكون مقومات الحياة الأساسية تحركهم مشاعر الحسد ويطلقون لدغاتهم الشريرة على أولئك الذين يملكون[٨١]. وفى كتاب «تربية قورش» (Cyropedia) لاكسينوفون يقول الملك قورش تعليقا لا غموض فيه بالمرة : كلما امتلك الإنسان أكثر كلما زاد حسد الناس له، فيتآمروا ضده ويصبحوا أعداءً له[٨٢] . وفى عمل آخر، هو Memorabilia ، يقول كسينوفون يقال إن الحسد نوع من الألم سببه ليس سوء حظ الأصدقاء ولانجاح الأعداء ، إن الحاسدين هم ببساطة أولئك الذين يزعجهم نجاح الأصدقاء[٨٣]. ولقد قيل نفس المعنى فى حديث لايسوكراتيس : اجعل رفقاك ليس هؤلاء فقط الذين يحزنون لمصائبك ، ولكن أيضا أولئك الذين لايحسدون نجاحك ، فإن كثيرين يحزنون مع أصدقائهم فى المصائب ولكنهم يحسدونهم عندما ينجحون [٨٤]. ونقرأ فى موضع آخر قول ايسوكراتيس إننا نحسد الذين يفوقوننا فى الذكاء أو فى أى صفة أخرى، هذا إذا لم نكن أسيرى طيبتهم اليومية [٨٥]. وفى أخر أعماله يقدم ايسوكراتيس دفاعا مليئا بالحماس ضد من ينقدونه ، وهو يشير هنا إلى كونه محسوداً من أولئك الذين يمدحون كتاباته ، فليس هناك سبب آخر يدعوهم لحسده سوى تلك الكتابات التى يستحسنونها ، عندئذ يتساءل لماذا يجب أن نندهش من أولئك الذين يتمتعون بشكل طبيعى بهذه الشخصية ويعارضون كل نوع من التفوق [٨٦] ولكنه يقوم فى حديث آخر بمحاولة غير مقنعة لإيجاد عذر لذلك الميل الطبيعى للحسد الذى نشعر به عند نجاح الآخرين : عندما نلتقى بأشخاص سئ الحظ فإن هذا يضايقنا لأننا نكون مجبرى على مشاركتهم حزنهم بالإضافة إلى مشاكلنا الشخصية ، وعندما تقابل الأشخاص المحظوظين ، فإن الأمر يصبح أكثر سوءاً ، ليس لأننا نحسدهم لنجاحهم ولكن لأن نجاح من يجاوروننا يجعلنا نرى تعاستنا بشكل أوضح[٨٧] ورغم المجهود الشجاع الذى بذله لإيجاد ذلك العذر فإنه لايقنع سوى عدد قليل .

وعلى الأقل لقد رأينا أن فكرة أننا نحسد أصدقائنا على نجاحهم قد أزعجت الأقدمين كما تستمر فى إزعاجنا اليوم. ولقد حظيت هذه المشكلة بمعالجة كاملة فى مقالة لبلوتارخوس يعلمنا فيها كيف نستفيد من أعدائنا [٨٨]. ففى هذا المقال الذى يعد مثالا على أخلاقياته يحثنا الكاتب التقى أن نكون كرماء تجاه أعدائنا ، ويضرب مثلا بتصرف قيصر الذى أمر بحفظ

تماثيل بومبى ، عدوه المهزوم [٨٩]. ويقول إن أكبر ما نستفيده من عدم حسد العدو على نجاحه هو أنه يجعلنا أقل رغبة فى حسد الأصدقاء أو المعارف الذين ينجحون . والمشكلة هى أننا إذا بدأنا بكراهية الأعداء وحسدهم فإن هذه العادة تتأصل فينا وتضرب بجذورها فلاتزول أبداً بل تلتصق بنا ، ومن ثم فإننا نبدأ - بحكم العادة - فى كراهية الأصدقاء والحقد عليهم . إن علينا أن نعامل أعداءنا بطريقة كريمة إذا ما أردنا أن نعامل أصدقاءنا بطريقة كريمة . ولكن الطبيعة البشرية كلها، كما يضيف بلوتارخوس ، تنتج المنافسة والغيرة والحسد، وهو يصف الحسد Phthonos بأنه «رفيق الرجال فارغى العقول» وهو جزء من بيت شعر لبندار [٩٠]. وتكون الإجابة هنا بأننا يجب أن نوجه تلك المشاعر نحو الأعداء بد من الأصدقاء . وهو يقتبس من هسيود لكنه يقول إن صانع الفخار يجب ألا يحسد صانع الفخار ولا المطرب زميله المطرب، كما أن الجيران والأقارب يجب ألا يغاروا من نجاح بعضهم البعض[٩١] . وإذا كان الحسد حقيقة من حقائق الحياة فلنفرغها على الأعداء وهو ما سيجعلنا أكثر لطفًا مع الأصدقاء وذلك عندما نخفف إحتمال شعورنا بالحسد. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك : يقول ثيموستكليس إن النصر الذى أحرزه منافسه مليتاديس فى معركة ماراتون لم يسمح له بأن ينام ، وبكلمات أخرى إننا يجب أن نجعل شعورنا بالحسد يعمل من أجلنا ، بمعنى أن نستفيد من النموذج الذى يقدمه لنا الشخص المنافس فنندفع نحن شخصيا بحيوية مماثلة ، أى أن نقلل الحسد ليصبح رغبة فى التشبه . وأخيراً قد يكون نجاح أعدائنا سببه تصرفاتهم أو نشاطاتهم غير الشريفة ، ولكننا عندئذ يجب أن نواسى أنفسنا بفكرة أنه لا شئ عظيم أو يستحق الحسد يولد من شئ غير شريف ، وأن الفضيلة هى أكثر الأشياء قيمة [٩٢]. إننى أعتقد أن بلوتارخوس ليس أكثر إقناعا من ايسوكراتيس الذى سبقه بأربعة قرون والذى حاول إيجاد عذر لميل الإنسان أن يحسد الآخرين على نجاحهم ، ولكننا يجب أن نعطى بعض التقدير لهذا الجهد المبذول ، رغم أنه غير مقنع . ويكفى لتوضيح فكرتى فى هذا الفصل أن نلاحظ أن الأشخاص المتساوين أو شبه المتساوين هم الذين يحسد أحدهم الآخر، وهكذا فإن الآلهة لاتحتاج للشعور بالحسد إلا عند وجود رجال يتمتعون بقوة عظيمة قد تجعل من المحتمل أن ينافسوها . ولقد عرف الإغريق هؤلاء الرجال لأول مرة عندما احتكوا بالملوك الشرقيين سواء ملوك آسيا الصغرى أو بلاد فارس . ونظرا لضيق الوقت نقول إن حسد الآلهة يمتد ليشمل ضحايا مثل أجاممنون البطل الذى انتصر على الملك الشرقى فى الماضى الأسطورى السحيق ، خاصة أن أجاممنون كان بالنسبة للإغريق حاكما تاريخيا حقيقيا مثل ميداس وجيجس أو حتى كريسوس وقورش .

الهوامش

١- 5 , 118 .

٢- Verses 97 FF .

٣- Verses 119-29 .

٤- Verses 1035-40 .

٥- 15 , 31 .

٦- Verses 213.219 .

٧- Verses 181-82 .

٨- Verses 222-27 .

٩- 3 , 3 .

١٠- 9 , 108 FF .

١١- 9 , 112 .

١٢- Verse 307 .

١٣- Cf . Pindar Isth . 5 , 16 , Coutrast Meur . 6 , 1-7 .

١٤- Xen . Hiero 1 , 27 .

١٥- 7 , 446 -53 .

١٦- 9 , 533 -36 .

١٧- Verse 865 .

١٨- 23 , 863 FF .

١٩- Verses 1420-22 .

٢٠- Verses 383 FF .

٢١- Verses 391 FF .

٢٢- 23 , 211-12 .

٢٣- 4 , 181 .

٢٤- 8 , 565 -66 ; 13 , 173-74 .

٢٥- 17 , 70-71 .

٢٦- 55-56 .

٢٧- Od . 18 , 15-16 .

٢٨- Od . 4 , 71 FF .

٢٩- 78 - 79 .

٣٠- Od . 11 , 576-81 .

٣١- Fr . 30 . 12-27 Merkelbach - West .

٣٢- Desmond Morris : The Naked Ape , Corgi Editien . London 1468 , p. 128 .

٣٣- 6 , 137 , 2

٣٤- Od . 14 , 207-9 , 14-15 . 187 FF , Cf . Pindar : Olym . 7 , 54 FF .

٣٥- Davis , J . : People of the Meditaierranean , an Essay in Comparative Social Anthropolgy (Routledge and Kegan Paul , London, Henley and Boston , 1977 , pp.

٣٦- De Fratervo Amore : Moralia 478 FF .

٣٧- 482 C .

٣٨- 482 D FF .

٣٩- 483 D .

٤٠- 483 E - 484 C .

٤١- 3 , 39 , 1-2 .

٤٢- Moralia 486 B .

٤٣- Moralia 486 C .

٤٤- 25 , 26 .

٤٥- Herodotus 6 , 52 , 8 .

٤٦- e . g , 6 , 61 , 1 ; cf . 5 , 75 .

٤٧- 215 d .

٤٨- 1386 b .

٤٩- 1388 a .

٥٠- cf . Nicomachean Ethics , 1155 a , 32 ff .

٥١- 1 , 62-64 .

٥٢- 3 , 18 .

٥٣- 1 , 82 .

٥٤- 1 , 99 .

٥٥- Moralia 538 A - B .

٥٦- cf . 1 , 278-79 .

٥٧- أرخيلوخوس Archilochus :

شاعر اغريقي ازدهر بين ٦٨٠ - ٦٤٠ ق . م ولد في جزيرة باروس Paros وسافر في أنحاء مختلفة، حارب كجندي مرتزق ومات كذلك ، ويعتبر أول من استخدم الوزن الايامبي وهو مشهور بقوة اشعاره الساتيرية واكتشافاته في مجال الأوزان . وكان متأملاً جيداً للطبيعة وللمجتمع وللحب والحرب وهو أول كاتب غربي يعبر بشكل قوي عن ذاته في أشعاره . ويبدو أن هجائياته كانت قاسية لدرجة أن بعض من وجه إليهم هذه الهجائيات قد انتحروا .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Ayrton , M . : Archiloclus (1977) .

(المترجمة)

٥٨- ميداس Midas :

تقول الأساطير أن ميداس ملك فريجيا استقبل الإله ديونيسوس بكل الترحاب فاستجاب للطلب التي كان قد طلبه منه ، أن يجعل في يديه قدرة تحيل كل ما يلمسه إلى ذهب . غير أنه ما لبث أن هرع إلى ديونيسوس يتوسل إليه أن يسلبه هذه القدرة بعد أن تجمد كل شئ لمسه حتى طعامه وشرابه وفراشه ذهبا ، ولم يعد يستمتع بالراحة أو يذوق شيئا. فبعث به الإله إلي نهر باكتولوس ليستحم فيه ويتطهر فذهبت عنه هذه اللعنة.

(المترجمة)

٥٩- Frag 19 , West IEG , Phutarch : Moralia 470 B - C .

٦٠- 1 , 14 , 1-3 .

٦١- 1 . 32 . 1 .

٦٢- 1 . 34 , 1 .

٦٣- 1 , 204 . 2 .

٦٤- 1 , 207 , 2 .

٦٥- Verses 709 - 11 . cf . Verrs 856 .

٦٦- Verre 156 -57 .

٦٧- 8 , 140 B . 2 .

٦٨- 7 . IOE .

٦٩- 7 . 46 , 34 , cf . 7 . 203 . 2 .

٧٠- 8 , 69 , 1 .

٧١- 8 . 109 , 3 .

٧٢- Verses 361-62 .

٧٣- Verses 454 - 55 .

٧٤- Verses 919-24 .

٧٥- زيوس Zeus :

نشأ زيوس فى جزيرة كريت فى رعاية الحورية ميليسيا التى كانت تطعمه اقراص الشهد والحوريه أمالثيا التى كانت ترضعه لبن العنز . ولم يكد يكتمل نضج زيوس حتى ارتقى إلى السماء معتزما ايقاع العقاب بأبيه كرونوس . وقد انتهز فرصة قدم خلالها لأبيه شرابا سحريا فلم يكد كرونوس يتناول الشراب حتى تقيأ ما كان قد ابتلعه من ابناء ساعه ولدوا . ووجد زيوس إلى جانبه أخوه لم يكن يعرفهم هم هيرا وديميتر وهستيا وهاديس وبوسيودن الذين شكلوا هم وزيوس وابناؤه هيفايستوس وهرميس وآريس وابوللو واثينا وارتميس مجموعة آلهة الاوليمبى الاثنى عشر. وكان زيوس قد استعان على ابيه بالكيكلوس بعد أن أطلق سراحهم فسخروا له الرعد والبرق والصواعق .. واستطاع زيوس أن يهزم المرده (التياتين) ويطردهم من السماء ، وأقصى أباه عن العرش ونُصب كبيرا لآلهة الأليمب وقسم الكون بمنح هاديس العالم السفلى وبوسيودن مملكة التجار واستأثر لنفسه بالسماء والأرض وسائر الظواهر الطبيعية من رعد وبرق وصواعق .

(المترجمة)

Verses 468-70 , cf . 750 FF . -٧٦

Verses 947 . -٧٧

Verses 832 -37 . -٧٨

3 , 38 , 3 = Chares . Fr . 3 Nauck 2 . -٧٩

Verse 157 . -٨٠

Verse 240 -42 . -٨١

7 , 5 , 77 . -٨٢

3 , 9 , 8 . -٨٣

1 , 26 . -٨٤

10 , 56 . -٨٥

12 , 15 , 16 . -٨٦

14 , 47 . -٨٧

De Capienda ex Inimicis Utilitate , Moralia 868 FF . -٨٨

9 , A FF . -٨٩

Fr . 200 Bowra . -٩٠

cf . Works and Days 25-26 , 24) . -٩١

92 D - E . -٩٢

الفصل الرابع

حسد الآلهة: ٢
الطغـاة الإغريـق

إن حسد الآلهة عند ايسخولوس يمكن أن يصيب أجاممنون ، وبالنسبة لهيرودوت فإن ضحية الحسد الإلهى هو الطاغية[١] الإغريقى ، أى ذلك الرجل الذى اغتصب الحكم دون سند قانونى. وإذا ما تذكرنا الروابط القوية بين بعض الملوك الشرقيين وبعض الطغاة الإغريق ، فإننا نرى هنا امتدادا آخر واضحا من الملك الشرقى إلى فئة إغريقية مماثلة : فإن أمازيس Amasis المصرى وبوليكراتيس Polycrates من ساموس يمثلان نموذجا لهذا التشابه. لقد قدم أمازيس، مثل غيره من الملوك الشرقيين الآخرين [٢] ، القرابين للآلهة الإغريق بما فيهم هيرا فى ساموس[٣]. وكان هذا الأمر طبيعى بقدر كبير حيث أن الملك المصرى أمازيس وبوليكراتيس طاغية ساموس قد عقدا معاهدة معا [٤]، ولكن نجاح بوليكراتيس المتواصل قد أزعج أمازيس ، وإن كان لم يشعر بالغيرة الشخصية منه، ولقد كتب أمازيس بالفعل لبوليكراتيس يقول له إن من دواعى سروره أن يعرف بنجاح صديقه وحليفه ، ولكنه يعرف أن الإله يشعر بالحسد[٥]. لقد كان أمازيس يفضل أن يكون حظه خليطا من الحظ الجيد والسيئ ، وقد كانت نتيجة محاولة بوليكراتيس الفاشلة أن فقد علاقته بمصر[٦]. إن النجاح المستمر لايسبب المتعة، فالحياة ليست مضمونة ويجب توقع حدوث انقلاب فجائى فى الحظ .

إن الإنسان بطبعه يشعر بالحسد بالرغم من أنه قد يكون قويا ، وكذلك الآلهة المشكلين على شاكلة الإنسان ، فهم أيضًا يشعرون بالحسد بالرغم من أنهم يملكون قوة مطلقة . وفى هذا السياق فإن الإله يشبه الطاغية ، مثل زيوس ، على سبيل المثال، فى مسرحية «بروميثيوس فى الأغلال» لايسخولوس والإنسان مُشكل على نفس هذه الكيفية كما سبق ورأينا من قبل فى إشارة هيرودوت للمناقشة الفارسية [٧]. ففى تلك المناقشة يرى النبيل الفارسى أوتانيس Otanes أنه من أسباب جرائم الملك الغرور (hybris) الذى غرسه فى نفسه نجاحه وازدهاره، وهى فكرة شائعة بقدر كبير[٨] وكذلك الحسد الموجود داخل النفس الإنسانية . ويقول : قد

يُعتقد أن نفس الطاغية خالية من الحسد حيث أنه يمتلك كل المزايا[٩] ، ولكن العكس والصحيح : إن الملك يحسد الأشخاص المميزين ويسعد بأسوأ المواطنين وهو مستعد تماما لسماع الأكاذيب والافتراءات [١٠]. ولكنني أتصور أنه لا حاجة بنا لسرد جرائم الطاغية لأنه من الواضح تماما كيف أن الملك والطاغية يتمتعان بقوة لا حدود لها وهذه القوة تبعث على الشعور بالحسد من كليهما . وكما سبق ولاحظنا فإن الإنسان يتصور الآلهة على غراره ، وبالرغم من أن فيلسوفا مثل كسينوفان قد يسخر من هذا الاتجاه ، فإنه يستمر ويمكن أن يؤدى إلى مفهوم الحسد الإلهى الذى يأتى نتيجة للضعف الأساسى فى الإنسان نفسه وليس نتيجة للتفكير العميق، وربما يكون من حسن الحظ كذلك أن القوة المطلقة تفسد أيضا بشكل مطلق ، ومن ثم فإن إساءات الملوك الشرقيين والطغاة الإغريق تبرر تصرفات الآلهة تجاههم وتحطيمهم لهم ، فنجد أنفسنا نشعر أنه نوع من العدالة وإن اتصف بالغلظة ، كما حدث ، على ما أعتقد، فى حالة Pheretine ومصيره المؤلم والذى عوقب على انتقامه المغالى فيه بمرض غامض ، حيث أن الآلهة تنظر بحسد لمن ينتقم بشكل مغالى فيه [١١]. إن الآلهة ترد على الأخطاء الكبيرة بعقاب كبير ، ولكن الآلهة نفسها تكون فوق القواعد التى تطبقها على البشر وهذا دليل على ألوهيتها مثل خلودها .

ويحكى هيرودوت حكاية الطاغية الكورنثى برياندر Periander ، وهى تتعلق ، مرة ثانية بالميزة النسبية فى أن يكون الإنسان موضع حسد وعيب ذلك ، وإن تم التأكيد بشكل قوى على رغبة الإنسان فى أن يكون موضع الحسد . وطبقا للمؤرخ [١٢]، فإن ابن برياندر ، وكان يُسمى ليكوفرون Lycophron ، قد اكتشف أن أباه قد قتل أمه ، فلم يملك إلا أن يتجاهل والده فتم طرده من القصر، ولم يسمح الطاغية أن يستقبل أحد ابنه فى أى مكان ، ومن ثم أصبح ليكرفرون معدما بعد أن طُرد من منزل لآخر . وعندما تقابل الأب والابن مرة أخرى، طلب برياندر من ابنه العودة إلى البيت ، فقد اكتشف أنه من الأفضل أن يكون الإنسان موضع حسد على أن يكون موضع شفقة [١٣]. ولكننا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام الورطة التى يواجهها المرء إذا كان يريد المركز وأن يكون محل إعجاب من ناحية ، ولكنه يدرك نتائج مثل هذا الإعجاب من ناحية أخرى . ويصف الشاعر ابيخارموس بشكل بسيط ومقنع ميزة أن يكون الإنسان موضع حسد الآخرين ، وابيخارموس شاعر من جزيرة صقلية اليونانية ومن ثم فمن المفترض أنه يعرف جيداً الطغاة الإغريق فى تلك الجزيرة فى بداية القرن الخامس ويقول:

أيها الأصدقاء ، من ذا الذى لايرغب فى أن يكون محسوداً ؟ فمن الواضح أن الإنسان الذى لايحسده أحد يصبح وكأنه لاشئ فعندما ترى رجلا كفيفا فإنك تشعر بالشفقة تجاهه ، ولكن ما من أحد يحسده [١٤].

ويصيغ بلوتارخوس نفس الفكرة ولكن بشكل أقل شاعرية ، ويقول : إن الشخص سيئ الحظ لايحسده أحد [١٥]. وهناك مقولة أخرى لبندار يقتبسها ستوبايوس ويضعها بعد اقتباسه من ابيخارموس ، يقول بندار «إن الحسد أفضل من الشفقة» [١٦]. ويكتسب رأى بندار أهميته من أنه كان يكتب أشعاره للطغاة ، فإن البيثية الأولى ، على سبيل المثال ، كانت موجهة إلى الطاغية الصقلى هيرو Hiero . وبطبيعة الحال، فإن الآراء التى يتبناها المرء والآراء التى يعبر عنها تشكلها مجموعة عوامل مختلفة : فإذا ما مدح الأثينيون طاغيتهم بيزاسترتوس Pi-sistratos فإن هذا يعكس إحساسهم القومى بالزهو ، كما أن نوعية وطبيعة المستمعين لاتقل أهمية ، خاصة إذا كان المتكلم يبحث عن مكافأة مثل بندار . وكما يخبرنا سيمونيوس فى كتاب كسينوفون المسمى هيرو Hiero[١٧] فإن الجميع يحسدون الطغاة ، ولكن ماذا عن شخصية هيرو التاريخية ، ذلك الطاغية الذى حكم سيراقوسه لمدة اثنى عشر عاما فى سبعينيات وستينيات القرن الخامس ق . م ؟ وماذا عن الشعراء ، مثل بندار وباخيليدس الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على الاحتفال بعظمة عملائهم الذين كانوا من الطغاة ، وكيف أمكنهم أن يوفقوا بين المطالب المتعارضة والمتمثلة فى الرغبة فى أن يكون المرء محسوداً والرغبة فى تجنب المخاطر المترتبة على أن يكون المرء فى موضع يحسد عليه ؟ وماذا نفهم من معنى اسم العلم بوليزالوس Polyzalos (أى المحسود للغاية) وهو الاسم الذى تسمى به شقيق هيرو وجيلون طغاة صقلية ؟

وتوجد الإجابة على جميع هذه الأسئلة فى شعر باخيليديس ، معاصر بندار ومنافسه ، الذى يقول فى الأغنية الأولى إن طريق الفضيلة ليس سهلا ، وعندما يحصل المرء على الفضيلة بطريقة سليمة (وهو شرط صعب) فإنها تجعل المرء معرضا أكثر للحسد Polyzelotos ، حتى بعد أن يفارق الحياة ، وتترك له تاجا من المجد [١٨]. ويتضح معنى الصفة Polyzelotos تماما عندما تأتى مقترنة بكلمة eudoxos التى تعنى «طيب السمعة» [١٩]. والقصيدة التى تخبرنا أن الرجل النبيل يكون عرضة أكثر لحسد (Polyzetotos) رجال عديدين قصيدة شديدة العذوبة[٢٠] ويمكننا أن نستوعب كم يناسب اسم Polyzelos أحد الطغاة أو أفراد عائلته إذا مالاحظنا كيف يستعمل الشاعر باخيليوس هذه الصفة لاسم «الملك» [٢١].

وقبل أن نترك كلمة Polyzalos ، هناك نقطتان أخيرتان جديرتان بالملاحظة، وإن كانتا لن تؤخرنا كثيرا ، الأولى أن اسم بوليزيلوس Polyzelos لم يُسمى به شخص واحد، فنحن نعرف أنه كان يوجد شاعر كوميدى كان يسمى بوليزيلوس ، كما كان أخر حكام أثينا يحمل هذا الاسم أيضا [٢٢]. وكان والد تيمارخوس Timarchos يُسمى أريزويلوس Arizelos (وهو أيضا اسم مشابه)[٢٣] وكان أحد المنتصرين فى معركة ماراثون يسمى أريزيلوس، وكان أحد الأشخاص المسمى بنفس الاسم موضوعا لحكاية من حكايات هيرودوت النموذجية [٢٤] . ويضاف المقطع (Ari) فى بداية الكلمة للتأكيد ، وبعد قليل سوف يتضح معنى اسم ابزيلوس على يد باخيليويس وتعبيره epizelos tyche الذى سنراه بعد قليل . ويمكن اشتقاق الأسماء من كلمة Zelos بينما لايمكن اشتقاقها من كلمة Phthonos ، فيما عدا إضافة (a) النافية فى بداية الكلمة ، مثل اسم Aphthonius ، الذى كان إسما لعالم نحو متأخر . ثانيا : إن سلوك بوليزالوس Polyzalos الصقلى يقدم نموذجا تاريخيا للصراع الأسطورى بين ولدى أوديب ، بولينيكس وايتيوكليس ، ومن ثم فهو مثال جيد للغيرة العائلية. لقد كان لجيلون Gelon ، طاغية جيلا وسراقوسه فى بداية القرن الخامس ق . م ، إخوة ثلاثة يعضدونه هم هيرو وبوليزالوس وثراسيبيلوس . وعندما مات جيلون عام ٤٧٨ ، خلفه أخوه هيرو كطاغية ، وكان بوليزالوس يتولى قيادة الجيش السيراكوزى ولكن هذا التخطيط كان مصيره الفشل لأنه أثر بشكل لايمكن احتماله على الولاء الأخوى، فهرب بوليزالوس وغادر سراقوسه . ولقد حدث موقف مماثل بعد ذلك بقرن من الزمان فى شمال بلاد اليونان ، فقد نصب جاسون نفسه حاكما على مدينة فيراى Pherae فى تساليا . ولكنه اغتيل فجأة ، ويبدو أن موته قد أدى إلى صراع على الحكم بين شقيقين بوليدوروس Polydorus وبوليفرون Polyphron ، وقد مات أولهما فى ظروف توحى بتورط أخيه فى جريمة قتله [٢٥]. ويمكننا أن نجد العديد من الأمثلة المشابهة إذا ما اتجهنا شمالا وبحثنا فى تاريخ العائلة الملكية المقدونية خلال النصف الأول من القرن الرابع ق . م ، حيث سادت المشاجرات العائلية .

ولكن ماذا عن بندار وعملائه الصقليين (أو من أى مكان آخر) ، فمما لاشك فيه أن بندار يستطيع أن يشير إلى حسد الآلهة[٢٦]، وإلى الحسد الذى يشعر به البشر تجاه الأشخاص الناجحين[٢٧] ويتحدث الشاعر ، فى القصيدة البيثية ، عن أن النجاح يصاحبه حسد على قدر حجمه [٢٨]. وفى فقرة أخرى يشير للحسد الذى يشعر به الجيران من بعضهم البعض [٢٩]، إن

رسالته للبشر بسيطة للغاية : لاتحاول أن تكون زيوس ، فلو صادفك جزء من كل ما هو جميل، فأنت تملك كل شئ [٣٠]. وفى قصيدته التى يوجهها إلى هيرو ، يربط بندار بين إيمانه بأن المرء يجب ألا ينافس الآلهة بهجومه على الذين تسببوا - بنية سيئة- فى أن يتخطاه منافسه باخيليديس وضاعت عليه الفرص ، أو هكذا يبدو الأمر من حلف كلمات العتاب :

ولكن ، أيا كان الذى يحكم فإن الطريق ينفتح

أمام الرجل الذى يتكلم بطريقة لا التواء فيها

وحيث يوجد ملك ، أو حينما تحكم المدينة

الجموع الفظه ، أو يحكمها الحكماء

فما من إنسان يجب أن يحارب الإله

الذى يرفع هؤلاء الآن، ولكنه سوف يعطى

بعد ذلك لآخرين مجداً هائلا . ولكن هذا

عزاء بسيط للعقول الحاسدة

فهم يجهدون أنفسهم فى مجال لايمكن البقاء فيه

وهناك جرح عميق فى قلوبهم ، أو

تكون خططهم الحذرة على ما يرام أبداً [٣١].

وفى قصيدة أخرى يوجهها إلى هيرو ، يطالب بندار البشر ألا يطالبوا الآلهة إلا بما يليق بالبشر الفانيين[٣٢] ، فالروح الأبية لاتبتغى حياة الخلود .

وفيما بعد ، يلاحظ بندار فى نفس القصيدة أن هيرو لايحسد الشخص المتفوق[٣٣] ، ويطلب منا فى موضع آخر ألا نضن بالثناء على شخص ما دام يستحقه سواء كان هذا الثناء على مدينة صالحة أو إنسان رياضى[٣٤] فهناك مناسبات يتلقى فيها المرء التهانى والهدايا وهو بالتأكيد ما يجعل المرء موضع إعجاب[٣٥] وفى نهاية المطاف ، يقال لهيرو ، مثل ليكوفورن عند هيرودوت ، إن الحسد أفضل من الشفقة [٣٦]، بالرغم من أن بيت الشعر السابق يقول :

في المدينة، تصبح الكلمات ثقيلة على كبرياء البشر المستتر

عندما تقول أشياء طيبة عن شخص آخر [٣٧].

وقد يبدو كلا الشعورين ، أن الحسد أفضل من الشفقة وأننا نكره أن يمدح أحد الآخرين ، قاسيان ولكن كلاهما تعقيب عادل على الطبيعة الإنسانية ، وإن كانت الفكرة الأولى فكرة مناسبة بكل التأكيد لأن تقدم لطاغية . وهى فكرة جيدة لدرجة أن باخيليديس لايغفل ذكرها فى القصيدة التى وجهها إلى هيرو، والتى يتحدث فيها عن كون الإنسان سعيدا لأن الإله قد منحه نصيبا من الأشياء الطيبة كى يعيش حياة مرفهة بحظ يحسد عليه (epizeles tyche) ، وقبل أن ينتقل إلى مادته الأسطورية ، يلاحظ أنه لايوجد إنسان قد وهبته الآلهة كل شئ[٣٣]. وقبل أن تنتهى هذه القصيدة يتحدث باخيليديس عن المديح من أجل الحقيقة ، «بعد أن دفع الحسد بعيدا بكلتا يديه إذا ما صادف إنسانا ناجحًا »[٣٩] ويقول الشاعر فى فقرة أخرى «إذا كان الحسد القبيح لم يفسد مشاعر المرء فليمدح الإنسان الماهر بما يستحقه» . ونجد هنا نقدا لكل ما يفعله الإنسان ، ولكن يمكن توقع أن تسود الحقيقة، «فالزمن الذى يهزم كل شئ يرفع دائما من قدر ما تم إنجازه بشكل عادل» [٤٠]. وفى قصيدة أخرى يقول باخيليديس إن الطاغية هيرو قد أرسل إلى الإله أبوللو ذهبا أكثر مما أرسله أى إغريقى آخر، وهنا يضيف إن الإنسان الذى لايغذى قلبه على الحسد يمكن أن يتكلم بطريقة جيدة عن هذا الرجل [٤١]. وعند نهاية القصيدة نقرأ قوله «إن الصمت لايمنح تاجا للإنسان الناجح» [٤٢]، ويمكن فهم قوة هذا التعبير إذا ما تذكرنا بيتا من مسرحية «أجاكس» يقول فيه سوفوكليس «إن الصمت يمنح المرأة تاجا » [٤٣]. إن السلوك الذى يناسب المرأة لايناسب الرجل وبصفة خاصة الرجل الناجح ، ولكن العكس صحيح تماما ، ولقد كان هيرو طاغية عظيما حقق نصراً كبيراً على الاتروسكين ، ومن ثم لايجب أن يحجب نوره تحت دعوى التواضع ، ولكنه يستخدم شخصا مثل باخيليديس لكى يتغنى بأمجاده ويمدحه .

لم يكن لبندار وباخيليديس أى أتباع . وكان الوسط الثقافى الذى عاش فيه يوربيديس وثوكوديديس مختلفًا تماما عن ذلك الذى عاش فيه ايسخولوس وهيرودوت . ولقد بزغ عصر جديد للتنوير كان يوربيديس وتوكوديديس من أبنائه . وتفسر لنا موضوعات يوربيديس المستمدة من الأساطير لماذا نجد عنده إشارة إلى حسد الآلهة من حين لآخر ، رغم أن هذه

الإشارات سافرة وإن كانت متناثرة . وفى نهاية مسرحية «الكستس» وبعد أن يستعيد ادميتوس زوجته يعبر هراكليس عما يبدو أنه رغبة تقليدية ويتضرع ألا يصيب حسد الآلهة الزواج السعيد وفى مسرحية «افيجينيافى اوليس» يقول الكورس إن الفضيلة قد أهملت وأن اللاقانون قد هزم القانون ، ويقول إن التنافس المشترك بين البشر لايمنع حسد الآلهة أن ينزل عليهم . بينما تتغنى اليكترا فى مسرحية «اورستيس» بسلالة بيلوبس بعد أن رحلت الغيرة (Zelos) التى كانت موجودة ذات مرة فى منزلهم السعيد واختفت ، فقد حل بهم حسد (Phthonos) من الآلهة [٤٤]، وهو ترتيب منمق ، وإن كان تقليديا ، لكلمتى الغيرة (Zelos) والحسد (Phthonos) . وبكلمات تتصف بالغموض وبالإيجاز يقول ثيسيوس فى مسرحية «المستجيرات» إنه سوف يذهب ليحرر الجثث سواء بالإقناع أو بالقوة «ولكن ليس بحسد الآلهة» [٤٥]. وإلى جانب هذه الفقرات ، يمكننا أن نقتبس فقرات أخرى تؤكد فكرة حسد الآلهة وإن كانت لاتشير بالتحديد للآلهة وهم يمارسون هذا الشعور . وهكذا يقول شبح بوليدوروس فى مسرحية «هيكابى» إن إلها يدمر الملكة بسبب نجاحها السابق[٤٦] . وفى موضع متأخر من نفس المسرحية نجد إشارة أخرى إلى الحسد وإن كانت لاتحدد مصدره ، فهيكابى تتوسل إلى أودسيوس أن يستميل جيش الأخيين قائلة «إن الحسد (Phthonos) هو الذى يدفعهم إلى أن يقتلوا الآن تلك النسوة اللاتى لم يذبحن فى الحال عندما اقتادوهن من المذابح واشفقوا عليهن[٤٧] ومن الأشياء المثيرة والمميزة ليوربيديس أنه يقلب القيم التقليدية ويستغلها لإحداث تأثير درامى: وتقدم لنا مسرحية «افيجينيا فى اوليس» مثالا على ذلك . فهى تبدأ بحديث متبادل بين أجاممنون وخادمه العجوز ، ومن العجيب أن يقول أجاممنون أنه يحسد (Ze-los) خادمه ، بل إنه يحسد أى إنسان يستمتع بحياة خالية من الخطر ، أى أن يكون هو نفسه مجهولا ولايتمتع بأية شهرة ولكنه يحسد أولئك الذين يتقلدون وظائف أدنى ، ولكن الرجل العجوز يفشل فى فهم هذا ، فيضطر أجاممنون إلى تفسيره لمصلحة المشاهد بقدر ما هو لمصلحة الشخصية الموجودة على المسرح ، ويفسر كيف يجلب التفوق الألم مثلما يجلب المتعة، إن حياتك يمكن أن تدمر إذا ما أثرت حفيظة الآلهة وقد يدمرك البشر ، فمن الصعب إرضاءهم[٤٨]. وليس من المستغرب أن يقتبس بلوتارخوس هذه الأبيات [٤٩]، وهناك أبيات تحمل نفس المعنى فى مسرحية «اورستيس» حيث يذكر الشاعر أن الإله يمقت التطلع الزائد عن الحد كما يمقته رفاق المرء وزملاؤه[٥٠] .

إن توكوديدس يعرف فكرة حسد الآلهة . وتحمل الكلمات التى قالها نيكياس ملمحا هيرودوتيا واضحا ، وكما نعتقد ، فإنها تعبر عن تدين نيكياس المثالى وذلك طبقا للمفهوم القديم للتدين ، وهى الكلمات التى نالت شهرة واسعة لأن نيكياس قالها للجيش الأثينى عندما اضطر للإنسحاب من سيراقوسه . وطبقا لتوكوديدس ، بدأ نيكياس تشجيعه بتأكيد أنه فى نفس موقف الآخرين ، وبالتأكيد على أن الحياة التى عاشها بطريقة صحيحة تجعله يشعر بأمل قوى فى المستقبل . ويستمر قائلا إن سوء حظهم ربما يكون قد خف ، فقد تمتع العدو بحظ طيب بقدر كاف ، وربما لو كان الأثينيون قد أبحروا فى حملتهم إلى سيراقوسه بينما ينظر إليهم أحد الآلهة بعيون تملؤها الغيرة ، فربما كان قد نالهم عقاب أكبر ، ومن المعقول أن يتوقعوا أن يكون الإله أكثر تعاطفا معهم الآن ، فهم فى هذه اللحظة يستحقون شفقة الآلهة وليس حسدها . وبعد ذلك ، يتحدث نيكياس عن أن الجيش الأثينى دولة أو مدينة دولة [٥١]. ويختم خطبته الحماسية بعبارة مليئة بالتحدى قائلا : إن ما يصنع المدينة الدولة هم الرجال وليست الحوائط أو السفن الخالية من الرجال [٥٢]. وحتى الآن كنا نرى أن بؤرة حسد الآلهة تتركز على الملوك الشرقيين أو الأبطال الأسطوريين أو الطغاة الإغريق ، ولكن بكلمات نيكياس هذه نجد أن الجيش الأثينى المهزوم قد يكون ضحية محتملة للآلهة ، ولكن هذا الجيش كان فى الحقيقة هو الدولة الأثينية ، وليس من الصعب فهم هذا الانتقال من الفرد الحاكم إلى الكيان الكلى للدولة ، خاصة عندما نتذكر كيف وصف بركليس أثينا بأنها حكم الطغاة (Tyranny) وذلك عندما تحدث عنها فى جزء مبكر من تاريخ توكوديدس [٥٣].
ويمكننا أن نشير إلى مناسبات أخرى يقول فيها توكوديدس إن الحسد كان موجها ضد مدينة أثينا وضد إنجازاتها . ومن ثم، فإن بركليس فى نفس الحديث المنسوب إليه يشير إلى حكم الطغاة الذى أقامته أثينا ثم يطرى بعد ذلك على منجزات وطنه الأم، ثم يقول أنه قد يوجد إنسان يود أن يفعل شيئا ينافس (Zelosie) هذه المنجزات ، ويقول إن الإنسان الذى لم يحقق مثل هذه الإنجازات يشعر بالحسد (Phthonesei) [٥٤]، وهنا يسدى بركليس نصيحة قيمة للإنسان الذى يشعر بالحسد (epiphthonen) من الأشياء العظيمة [٥٥]، أنه لايمكن تجنب إثارة الحسد، ولكن هناك الكثير الذى يقال عن العمل العظيم .

إن توكوديدس دارس جيد للطبيعة الإنسانية ، وقد تكون من الأمور المفاجئة لنا أن يذكر المؤرخ الحسد كثيرا باعتباره أحد دوافع السلوك الإنسانى . وإذا ما طُلب من أحدهم أن يختار

نصا واحدا فقط لثوكوديدس بحيث يقدم للقارئ صورة متألقة لأثينا القرن الخامس بأفضل شكل ، فإنه سوف يختار الخطبة الجنائزية في الحال . ولكن حتى هذا الاختيار سوف يعطى لدارس موضوع الحسد دليلا على مدى اهتمام الإغريق بالحسد ومدى انتشاره بينهم . ويبدأ الحديث بشكل أساسى عندما يشرح بركليس سبب صعوبة إلقاء مثل هذه الخطبة الجنائزية (٥٦). وقد يعتبر الشخص الذى يعرف الحقائق جيدا ولديه حُسن نية الحديث غير كاف لأن يوفى أولئك الذين سقطوا فى الحرب حقهم، بينما قد يعتقد الشخص الذى لايعرف أنه يبالغ فى بعض الأشياء ، وذلك بسبب شعوره بالغيرة والحسد (Phthonons) عندما يسمع شيئا يفوق قدراته الطبيعية . إن مدح الآخرين يكون محتملا لدرجة ما ، ما دام الشخص يعتقد أنه هو نفسه قادر على تحقيق ما يسمعه ، ولكن الناس لاتؤمن بما يفوق قدراتهم ولذلك يشعرون بالحسد . وعندما تقترب الخطبة الجنائزية من نهايتها نسمع عن الحسد مرة أخرى (٥٧). وذلك عندما يوجه بركليس حديثه لأبناء الذين ماتوا وإخوتهم . ويرى بركليس أنهم محل نزاع ، فقد اعتاد الجميع أن يمدحوا الموتى، وقد يجد الأحياء أنه من الصعب عليهم أن ينالوا تقديرا أقل من الموتى ومن ثم فإنهم يشعرون بالحسد (Phthonos) تجاه منافسيهم ، ولكن من لايقف فى طريق المرء ، ينال التقدير عن طيب خاطر وبمشاعر خالية من الخصومة .

وفيما يبدو فقد عبر كُتَّاب أخرون عن فكرة أن الموتى فقط هم الذين يمكننا مدحهم دون أن نشعر تجاههم بالحسد ، مثل الخطيب ديموستنيس الذى يقول التعقيب التالى : «إن الذى لايعرف أن الحسد (Phthonos) هو ، بشكل ما ، شعور كامن ضد كل الأحياء ، بينما لايكره المرء حتى العدو الشخصى الذى مات(٥٨). ولكن حتى هذا التعميم يحتاج إلى بعض التحفظ. لقد انتهت معركة بلاتايا Plataea عام ٤٧٩ ق .م بانتصار ساحق للإغريق الذين سحقوا تماما القوات التى تركها كسركيس ورائه وذلك عندما انسحب عائدا إلى وطنه فى العام السابق ويناقش هيرودوت ، بشكل مميز، أى أقسام الجيش كان أكثر شجاعة فى المعركة (٥٩). ويرى هيرودوت أن الأسبرطيين كانوا الأكثر شجاعة ، وأن أكثرهم بسالة كان شخصا يُسمى اريستوديموس Aristodemus ، وكان الوحيد الذى عاش من ثلاثمائة أسبرطى حاربوا فى موقعة ثرمو بلاى عام ٤٨٠ ق . م ، إن هروب ارستوديموس من ذلك الصراع جلب عليه اللوم والخزى ويحكى هيرودوت كيف تناقش الأسبرطيون فيما بينهم حول مَن من الجنود كان الأشجع ورفضوا ادعاء ارستوديموس لأن من الواضح أنه كان يرغب فى أن يموت كى يكفر عن نجاته

فى الماضى . وليس هناك شئ غير عادى فى كل ذلك ، ولكن هيرودوت يضيف قائلا : ولكنهم تناقشوا هكذا بدافع من الحسد [٦٠]. وهكذا فإنه يوحى بأنه حتى الموت قد لا يقضى على لعنة الحسد . ولكى نعود إلى المقولة الأساسية، فإننا نسمع قليلا عن حسد الآلهة بعد ايسخولوس وهيرودوت ، وإن كنا ما نزال نسمع الكثير عن الحسد الذى يتعرض له البشر بشكل مستمر . ومع بدايات القرن الرابع لم يعد حسد الآلهة يشكل تهديداً خطيرا ، ومن ثم امكن للسياس Lysias أن يسرف فى مدح الموتى فى خطبته الجنائزية ، ويقول : إن ذكراهم خالدة ، ومكانتهم محسوده (Zelotai) من جميع البشر، إننا نحتفل بذكراهم كبشر بسبب طبيعتهم ، وكآلهة خالدين بسبب بسالتهم ، فقد أقيمت لهم جنازة عامة وتم الاحتفال بذكراهم بإقامة المسابقات حيث أنهم يستحقون نفس المميزات التى ينالها الآلهة ، فقد تكون أجسادهم فانية ولكن ذكراهم خالدة، رغم أن العرف السائد يقضى بأن يبكى الناس موتاهم[٦١] إن كل ذلك ملئ بالتكرار ، وهو أمر يؤكد الافتقار إلى التحكم ، ونقص الفطنة ، وهو ما كان يصعب أن يقبله الجيل السابق من الإغريق ، لكن الريتوريقا مالت أكثر إلى المبالغة، وبالطبع فإن الخطبة الجنائزية تتطلب إظهار المهارة اللغوية بشكل خاص .

وقبل أن نترك موضوع حسد الآلهة ، هناك نقطة أخيرة تحتاج للمناقشة ، وقد تعمدت تركها إلى نهاية الفصل وذلك لأنها نقطة مشهورة بالصعوبة وهى فى الوقت نفسه ذات أهمية شديدة ، حيث أنها تؤكد أن الاعتقاد فى حسد الآلهة كان اعتقادا آمن به الأفراد العاديين من الإغريق ، ورغم كثرة الدليل الذى جُمع ، فإن المرء لايعرف مطلقا بشكل مؤكد إلى أى مدى كان الدليل الأدبى الموجود يعكس العقائد الشعبية السائدة ، وسوف نلاحظ كيف أن ايسخولوس[٦٢] ، وبندار[٦٣] ، وهيرودوت[٦٤] يشيرون إلى حسد الآلهة دون أن يحددوا الإله أو الآلهة الذين يشعرون بالحسد. وهى نفس الطريقة الفضفاضة التى يستخدمها هوميروس كى يشير إلى أحد الآلهة دون أن يحدد اسمه، مثلما يفعل الشاعر ، على سبيل المثال ، عندما تتحدث إحدى الشخصيات وكأنها تعارض ما يحكيه هوميروس نفسه : وهكذا فإن أودسيوس لايذكر «الربة» أثينا الحاميه عندما يتحدث عن مغامراته فى بلاط الفياكيين . وبالفعل فإن العالم دودز E . R . Dodds يرى أن أهم الملامح المميزة «للأوديسيا» هى الطريقة التى تُرجع بها الشخصيات جميع النشاطات العقلية (وأيضا الجسديه) إلى تَدَّخل إله، أو مجموعة آلهة أو أحد الأرواح ، غير محدد بالإسم وغامض[٦٥] . ويرى دودز أن الشاعر يستخدم هذه

الطريقة لأن الناس تتحدث بها بالفعل ، فهى طريقة واقعية ، حيث أن الناس عندما تذكر الآلهة أو إحداها لاتحددها بالاسم . ومن ثم ، فلقد كانت هذه هى الممارسة العادية، والشاعر بذلك يعكس الفكر الشعبى . فعندما يحدث شئ غير متوقع أو يستعصى على التفسير ، فإن الناس ترد ذلك إلى أحد الآلهة أو إلى إله ما . ولقد استخدم ايسخولوس وبندار وهيرودوت ، فى أثينا القرن الخامس ق . م ، نفس الطريقة عندما كانوا يشيرون إلى الحسد الإلهى ، فهى لغة العقيدة الشعبية .

أما يوربيديس وثوكوديدس فقد عاشا فى عالم ثقافى مختلف، وكان الإيمان بفكرة حسد الآلهة لايشكل قوة بالنسبة لهم ، ولذلك فإنهم قلما يشيرون إلى هذا المفهوم ، فإن ثوكوديدس يشير إليه مرة واحدة فقط(٦٦) وكما يقال ، فإننا قد نرى بداية تلك المرحلة التى ترفض فيها العقيدة الشعبية فكرة حسد الآلهة ، ففى مسرحية «أجاممنون» يقول الكورس : «هناك مقولة قديمة سادت بين البشر تقول إن نجاح الإنسان إذا ما كبر وأوشك على الاكتمال فإنه لايموت بغير ذرية وإنما ينجب، ومن حظ الإنسان الجيد ينبت بؤس لايرتوى للعائلة ، ولكننى أنا شخصيا لى تفكيرى المستقل ، فإن الفعل غير التقى ينتج عنه ما هو أكثر منه، أى ما يشبه نسله، أما البيوت التى تسير وفق العدالة المستقيمة فيكون قدرها أن تنجب ذرية صالحة على الدوام » (٦٧). وتستمر أغنية الكورس مقطعين وتتسع لتشمل هذه التعليقات ، وتصف كيف أن الغرور (hybris) القديم يلد غرورا جديدا ، وكيف أن العدالة تسكن منزلا متواضعا وتكرم الإنسان المستقيم ، ولكنها تهجر الإنسان غير الشريف ، فهى لاتحترم قوة المال التى يمدحونها بطريقة زائفه (٦٨). ويرى البعض أن هذه الفقرة لها أهمية قصوى فإن الكورس هنا، كما يقال ، يعلن إيمانه بفكرة أن النجاح لايثير حسد الآلهة بشكل لايمكن تجنبه ، بالرغم من الرأى الشائع، وأن عدم التقوى هى التى تستدعى عقاب السماء ، وايسخولوس يتحدث هنا من خلال الكورس ، وتمثل هذه الرسالة موقفا أخلاقيا لايجب علينا أن نحتقره . إن الآلهة لاتحسد رجلا بصرف النظر عن فضيلته الأخلاقية ، أيا كان المعتقد الشعبى وأيا كان مدى رسوخه . ويأتى نفس التعليق على لسان ليسكى A. Lesky وذلك فى كتابه الذى يُعد استعراضا مثاليا للتراجيديا الإغريقية(٦٩) فقبل أن يقتبس السطور ٧٥٠-٧٦٢ من مسرحية «أجاممنون» يقول هناك ملحوظة قوية بوجود يقين شخصى فى هجوم الشاعر الذى يشنه على الاعتقاد المعاصر الشائع القائل بأن الآلهة تحطم الحظ الجيد للإنسان بسبب إحساسها البغيض بالحسد .

وبطبيعة الحال، ورغم إن الإحساس العام للفقرة يبدو واضحا بقدر كاف، فهناك مشكلات حول النص الموجود بالفعل . ولكن لايوجد ذكر صريح لحسد الآلهة، رغم أنه من المعتاد أن نفترض وجود إحساس بالغيرة من الحظ الجيد من جانب الآلهة المسئولة عن البؤس اللانهائى الذى يهدد العائلة الناجحة . بالإضافة إلى ذلك ، هل هناك ما يبرر أن نطلب من ايسخولوس أن يثبت على آرائه ، ومن ثم نبرهن على تطور فكر ايسخولوس ؟ أيجب علينا أن نتغاضى عن الرأى القائل بأن الكورس ينطق ما هو ضرورى دراميا ، وما هو مؤثر فى كل سياق محدد؟ وأن نلاحظ عندئذ أن أربعة عشر عاما تفصل بين إنتاج «الفرس» وثلاثية «الأورستيا» فى أثينا، وفقرات أخرى تبشر بنفس الرأى الذى جاء فى السطور ٧٥٠-٧٦٢ من مسرحية «أجاممنون» ؟ [٧٠].

إن الإجابة بالإيجاب على سؤالى الثانى تمكّننا من القول بأن آراء ايسخولوس قد تطورت بالفعل حتى نجد حكم الشاعر الناضج فى ثلاثية الأورستيا : إن عدم التقوى وأفعال البشر، وليست الغيرة التى تصدر عن آلهة لا خلاق لهم ، هى التى تنزل الكارثة بالجنس البشرى . ومشكلة هذا التفسير هو أنه يمثل بالضبط ما نرغب أن يتطور إليه تفكير ايسخولوس ، وسوف تعفينا من إحراج أن ننسب لإيسخولوس فكرة العقاب الإلهى التى لاتتناسب مع أى قانون أخلاقى سامى . ولنتأمل ما يقوله ادوارد فرانكل Edward Fraenkel عن هذه الفقرة فى طبعته التذكارية لمسرحية «أجاممنون» ، ومن الملاحظ أنه يرجئ تعليقه على هذه الفقرة حتى يورد ملحوظته عن السطور ٧٥٧ - ٧٦٢ ككل . ويبدأ فرانكل حديثه بأن يوضح أن ولياموتز Wilamouitz يجد تناقضا بين الإشارة إلى حسد الآلهة Phthonos theon فى «الفرس» (٣٦٢) وكلام الكورس فى «أجاممنون» ، ولكن فرانكل لايعترف بشئ من ذلك، ويعتقد بعدم وجود تناقض والأكثر من ذلك ، أنه يتقدم خطوة ويدّعى بأنه لايوجد دليل يوضح إن ايسخولوس قد تبنى المفاهيم شديدة الفجاجه والتى تقول بحسد الآلهة (Phthonos theon) . وقد يبدو أن ايسخولوس قد تقبل ما يطلق عليه فرانكل «المفهوم المعدل عن حسد الآلهة»، ويوجد هذا المفهوم المعدل عند بندار بقدر ما يوجد عند ايسخولوس بل تضيف إحدى الملحوظات أنه قد يوجد كذلك عند هيرودوت أن هذه الملحوظة السابقة تزعجنى لأنها ترتبط بإشارة فرانكل للمفهوم المعدّل عن حسد الآلهة ، وتقول «وهذا معروف للجميع الآن ، إن الحسد المنسوب للآلهة كان فى الأصل شيئا فجا وبدائيا ، وإلا كيف كان يسمى حسدا Phthonos ؟

وقد ترجع الإيمان بفكرة أن بعض تصرفات الآلهة التى تنبع من شعور غريزى على هذه الدرجة من الوضاعة إلى ما قبل مصادرنا الأدبية. وعندما استرعت هذه الفكرة أنظارنا فى البداية ، كانت تبدو جيدة بالفعل لنصل إلى مفهوم أكثر نقاء وأكثر تبجيلا . فما هو مفهوم فرانكل المعدل عن حسد الآلهة ؟ وليس من الصعب علينا أن نخمن ماهية هذا المفهوم نظرا للغة الموحية-مثل «شعور غريزى وضيع إلى هذه الدرجة» و«مفهوم أكثر تبجيلا وأكثر نقاء»- التى يستخدمها فى ملاحظته التى اقتبستها الآن. ويعتقد فرانكل أنه من الأمور بعيدة الاحتمال للغاية إن ايسخولوس قد شك مطلقا فى الحقيقة القائلة بأن الآلهة «عاجلا أم آجلا سوف تعاقب الإنسان غير التقى، بينما سوف يلقى الإنسان التقى كل الرأفة منهم» ، ويبدو أن هذا هو مفهومه المعدل عن الحسد الإلهى ، وبالرغم من أنه فيما بعد يقول بشكل أقل صراحة «لقد رسم الإله الحدود وحددها للأبد ، ولن يسمح لإنسان بتخطيها» . وهذا فقط هو المفهوم المعدل لحسد الآلهة. (Phthonos theon) .

ومن العدل أن نعترف أن فرانكل يعد نموذجا متطرفا للدقة المتناهية ، وللرغبة الزائدة فى استرداد تقديرنا لفكر ايسخولوس الإخلاقى (وكذلك لفكر بندار الأخلاقى وربما لهيرودوت أيضا) . ولكن تمييزه بين المفهوم الفظ والمفهوم المعدل لحسد الآلهة يجعلنى اترنح . فالحسد هو الحسد ... هو الحسد، ونحن لا نسدى للشعراء الإغريق صنيعا بمثل هذه السفسطه ، فهم لايختلفون عن أقرانهم فيما يتعلق بمشاعرهم ، بالرغم من أنهم قد يكونوا شعراء غنائيين أو دراميين ذوى موهبة متميزة . فقد صاغوا أشعارهم من أجل معاصريهم أجمعين ، وليس من أجلنا أو من أجل أنفسهم ، وأنا لا أرى لديهم تصورا أكثر رقيا أو أكثر وضوحا ، فى هذا الشأن ، عن تصور مستمعيهم الأصليين فيما يتعلق بالآلهة وبالعدالة المطلقة . ولكى نفترض وجود «ديانة» جديدة بسبب بعض الفقرات المتفرقة هو افتراض مهلك وخطير للغاية ، إذ يوجد دليل كبير عكس ذلك ومن ثم يجب علينا أن نلتمس له الاعذار أو أن نتجاهله . وأننى أعتقد أن المعتقدات قد تغيرت وتعدلت فى عصر يوربيديس وثوكوديدس حيث قلل السوفسطائيون من حجم أسس التفكير التقليدى فى الدوائر الثقافية . وعندئذ تتوقف نصوصنا عن ذكر حسد الآلهة بالرغم من أنها تستمر فى ذكر الكثير عن مشاعر الحسد عند البشر ، كما سبق ورأينا عند ثوكوديدس وكما سنرى فى مصادر أخرى بعد قليل . أننى لا أنكر أنه من المحتمل أن ايسخولوس قد اعتقد فى نفس الوقت أن النجاح الكبير يجلب حسد الآلهة وأن عدم التقوى

تستدعى العقاب ، ومن الواضح أن مثل هذا الاعتقاد اعتقاد اخلاقى أكثر من غيره . ومن النادر أن يحقق الإنسان الذى يعانى من كثرة الوساوس نجاحا عظيما ، ولكن بعيدا عن هذا ، فقد يهدد النجاح العظيم تبجيلنا للآلهة، ومن المحتمل أنه قد يهدد مكانة الآلهة الذين يرون أن الإنسان الناجح للغاية قد ينافسهم ، وهو ما يمثل فعلا يدل على عدم التقوى. وكما سبق ورأينا ، فأن يكون الإنسان ناجحا ومزدهرا ، هو سبب كاف بالنسبة للإغريق لكى يكون الإنسان موضع حسد . أما أن يرتكب خطأ ما فى حق إنسان، فهو سبب آخر يفسر كونه مكروها ومعرضا للضغينة والحسد. ويرتبط الحسد بالعاطفة أكثر من ارتباطه بالعقل ، وهو يتطلب محاولة متعاطفة لفهمه أكثر مما يتطلب تحليلا عقلانيا ، ومع احترامى لأرسطو، وليس لفرانكل ، فإن الحسد حقيقة من حقائق الحياة أكثر من كونه مبدأ أخلاقيا .

ولقد ظهر مقال عن ايسخولوس عام ١٩٧٣ ، وظهر آخر عام ١٩٧٤ فى النشرة الدورية الكلاسيكية التى تحمل اسم The Journal of Hellenic Studies . ولقد بدأ المقال الأول بالادعاء بأن ايسخولوس كان شاعر أفكار دينية- [٧١]. أما مؤلف الدراسة الأخيرة- والتى نُشرت بعد الدراسة الأولى باثنى عشر شهرا- فقد استغل فقرته الختامية فى تقديم شخصية ايسخولوس الشاعر التراجيدى ، الذى يود مؤلف المقالة أن يراه مبجلا بدلا من ايسخولوس رجل الدين[٧٢] وهو تعبير ، كما يضيف المؤلف، لايجعلنا نقلل من تقديرنا لمؤلف «الفرس» و «أجاممنون» . أننى أتعاطف مع الدارس الثانى ، وهو تعاطف له ما يبرره فى رأيى، فإن كل دراستنا للحسد والإغريق حتى الآن قد علمتنا ذلك ، فالخلاصة أن ايسخولوس كان يكتب مسرحياته لكى تعرض فى المسابقة الدرامية من أجل الحصول على المركز الأول ، وهى حقيقة تجعل ايسخولوس الشاعر التراجيدى مقنعا أكثر من ايسخولوس رجل الدين .

ولقد أشرت أكثر من مرة من قبل فى هذا الفصل إلى هيرو طاغية صقلية وحامى بندار وباخيليديس، ولقد ذكر التراث القديم أن ايسخولوس قد ذهب إلى صقلية بدعوة من هيرو، وعلى أية حال لم يكن من المستغرب أن يذكر التاريخ القديم أن أحد أسباب رحيل ايسخولوس من أثينا هو المضايقات فى مجال المهنة، أى هزيمته على يد الشاب سوفوكليس أو هزيمته أمام سيمونيديس ، والأول شاعر درامى منافس والثانى شاعر اليجيات منافس . ورغم أن مسرحية «الضفادع» لارستوفانيس مسرحية كوميدية ، فإنها تكتسب بعض الأهمية فى رسم التنافس بين ايسخولوس ويوريبيديس حول من منهما يُنصَّب كشاعر تراجيدى أفضل . ويبدو أن سلوك

ايسخولوس كشاعر تراجيدى كان صاخبا مثلما يتنبأ هسيود عندما يقول أن المغنى يحسد زميله المغنى[٧٣]. وبصياغة أخرى كان ايسخولوس إغريقيا نمطيا ولذلك فإنه لم ينزعج كثيرًا من فكرة أن الآلهة تشعر بالحسد. أن دارس ايسخولوس المعاصر هو الذى يدمغ هذه الفكرة باعتبارها فكرة فجة، وهو إما أن ينكرها عن ايسخولوس تمامًا أو يدعى أن «المفكر» الناضج قد لفظها .

الهوامش

١- طاغية (Tyrannos) :

كلمة ليديه قد تكون مشتقة من اسم مدينة Tyrrha الليدية ومعناها القلعة. ومن أشهر الطغاه بيزيستراتوس Pisistratos وهيباركوس Hipparchus وهيبياس Hippias فى أثينا ، وبرياندر Periander فى كورنثا وهيرون Heron وديونيسوس الأكبر والأصغر Dionysius فى سراقوسه . وقد شغل الحكام الذين أطلق عليهم اسم الطغاه مكانا متميزاً فى التاريخ الإغريقى ، فقد سادوا فى دويلات المدن الإغريقية خلال الصراع المتصل بين الأثرياء والنبلاء وفقراء العامة. ولم يكن وصول هؤلاء الملوك إلى قمة السلطة مرتبطا على الدوام بالشرعية، فما أكثر ما كانوا يبلغونها بمساعدة الطبقات الجديدة التى كانت تخلقها الحروب الاستعمارية وتتيح لها ثراء يملؤها طموحا إلى الحكم، فإذا هى تتآمر مع قادة الجيش لتخلع الملك القديم وتضع مكانه آخر تنعم إلى جانبه بالوظائف الكبرى فى دويلة المدينة . ومع أن هؤلاء الملوك كانوا يعملون من اليوم الأول على تحقيق أحلام أولئك الذين رفعوهم إلى العرش بمنحهم المزايا وتسيير الجيوش لاكتساب مزيد من المستعمرات والأراضى التابعة لها فقد كانوا كذلك سريعى النزوع إلى الاستبداد والتسلط وهو ما ساعد فى النهاية على ظهور طبقات جديدة تعمل على الاطاحة بهم وإحلال ملوك جدد محلهم مستخدمة فى ذلك جميع الوسائل الممكنة فى تشويه سمعة الملك المراد اقصاؤه عن العرش أو إسناد الفضل فى انتصاراته للشعب المحارب وإضفاء البطولة على بعض الشخصيات البارزة فى مجالات السياسة أو الاقتصاد والحرب عن عمد ، هذا إلى جانب استخدام وسيلة النفى دون محاكم ostracism . على أن كلمة تيرانوس تعنى فى الأصل الملك أو الحاكم الأوحد دون أية علاقة من قريب أو بعيد بمعنى الاستبداد . غير أن جنوح بعض هؤلاء الملوك إلى الطغيان جعل كلمة تيرانوس تتحول إلى صفة تعنى الطغيان . وما لبثت اللغة اليونانية أن تبنت المعنى الجديد لكلمة تيرانوس ومنها انتقلت الكلمة بمعناها هذا إلى اللغات الأوربية الحديثة ثم شاعت ترجمتها فى اللغة العربية .

(المترجمة)

٢- p . 32 .

٣- Herodotus 2 , 182 .

٤- Herodotus 3 , 39 , 2 .

٥- Herodotus 3 , 3 , 40 ,2 .

٦- Herodotus 3 , 41 -43

٧- See Our p. 11 .

٨- For example Oed . Rex 873 FF .

٩- cf . Sophocls : Antig . 506-7 .

١٠- 3 , 80 , 3-4 .

١١- Herodotus 4 , 205 .

١٢- 3 , 50 FF .

١٣- 3 , 52 , 5 .

١٤- 3 , 50 FF .

١٥- Mor . 538 B .

١٦- Pyth . 1 , 85 .

١٧- 1 , 9 .

١٨- Verses 71-74 .

١٩- 7 , 9-10 .

٢٠- 9 , 47-48 .

٢١- 10 , 63 , cf . 8 , 45 .

٢٢- Dem . 30 , 15 cf . 21 , 36 .

٢٣- Aesch . 1 , 102-3 .

٢٤- 6 , 117 , 2-3 .

٢٥- Xenophon : Hellenica 6 , 4 , 33 .

٢٦- Pyth . 10 , 20-21 , Isth . 7 , 39 , pyth 8, 71-72 .

٢٧- Olym. 6, 74 FF , Nem . 8, 21-22 , Isth . 2, 43 , Frag. 83, 4-5 Bowra, cf pyth, 11, 54.

٢٨- 11 , 29 .

٢٩- Olym . 1 , 47 .

٣٠- Isth . 5 , 14 -15 Olym 5 , 27 , Nem . 9 , 46-47 .

٣١- pyth 2 , 86-92 . C . M. Bowra`s trans .

٣٢- pyth . 3 , 59 FF .

٣٣- Verse 71 .

٣٤- Olym . 11 , 7-8 .

٣٥- Olym . 7-1-10 .

٣٦- Verses 811 , C . M . Bowna`s trans.

٣٧- 5 , 50-55 .

٣٨- Verses 188-190 .

٣٩- 12 , 199-207 .

٤٠- 3 , 63 FF .

٤١- Verses 94-96 .

٤٢- Verse 293 .

٤٣- Verse 1135 .

٤٤- Verses 971-74 .

٤٥- Verse 348 .

٤٦- Verses 57-58 .

٤٧- Verses 287-90 .

٤٨- Verses 16-27 .

٤٩- Moralia 471 C .

٥٠- Verses 708-9 .

٥١- 77 , 4 .

٥٢- 77 , 7 .

٥٣- 2 , 63 , 2 .

٥٤- 64 , 4 .

٥٥- 64 , 5 .

٥٦- 2 , 35 , 2 .

٥٧- 45 , 1 .

٥٨- 18 , 315 .

٥٩- 9 , 71

٦٠- 71 , 4 .

٦١- 2 , 80-81 .

٦٢- Persians 362 , 454 -55 , Agam . 946-47 .

٦٣- Pyth . 8 , 71-72 , 20-21 , Isth . 7 , 39 .

٦٤- 1 , 32 , 1 ; 3 , 40 , 2 , 4 , 205 . 7 , 10 ; 7 , 46 , 4 ; 8 , 109 , 3 .

٦٥- Dodds . E . R . : The Greeks and the Irational , Univ. of California Press 1951 , pp. 10-11 .

٦٦- 7 ; 77 , 3 .

٦٧- Verses 750-62 .

٦٨- Verses 763-81 .

٦٩- A . Lesky : Greek Tragedy . Benn , London and Barnes and Noble , New York 2nd . ed . 1967 , p. 77 .

٧٠- e . g . Ag . 367 FF , Furies 532 FF .

٧١- p. 210 .

٧٢- p . 613 .

٧٣- Works and Days 26 .

الفصل الخامس

الحسد والسياسة : القرن الخامس ق . م

لقد برع طغاه صقلية فى مسابقة سباق العربات فى الألعاب الهللينية الكبرى، ولكن كان الكيبياديس[1] الأثينى الفذ أكثرهم تميزاً ، فقد دخل سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية عام ٤١٦ ق . م بسبع عربات وحقق المركز الأول والثانى والرابع فى السباق . وعندما أشاروا إلى إنجازه هذا أمام جمهور من زملائه المواطنين قال الكيبياديس أنه يجلب الشهرة لشخصه ولأسلافه ، ولكن ذلك يعود بالفائدة أيضا على الدولة، حيث أنه يخلق انطباعا مذهلا عن امكانيات أثينا. ويستطرد قائلا أنه مهما كان التميز الذى يجلبه للمدينة حين يعطيها هذا المظهر القوى فى عيون الأجانب ، فإن زملائه المواطنين سوف يحسدونه بالطبع [٢]. وقد نعتقد أن هذه الجملة تتصف بالشجاعة خاصة عندما نقرأ ثوكوديديس ونرى الكيبياديس يطالب كذلك بمكانة متميزة للشخص الذى يشعر بتفوقه : فقد كان يعرف أن مثل هؤلاء الرجال وكل أولئك الذين يفوقون الآخرين فى أى مجال كانوا عرضة للحسد (الترجمة الحرفية : كانوا فى حزن) [٣] أثناء حياتهم ، خاصة من أولئك الذين يشبهونهم ، ولكن قد يتحمس بعض من سيأتون بعدهم للإدعاء بوجود صلة ما تربطهم بهم ، بينما لاتوجد أية صلة فى الواقع [٤]. ويبدو أن الموت يقدم للإغريق ، مرة أخرى الحماية الوحيدة الأكيدة ضد الضغينة والحسد.

وكان ميجاكليس من بين سلالة الكيبياديس ، وقد كتب الشاعر بندار البيثية السابعة على شرف انتصاره فى سباق العربات فى دلفى. ويسجل بندار سعادته لأخر انتصار يحرزه أحد أفراد أسرة الكميونيد Alcmeonid النبيلة ، ولكنه أيضا يسجل حزنه «للحسد (Phthonos) الذى قوبل به تصرفكم النبيل»[٥] وقد أعتبر هذ التعليق إشارة إلى نفى ميجاكليس من أثينا فى نفس العام الذى تحقق فيه أنتصاره فى الألعاب البيثيه . إن النفى (Ostracism)[٦] يصدم الطالب المعاصر ، باعتباره مظهراً غريبا من مظاهر الديموقراطية الأثينية ، تأسس عام ٥١٠ ق . م عندما تم بمقتضاه طرد الطغاة من البلد. ويبدو النفى حيله خرقاء وغير معقولة بالمره ، حيث تقضى أغلبية الأصوات بأن ترسل رجلا إلى المنفى مدة عشر سنوات ما دام عدد الأصوات الإجمالى قد بلغ ٦,٠٠٠ صوت . وكان اسم الشخص المراد إبعاده مؤقتا عن الدولة

ينقش على قطعة من الشقافه (Ostrakon) ، وهو ما يقابل ورقة التصويت الآن ، وقد يصدمنا هذا الإجراء فى حد ذاته لغرابته . ولقد اختلف الدارسون بلا نهاية حول التاريخ المحدد لظهور قانون النفى (وهل صدر عام ٥٠٨ / ٥٠٧ ق . م أو بعد ذلك بعشرون عاما) كما اختلفوا حول الهدف المحدد منه، وهل كان هدفه تقليل خطر أى طاغية جديد يسيطر على أثينا أم كان الهدف منه منع تمزق الدولة إربا إربا بين انقسامات السياسيين المتنافسين ؟ وهل كان من الممكن أن يقوم إجراء النفى بما تقوم به الانتخابات العامة الآن من التخلص من أنصار سياسة ما عن طريق توضيح التأييد الشعبى لسياسة بديلة ؟ ولكن عندما يتعلق الأمر بالحياة السياسية فإن الأشخاص فى الغالب لايقلون أهمية عن السياسات ، والناس فى الغالب تدلى بأصواتها من أجل القائد أكثر من البرنامج . لقد وضعنا الخطاب السياسى ، سواء فى الإذاعة أو التليفزيون ، على قدم المساواة مع مواطن أثينا فى القرن الخامس، فيما يتعلق بمعرفتنا بالسياسيين البارزين . ولقد أصبحت القدرة على عرض الشخص لنفسه بصورة مرضية فى التليفزيون شرطا مهما فى الحصول على مكانة بارزة فى الجماعة . وعند اجراء استطلاعات الرأى قبل الانتخابات ، كان يتم سؤال المواطنين عن رأيهم فى بعض السياسيين كما كانوا يسألون عن موضوعات محددة . فلم تجعل الاعتبارات غير السياسية ، مثل الثقة أو عدم الثقة ، الحب أو البغض ، وبعض الاعتبارات غير العقلانية بقدر كبير والذاتية للغاية ، الصوت يتأرجح فى هذا الطريق أو ذاك .

وإذا ما نظرنا لإجراء النفى من هذه الزاوية ، فقد كان جزءا من النظام الديموقراطى ، وقد ابتدع هذا النظام بشكل يكاد يكون مثاليا تقريبا حتى يتوافق مع الحسد الذى كان منتشرا بشكل واسع ، حيث أنه كان يسمح بالتعبير عن مشاعر الحسد بشكل شرعى ، كما لم تكن له عواقب وخيمة للضحية ، مجرد عشر سنوات يقضيها فى المنفى، دون أن يفقد حقوق المواطنه أو ممتلكاته . وعندما تم اصلاح قطع الشقافة وجدت عليها مجموعة مذهلة من الأسماء ، لم تقتصر بالتأكيد على الأسماء التى قد نتوقعها فقط ، أى أسماء المواطنين الذين نعرف من مصادر أخرى أنهم كانوا بارزين فى الحياة السياسية فى أثينا القرن الخامس . وإذا ما ضربنا مثالا محددا فى هذه النقطة فقد يكون مفيدا ، وسوف نجد هذا المثال المفيد إذا ما اتجهنا مرة أخرى إلى بلوتارخوس ، ولكننا هذه المرة لن نتجه إلى مجموعة مقالاته الأخلاقية ، المعروفة باسم Moralia . فقد عُرف بلوتارخوس بشكل أفضل باعتباره مؤلف سير البارزين من

الإغريق والرومان ، ويتضمن الجزء الإغريقى سيرة ارستيديس وثيموستكليس وكيمون وبركليس وكانوا أشهر الساسة فى الأرباع الثلاثة الأول من القرن الخامس ق . م لقد كان الكيبياديس استثناء . ولقد جعل الحسد من المستحسن أن يتبنى الشخص ذو الطموح السياسى ما قد نسميه اليوم «الصوره القبيحة إذا ما كان يتوق للقيادة السياسية فى أثينا، ومن خلال حياة ارستيديس يرسم بلوتارخوس صورته كرجل فقير ولكنه لايقبل الرشوة غير فاسد، وهى نفس الصورة التى يقدمها لنا المؤرخون المعاصرون ، بالرغم من أن نزاهة ارستيديس مؤكدة أكثر من احتياجه للثروة . ولكن هذا لم يكن تصور كل القدماء عن ارستيديس ، ولقد بذل بلوتاخورس جهداً كبيرا كى يدحض رأى ديمتريوس الفاليرى الذى يرى بأن ارستيديس كان فى الواقع ثريا . ولكن لماذا أراد ديمتريوس أن يجعل ارستيديس ثريا متحديا بذلك الرأى الشائع؟ يقول بلوتارخوس(٧) إن سبب ذلك أن ديمتريوس كان حريصا على انقاذ ارستيديس من الشر الفظيع المتمثل فى الفقر . ومن المحتمل أن ديمتريوس كان يعتبر الفقر كارثة كبرى وذلك بسبب ميوله الاوليجاركيه ، ويبدو أننا سنلتقى هنا مرة أخرى مع ذلك التناقض الذى كان شائعا بالنسبة للإنسان الإغريقى : أن يرغب فى التقدير والتكريم الذى هو أمر مستحيل الحصول عليه بالنسبة للشخص الفقير ، ولكن هذا التقدير وكذلك الثروة يجلبان الحسد من قبل الآخرين ، ولايجب علينا أن نتعهد هذا الحسد بالرعاية . إن المظاهر تعد أهم كثيرا من الحقيقة فى المجتمع الذى يهتم أعضاؤه بالمظهر الشخصى ، ولقد كان التباهى بالثروة يأسر الألباب بطريقة أو بأخرى بالرغم من أنه كان مقيدا ، وفى الوقت ذاته ، فإنه الشخص فاحش الثراء كان يثير ضده الشعور بالحقد والحسد . وحتى فى مجتمعات القرن العشرين شديدة العقلانية ، فإننا قد نشعر بالإعجاب تجاه الشخص الذى يثور ضد النظام ، وقد يستطيع مجرم أن يحصل على مثل شهرة روبن هود ، وقد يصبح بالفعل بطلا شعبيا ، فإننا نعجب بجرآة المجرم وإن كنا نستهجن جرائمه ، ويبدو أن مشاعر الأثينى العادى تجاه الكيبياديس كانت من هذا النوع . ورغم ذلك ، فقد اختار الكيبياديس سلوكا أقل عدوانية تماما، وكان معاصره ثيموستكليس سياسيا من نوع آخر ، نوع قابلناه من قبل وسوف نقابله مرة أخرى بعد قليل، وإن كان يشبه الكيبياديس كثيرا .

ويذكر ديمتريوس حادثة نفى ارستيديس للتدليل على ثرائه، فلم يكن الفقراء هم الذين يتعرضون للحسد ، بل الرجال المنحدرين من بيوت عظيمة وذلك بسبب مكانة العائلة ، ومن ثم

كانوا معرضين للنفى »[٨]. ولكن بلوتارخوس يعارض فكرة أن كل إنسان يفوق الرجل العادى، سواء بسبب سمعته الطيبة أو عائلته أو مقدرته على الحديث ، يكون معرضا للنفى[٩]. وهو لم يذكر الحسد هنا ، ولكننا فيما بعد نعرف كيف كان ارستيديس محبوبا فى البداية ولكنه أصبح موضع حسد بعد ذلك [١٠]، وبعد الإشارة إلى الشائعات التى انتشرت بسبب ثيموستكليس ، منافس ارستيديس ، وذلك من أجل أهداف سياسية ، يستمر بلوتارخوس فى ملاحظة أن الشعب ، بعد أن انتهى من الانتصار على الفرس ، وبعد أن اعتبر نفسه جديرا بأعظم الشخصيات ، بدأ يحنق على أولئك الذين يفوقون الرجل العادى فى الإسم أو الشهرة، وكانت النتيجة نفى ارستيديس ، وقد نفذ الشعب ذلك متذرعا بحجة الخوف من حكم الطغاه ليغطى بها غيرته من سمعة ارستيديس الطيبة[١١] وما يلى ذلك لايقل إثارة ، فوفقا لبلوتارخوس ، لم يكن النفى عقابا على فعل شرير ولكنه فى الحقيقة كان تسكينا رحيما لمشاعر الحسد التى تُنفس عن غيظها بعشر سنوات فى المنفى بدلا من العقاب بشئ دائم. وهناك أيضا القصة المشهورة التى تحكى أن أحد الاثينيين أراد نفى ارستيديس ، ولكنه لم يستطع كتابة الاسم بنفسه ، فقد طلب هذا المزارع ، عن غير قصد ، من ارستيديس نفسه أن ينقش اسمه على قطعة الشقافة ، وعندما سأله ارستيديس عما يغضبه من ارستيديس ، أجاب الرجل : لاشئ ،إننى حتى لا أعرفه ، ولكننى سئمت سماعهم يلقبونه بالعادل فى كل مكان[١٢]، وهذا رد فعل إنسانى للغاية ، فإن الكمال لايجد عذرا مثل زلة بين وقت وآخر .

ويشير بلوتارخوس إلى تعاملات ارستيديس مع ثيموستكليس لكى يبرهن على رجاحة عقله ، ويخبرنا كيف أن ارستيديس لم يحاول الاستفادة من الصعوبات التى واجهها خصمه عندما كان مهددا بالنفى «مثلما لم يحسده من قبل عندما كان يتمتع بحظ طيب»[١٣]. أنه شئ مذهل بالفعل خاصة عندما نتذكر كيف أن النجاح يثير حسد الآخرين دائما ، وليس من الضرورى أن يكون هؤلاء الآخرون أعداء شخصيين . ووفقا لحياة ثيوستكليس التى كتبها بلوتارخوس كان رجل الدولة هذا ضحية أخرى من ضحايا الحسد، فقد ارتكب غلطة فادحة عندما أقام وليمة فاخرة لزملائه المواطنين ذكر خلالها انجازاته ، ومن ثم عرض نفسه للحسد مرة أخرى[١٤] وهنا يجب أن يتذكر المرء كيف يخبرنا بلوتارخوس فى موضع آخر أن ثيموستكليس عندما كان صغيرا ، قال أنه لم يحقق شيئا عظيما لأنه لم يكن بعد موضع حسد[١٥] وقد أدى هذا أيضا للنفى واستدعى الأمر أن يعلق بلوتارخوس نفس التعليق الذى

قاله عن نفى ارستيديس فقد نفوا ثيموستكليس كى يبتروا هيبته وتفوقه ، كما كانوا ميالين إلى فعل ذلك مع كل من يظنون أنه يملك قوة عظيمة وأنه خرج على المساواة الديموقراطية ، فإن النفى لم يكن نوعا من العقاب بل كان نوعا من تسكين الحسد وتقليله «والذى يسعد باذلال الشخص البارز، ويعبر عن حنقه بعدم منحه الحقوق المدنية» [١٦]. وبالإضافة إلى ذلك ، فقد لعب الحسد دوراً فى ربط ثيمستوكليس بالمؤامرات التى لفقت بين بوسيناس ، الملك الاسبرطى، والفرس [١٧]. وعندما طلب ثيموستكليس اللجوء إلى البلاط الفارسى، أثار حسد رجال البلاط الملكى[١٨] يا لثيموستكليس المسكين !! أنه يذكرنى دائما بحديث ميديا الشهير فى مسرحية يوربيديس[١٩] عندما تقول أنه (يجب على المرء الفطن بطبيعته ألا يجعل أبنائه متعلمين للغاية لأنهم يجلبون الحسد (Phthonos) ، كما يجلبون عداوة المواطنين ... فإذا اعتقدت إنك تفوق أولئك الذين يبدو أنهم يتمتعون بالإدراك والدهاء، فسوف تكون مؤلما[٢٠].

وكان كيمون الضحية الثالثة التى تعرضت لعقوبة النفى فى النصف الأول من القرن الخامس ق. م ، والذى كان يلقى التأييد فى حياته السياسية المبكرة ، لأن الشعب كان قد ضاق ذرعا بثيموستكليس ، وأيضا بسبب سلوكه المتواضع الآخاذ [٢١]. وبنفس الطريقة ، فإن استرجاع عظام ثيسيوس من جزيرة سكيروس (Scyros) ساعد كيمون فى الحصول على استحسان الشعب [٢٢]. ولقد كرس بلوتارخوس الفصل العاشر من سيرة حياة كيمون لسخاء كيمون العظيم تجاه زملائه المواطنين : فقد فتح أمامهم أبواب ضياعه، وأقام الولائم وأعطاهم ملابس ومنحهم مبالغ صغيرة من النقود ، وباختصار لقد أعاد كيمون عصر كرونوس ، عصر الذهب[٢٣]. أو كما يقول جورجياس[٢٤] لقد حصل كيمون على النقود كى ينفقها ، وقد أنفقها كى يحصل على التكريم [٢٥]. وبالتأكيد ، فإن تجميع الموارد وما يترتب عليه من توزيع حر لهذه الموارد من أجل الحصول على الهيبة والاحترام هو خاصية من خواص المجتمعات التى يعتبر أعضاؤها أن التكريم الشخصى هدفهم فى الحياة، ولكنه، فى نفس الوقت ، قد يفسر محاولة تفادى نتائج الحسد . ينبغى أن يكون للآخرين نصيب فى حظ المرء الطيب كبتًا لمشاعر الحسد داخلهم . ويسمى عالم الاجتماع فوستر G . H . Foster هذا السخاء . مشاركة الفتات للإرضاء . لقد كان الفتات شيئا رمزيا يعطى لتخفيف خيبة أمل شخص خسر فى منافسة أو شخص لم يحرز نجاحا مشابها للآخرين [٢٦]. إن منح الفتات هو حيله القصد منها رشوة الحسد المحتمل فى نفسية الشخص الخاسر . ومن بين الأمثلة التى يأتى بها فوستر ، تلك

العادة التركية بمنح حامل الأنباء الطيبة جائزة تحمل اسما معينا ، وكان لهذه العادة ما يماثلها في المجتمع الإغريقي ، فالرسل في الدراما الإغريقية يتوقعون أن ينالوا جائزة ما [٢٧]. ويشرح فوستر تلك العادة بأن التركي الذي يتلقى أنباء ساره يمنح حامل هذه الأنباء بقشيشا كنوع من التعويض الرمزي وحتى يحيد من مشاعر الحسد المحتمله أن تشتعل في نفس حامل النبأ الذي يتمنى لنفسه نفس الحظ الطيب [٢٨]. أننا جميعا نشعر أننا مضطرون لإحضار هدايا صغيرة لأعضاء عائلاتنا عند عودتنا ، خاصة للأطفال ، الذين قد يكونون أكثر عرضة للتعبير عن مشاعر الحسد، بسبب عدم قدرتهم على كبت عواطفهم، إذا ما ابتعد أحد الأبوين عن المنزل ، سواء كانت رحلته مكرسه للعمل أو لمجرد المتعة . ورغم ذلك، فليس من المستغرب أن الهجوم على كيمون كان بسبب دوافع سياسية [٢٩]. ويرى بلوتارخوس أن تأييده للاسبرطيين قد دفع زملائه الأثينيين أن يشعروا تجاهه بالحسد والعداوه [٣٠]. وأدى الأمر في النهاية إلى نفيه [٣١].

ولقد تزامن سقوط كيمون مع صعود سياسي آخر هو بركليس وقد أفلت بركليس بالطبع من النفي، بالرغم من أنه كان يخشاه في شبابه ، كما يخبرنا بلوتارخوس ، وذلك بسبب ثروته الكبيرة وعائلته المعروفة وأصدقائه الأقوياء للغاية[٣٢]. وقد لجأ خصومه إلى الهجوم غير المباشر ، لذلك عانى معارف بركليس والمرتبطين به كثيرا[٣٣] وبعد أن يذكر بلوتارخوس كيف أن صداقة فيدياس[٣٤] ببركليس قد جلبت الحسد على رأس المثال [٣٥]، وبعد أن يذكر الطريقة التي اتهم بها شعراء الكوميديا بركليس بالقيام بمغامرات جنسية، يتسأل بلوتارخوس لماذا يندهش المرء إذا وجد أولئك الذين يحيون حياة المجون والاستهتار يقدمون الرجال الصالحين قربانا لروح الحسد الشريرة الكامنة في صدور الجماهير الغفيرة بالإفتراء عليهم كذبا [٣٦]. إن الإشاعات الدنيئة والقصص الرخيصة التي تدور حول الإنسان البارز تنتشر بمنتهى السرعة ، ومن ضمنها تلك القصة التي يرويها بلوتارخوس والتي تلقي بالمسئولية على بركليس لقتل صديقه وحليفه السياسي افيالتيس Ephialtes بدافع من الغيرة والحسد بسبب شهرته [٣٧]. إن اشارات بلوتارخوس المتكررة لشعراء الكوميديا تمكنا من فهم إلى أي مدى أصبح أمثال بركليس هدفا للسخرية والهمز واللمز ، فقد كانت نكات شعراء الكوميديا بعيدة عن أن تكون مجرد مزاح معتدل[٣٨] إن تقديم الإنسان القوي ذا القدر الرفيع كغبي وشره جنسيا وفاسد على خشبة المسرح يؤكد تحامل الجمهور واستعداده لتصديق الصورة الأسوأ بغض النظر عما يفعله

أو لايفعله الإنسان. فإن ظهور إحدى الشابات بصورة متكررة خارج البيت هو مدعاه لأن يُظن بها الظنون ، وإذا مكثت فى المكان الذى يلائمها ولزمت بيتها ، عندئذ تنتشر الشائعات بأنها تعانى من مرض دائم . كيف يمكن لأى إنسان أن يفوز مهما كان حريصا ؟

لقد أشرنا الآن إلى السير التى كتبها بلوتارخوس حول ارستيديس وثيموستكليس وكيمون وبركليس وهى الشخصيات البارزة فى السياسة الأثينية منذ غزو اكسركسيس لبلاد اليونان وحتى السنوات الأولى من الحرب البلبونيزية . فإذا ما توقفنا الآن ونظرنا للدليل الذى تم جمعه حتى الآن فى هذا الفصل، وجب علينا أن نستعيد أحد التعليقات التى ذكرها بلوتارخوس مرتان ، مرة فى قصة حياة ارستيديس[٣٩] ومرة أخرى فى قصة حياة ثيموستكليس [٤٠]. والذى يكتسب أهمية خاصة : لم يكن النفى نوعا من العقوبة ولكنه كان وسيلة لتخفيف التوتر الذى يسببه الحسد . ويجب أن نضيف إشارة ثالثة لبلوتارخوس ، نجدها فى قصة حياة الكيبيادیس ، عندما يشير إلى آخر مثال للنفى مارسته أثينا ، أى نفى الديماجوجى هيبر بوليس من الدولة عام ٤١٧ ق . م وهنا يجعل بلوتارخوس النفى وسيلة تستخدم من وقت لآخر لتقليل حجم المواطن الذى يفوق زملائه المواطنين فى الشهرة أو القوة وطرده ، وذلك كى يخفف المواطنون ليس من خوفهم ولكن من حسدهم »[٤١] وبتعبير آخر ، فقد كان النفى خديعة دستورية يمكن من خلالها التعبير عن مشاعر الحسد، وما دام قد تم التعبير عنها بهذه الطريقة فقد تم التحكم فى مقدار الدمار الذى كان من الممكن أن ينتج عنه إذا خرج بصورة جزافية . وهكذا أمكن لبلوتارخوس أن يتحدث عن إخماد الحسد. وهناك أمثلة أخرى كثيرة يمكننا ذكرها من النظام الديمواقراطى الأثينى تؤكد كلها هذه الآلية التى تم ابتكارها كى تواجه الضغوط التى سببتها كثرة الشكوك والحسد. وقد سبق لنا الإشارة إلى نظام التوريث حيث كان الميراث يُقسم إلى أجزاء متساوية طبقا للعدد المطلوب ، ثم تجرى قرعه لتحديد نصيب كل وريث . وبنفس الكيفية كانت القرعة تستخدم لانتخاب من يتولون مختلف المناصب فى الديموقراطية الأثينية . وكان اللجؤ إلى القرعة ، فى كلتا الحالتين ، يهدف إلى إزالة الشعور بعدم الرضا والظلم الذى تسببه مشاعر الغيرة التى ثبت أنها مضرة فى كثير من الأحيان . ويذكر بلوتارخوس الكثير عن كرم كيمون وسخائه ، وهى نفس الصفة التى ركز عليها أرسطو فى كتابه «دستور أثينا »[٤٢] هذا بالإضافة إلى المبالغ الطائلة التى كان ينفقها فى الخدمة العامة للدولة مثل تجهيز السفن للأسطول الاثينى ، أو تدريب الكورس للاعياد

الموسيقية والدرامية ، أو إقامة الولائم للقبيلة بمناسبة الأعياد ، وهو ما اشتهر كيمون به، فقد كان يقيم الولائم لإخوته فى القبيلة يوميا بشكل غير رسمى (٤٣). وفى الواقع ربما كان نظام الخدمة العامة أقدم مثال لطريقة تفادى الحسد ابتدعها النظام الديموقراطى . فمن المؤكد أن الخدمة العامة كانت ببساطة نوعا من القاء الفئات لإلها الآخرين بطريقة دستورية . ومن ثم وجدنا ذلك النظام الخاص الذى مكن الشخص المطلوب من أداء الخدمة العامة الادعاء بأنه لايملك امكانيات كافية لكى يتحدى شخصا آخر، يأمل أن يكون أكثر غنى منه، كى يأخذ مكانه أو كى يحدث بينهما تبادل كامل للممتلكات ، ومن ثم يؤدى الخدمة العامة المحددة . ولايعد هذا الاجراء اجراء غريبا . لقد كانت الخدمة العامة أنسب وسيلة لتخفيض نفقات الدولة حيث أنها كانت شكلا من أشكال الضرائب ، وكانت تضفى تقديرا على من يقوم بها كما كانت تستبعد الحسد ، ومن ثم كانت تشجع المواطنين على تأدية واجبهم عن طيب خاطر .

وفى سيرة حياة ارستيديس يناقش بلوتارخوس الروايات المختلفة لموت هذا السياسى ، وتتضمن رواية مأخوذة عن كراتيروس Craterus المقدونى . إن مدى صحة هذه الرواية لاتهمنا بقدر الاهتمام بالاتجاه العقلى الذى جعل القدماء يصدقونها . وهى تحكى كيف سمح الشعب بتكبره فى ظهور مجموعة كبيرة من المدعين Sycophants(٤٤)، وذلك بعد نفى ثيموستكليس وهم «المدعين المحترفين» الذين استفادوا من سماح القانون الاثينى للمواطنين برفع دعاوى فى الحالات العامة فى معظم الجرائم ، وطبقا لما يقوله بلوتارخوس فقد طارد هؤلاء المدعين أفضل العناصر وأقواهم وأخضعوهم لحسد الأغلبية(٤٥) وكان من بين ضحايهم ارستيديس . وكان من المتوقع أن ينتج عن هذا النظام لرفع الدعوى على يد الأفراد نوع من اساءة الاستخدام وشكل من أشكال البتزاز ، خاصة عندما نضع فى الحسبان نوع المحاكم الأثينية وتحكم الهواه (غير المحترفين) فى العملية القانونية . وقد حدد ايسخينيس فى أحد احاديثه طبيعة هؤلاء المدعين، وهو تحديد لايتملق هؤلاء المدعين ، إذ يقول أنه بقدر ما تكون الشهرة أمرا طيبا ، فإن هؤلاء المدعين يكونون عارا (٤٦). وأن الازدراء والمقت الذى ارتبط بهؤلاء المدعين قد جعلهم نمطا للشخصية الشريرة فى الكوميديا القديمة (٤٧). وكان هناك ضمان ضئيل بأن العدالة سوف تسود فوق الضغينة والتحيز بسبب السماح للأفراد برفع القضايا وضخامة حجم المحلفين .

ويجب أن نتذكر أن ثيموستكليس قد نُفى وعانى من المصير الذى كان من المحتمل أن يعانى منه أى شخص يخرج على المساواة الديموقراطية (٤٨)، وهذا التعليق يوحى بأننا سنفهم خاصية أخرى من خواص الديموقراطية الأثينية تماما إذا ما اعتبرناها نوعا من التنظيم ضد

نشأة الحسد. وهذا هو المفهوم الأساسي للديموقراطية ذاتها ، وأن كل مواطن ذكر بالغ كان يتمتع بصوت متساوى فى المجلس ولقد رأينا أثناء استعراضنا لوصف بلوتارخوس للحياة السياسية لمختلف الأثينيين فى القرن الخامس ، إن الحسد ينمو ويظهر عندما يتفوق شخص ما ويبز الأغلبية سواء فى المكانة الاجتماعية أو فى القوة. ومن ناحية أخرى ، كان المرء يبدو آمنا إذا لم يُعتبر أنه يفوق الشخص العادى الطبيعى . وترتب على ذلك أن التمسك بالمستوى العام للأغلبية قد منع ظهور الحسد، وأن الديموقراطية ، بقدر ما كانت تؤكد على المساواة من خلال التمتع بالقدرة على التصويت ، ساعدت الشخص العادى ، ومن ثم كانت صمام أمان مناسب للغاية للتحكم فى الحسد وما ينتج عنه سواء كانت اشاعات بذيئة أو عقوبة النفى. بالإضافة إلى ذلك ، فربما تم تعزيز المساواة السياسية بواسطة أنواع أخرى من المساواة ، وبواسطة الشعور بأن الجميع أهل ، ومن ثم فإنهم متساوون ، وأيضا بواسطة الشعور بأنهم يشتركون جميعا فى ثقافة واحدة مميزة تماما عن ثقافة الآخرين . ومن الناحية النظرية- إن لم يكن من الناحية الواقعية الفعلية يسوء الشعور بالمساواة وبالتشابه ، ويختفى المجال أمام الحسد، فى الشعب الذى تشعر الغالبية العظمى فيه بأنها متشابهة بصفة عامة وأنها مميزة عن الآخرين.

بمثل هذه الأفكار يجب أن نقرأ كل هذا الدليل المذهل المستمد من التجربة الديموقراطية فى أثينا ، مثل خطبة بركليس الجنائزية فتلك هى الأفكار التى استغلها بركليس ، كما يقول توكوديديس فى تقديمه لنمط حياة الأثينيين فبعد أن يعترف بأننا نحسد ولانصدق ما يفوق قدراتنا [٤٩]، يذكر بركليس الأسلاف ، أولئك الرجال الذين احتلوا البلد ولم يحدثوا فيها تغييرا وسلموها للأثينيين المعاصرين من خلال نجاحاتهم المستمرة [٥٠]، فأصبح فى إمكان السكان الحاليين أن يحققوا أكبر قدر من الاكتفاء الذاتى فى كل شئ ، سواء فى زمن الحرب أو السلم . ويفرد بركليس الجزء الأكبر مما يلى من الخطبة لتأكيد الصفات الفريدة لطريقة الحياة الأثينية ، وقد أظهر تميزها وتفردها أكثر عن طريق مقارنتها باستمرار بدولة أخرى مختلفة عنها كثيرا ، هى اسبرطة القوى المنافسة لها : «أننا نتمتع بشكل من الحكم لايغار (Zelous-ia) من قوانين جيراننا » [٥١]. نختلف عن أعدائنا (أي اسبرطة) فيما يتعلق بالأمور العسكرية ، فإننا نفتح أبواب مدينتنا أمام الآخرين ... ألخ [٥٢]، ويستشهد بكثير من الأشياء الأخرى كى يؤكد تفرد طريقة الحياة التى يدعيها لمدينته الأم من الأشياء الأخرى كى يؤكد تفرد طريقة الحياة التى يدعيها لمدينته الأم ، ويصل إلى نتيجة مؤداها «أن أثينا » هى مدرسة بلاد الإغريق » [٥٣].

لقد ألقى بركليس هذا الحديث وتجنب عقوبة النفى التى عانى منها ارستيديس وثيموستكليس وكيمون ، وبالرغم من أن حياة بركليس التى كتبها توكوديديس توضح كيف طرح الإستياء باصدقائه أرضا وكيف حقق شعراء الكوميديا يوما مشهودا على حساب بركليس. فهناك دائما رجال مستعدون للمخاطرة بحسد الأغلبية عندما ينشدون التفوق السياسى. فاذا كان هناك تغيير فى نوعية القادة السياسيين فى أثينا بعد موت بركليس بظهور نوعية جديدة من الديماجوجين ، وهو ما أشك فيه، وهو تغيير حدث مبدئيا تحت ضغوط وقيود حرب عالمية ويفهمه عالم الاجتماع الذى يعمل بين المجتمعات الزراعية اليوم ، فقد كان تغييرا فى النمط التقليدى للحياة الذى يحدد الأدوار فى المجتمعات ويحدد الأماكن فى السلطة طبقا للقيم الجماعية المحددة وليس طبقا لانجازات الأفراد . ففى أوقات الاضطراب ، سواء كان سببه نشوب حرب أو تدفق السائحين ، يظهر فى المجتمع نمط جديد للقائد .

ولكن دعنا نفكر فيما كان يقوله الأثينى فى القرن الخامس عن الحسد. لقد صور يوربيديس فى مسرحية «الفينيقيات» الصراع بين ايتيوكليس وبولونيكس، ولدى أوديب اللذان تحاربا من أجل عرش طيبة. وفى احدى لحظات المسرحية يواجه الشقيقان كل منهما الآخر، ويحاول كل منهما أن يوضح قضيته. يقول بولونيكيس[٥٤] أنه قد قبل الاتفاق بأن يحكم كل منهما لمدة عام بالتتابع والتزم به، ويقول «لقد غادرت البلد بارادتى وتركته (أى اتيوكليس) يحكم لمدة عام على أساس أن دورى سوف يحين ، ولم اتصرف تصرفا شريرا ولم أعانى من الشعور بكراهيته أو حسده (Phthonos)[٥٥] وتقف أمهما جوكستا موقف الحكم بينهما وتقول إن حب التقدير (Philotimia) هى الإلهة الأكثر شرا بين الآلهة[٥٦]، فهى إلهة ظالمة وتتسبب فى الدمار والخراب . وتعلن جوكستا أنه من الأفضل أن نوقر المساواه (Isotes) التى تربط دائما بين الصديق وصديقه وبين المدينة والأخرى وبين الحليف وحليفه[٥٧] وبالطبع فإن المساواة هى التى تدوم طالما أن الشخص الأقل يقف فى مواجهة الشخص الأعظم دائما . وتقول أن الليل والنهار يتعاقبان بالتساوى فى دورتها السنوية ، ولايشعر أحدهما بالحسد عندما يخضع للآخر[٥٨]. وبشكل أكثر وضوحا يقول الشاعر الأثينى اجاثون ، وهو معاصر ليوربيديس :

ما كان سيوجد حسد فى حياة الإنسان

لو ولدنا جميعا متساويين[٥٩]

وكما يلاحظ الأثينى فى محاورة «القوانين» لأفلاطون فإن المجتمع الذى يفرز أفضل الشخصيات ، هو المجتمع الذى ليس به ثروة ولايعانى من الفقر ، حيث أنه لايوجد به مجال للعنف أو للجريمة أو لمشاعر الغيرة والحسد[٦٠].

وأننى أرى أن الفكرة الأساسية فى الديموقراطية ، والقائمة على تمتع كل مواطن اثينى ذكر بالغ بصوت متساوى فى المجلس ، باعتبار أن ذلك يخفف التوتر فى مجتمع شديد التنافس ، قد تكون فكرة مقلقة لأولئك الذين ينظرون للماضى بشوق ، ولأنها فكرة أقل رومانسية لما يعتبرونه ببساطة عظمة بلاد الإغريق فى القرن الخامس . ورغم ذلك فإننى لا أرى أن الديموقراطية الأثينية كانت موجهة بشكل واع لغرض محدد هو قمع الحسد. وسوف نكون مخطئين إذا ما خلطنا السبب بالنتيجة . وربما تتضح تفرقتى بين السبب والنتيجة أكثر إذا ما تحولنا لحظة من أثينا الديموقراطية إلى اسبرطه الأوليجاركية . وفى البداية نقول أن المواطنين الاسبرطيين كاملى المواطنه لم يكونوا متساويين (homoioi) . لقد كان هؤلاء الاسبرطيين يجلسون على برميل بارود . فقد كانوا يحكمون ويعتمدون اقتصاديا على غالبية عددية من الاقنان أو الهيلوتس Helots ، ولكى يضمنوا التحكم فى هذه الغالبية الخاضعة ، كان على الاسبرطيين أن يتحملوا تكريس حياتهم للتمرين العسكرى وللانضباط . ولم يكن مسموحا بحدوث أى نزاع بين المواطنين المتساويين حيث كان من المحتمل أن يؤدى ذلك إلى سلسلة من الأحداث قد ينتهى بتمرد طبقة الهيلوتس . ومن المعتقد أن ليكورجوس المشرع القانونى الاسطورى هو الذى أدخل طريقة الحياة هذه بين المواطنين المتساويين. ونحن نملك الآن سيرة حياته والتى كتبها بلوتارخوس ، والتى جُمعت فى الفترة المبكرة للإمبراطورية الرومانية . ويعترف بلوتارخوس فى البداية صراحة أن حياة المشرع القانونى وتشريعاته وتاريخه لم يُعرف بشكل أكيد وبالتأكيد فإن رواية بلوتارخوس، عن المعارضة التى قوبل بها ليكورجوس وهو صغير وذلك عندما ازدادت قوته وأصبح هدفا للحسد والشائعات فقرر أن يغادر اسبرطة [٦١]، تبدو أكثر من مجرد رواية صغيرة مشكوك فيها. وبعد أن عاد ليكورجوس من كريت واسيا الصغرى إلى وطنه ، استشار نبوءة الإله فى دلفى ، وبعد أن حظى بموافقة الإله بدأ فى تغيير وجه اسبرطه . وبالرغم من ذلك ، فقد استمر نظام الملكية الثنائية ، وبالرغم من اختفاء النظام الملكى من الدول المجاورة ، فقد استمرت الملكية فى اسبرطه ، لأنها كما يقال ، تخلت عن

الادعاءات المسرفه وتفادت الحسد والخطر (٦٢) ولقد ناقش المؤرخون المعاصرون مسأله اعادة توزيع الأرض على يد ليكورجوس ، ورفضها الكثيرون ، ولكننا هنا نهتم بالدقة التاريخية أقل من اهتمامنا بالدافع المفترض : فطبقا لبلوتارخوس كان الغرض من توزيع نصيب متساوى من الأرض هو القضاء على الغطرسة والحسد والأعمال الشريرة والرفاهية ، والقضاء على ماهو أسوأ من ذلك، على الغنى والفقر (٦٣). ولقد اشتهر ليكورجوس بأنه قد استبدل العملة الذهبية والفضية بعمله من الحديد كأجراء آخر للقضاء على عدم المساواه (٦٤). وبعد ذلك ، يلاحظ بلوتارخوس ، فى قصة حياة ليكورجوس ، أنه لم يكن هناك حاجة فى اسبرطه لصك النقود ، لأن الشراء لم يكن يثير أى حسد ولم يسبغ على المرء أى شرف (٦٥) وهناك اجراء آخر يقال أن ليكورجوس هو الذى أدخله ، وهو اقامه مأدبه جماعية يتناول فيها جميع الاسبرطين وجباتهم معا (٦٦). ولقد عرفت كريت نفس هذا النظام ، ويخبرنا بذلك الجغرافى استرابون فى تلخيص للقرن الرابع ، شئ رائع أيها المؤرخ ايفوروس Ephorus ، لقد سبق التلخيص تعليق عام يدور حول موضوعنا ، يقول التعليق : عندما يعيش الجميع بشكل معتدل فان الحسد والغطرسة والكراهية التى يشعر بها المرء تجاه نظرائه تختفى ببساطة (٦٧).

ويعد موقف الاسبرطيين من الحياة الزوجية وانجاب الأطفال من أكثر الأمور غرابة بالنسبة لنا ولطريقة تفكيرنا ، خاصة عندما نتذكر أن الإغريق كانوا يعتبرون أنفسهم رجال شرفاء ، وبالطبع فإن حماية النساء من أول اهتمامات الرجل الشريف ، ولكن ليكورجوس ، كما نقرأ عند بلوتارخوس ، قد استبعد هذه الغيرة الفارغة على النساء عندما اعتبر اشتراك الرجال ذوى المكانة فى انجاب الأطفال أمرا مشرفا (٦٨). قد تكون الغيرة الجنسية أمرا شريرا ، ولكن من الواضح أنها لم تكن كذلك فى اسبرطة ، فإن بلوتارخوس يشرح كيف كان الرجل المسن المتزوج من امرأة شابة يسمح لشاب صغير لامع أن ينجب أطفالا من زوجته وبعدئذ يتبناهم هو، ولقد ذكر كسينوفون أيضا هذه «العادة» وهو يبدأ حديثه بملاحظة أن ليكورجوس قد عذر الرجال المسنين المتزوجين من شابات صغيرات لغيرتهم وفهم أسبابها (٦٩).

وطبقا لما يذكره بلوتارخوس ، مرة أخرى ، كان من الممكن لشاب متميز معجب بامرأة رجل آخر، لتميز أطفالها أو لوداعتها أن يحصل على موافقة الزوج وأن يضاجع الزوجة ، وكما يبدو، فقد اعتبر ليكورجوس الأطفال ملكا للدولة وليس للأب ، وإن نفس الحجة

المستخدمة فى تهجين الكلاب والجياد لاتخفف من قلق القارئ الحديث ومن توجسه . أن تحسين السلالة ومصالح الدولة يمكن لهما معا أن يصلا إلى حد بعيد للغاية .

أننى اتمنى أن أحقق غرضين من اشارتى لاسبرطه فى هذه الفقرات الختامية من هذا الفصل : الأول ، أننى أرغب فى التعرف على مشكلة الحسد فى دول أخرى بارزة فى بلاد الإغريق من أجل رسم صورة متكاملة للموضوع ، ثانيا وهذا هو الأهم ، أننى أود أن أوضح رأيى فى موضوع الديموقراطية الأثينية والحسد ، فإذا قارنا بين التنظيم السياسى الأثينى والاسبرطى فسوف نجد فرقا جوهريا . لقد تم تبنى سياسة المساواة بين المواطنين الاسبرطيين كاملى المواطنه بشكل واع ، أو هكذا توحى المصادر القديمة ، كى تقلل الحسد بين المواطنين ، ومن ثم يتم منع الاقنان من الثوره . ولكن الديموقراطية الأثينية لم تقم على مثل هذا الأساس، ولكن نتيجة لتطور الديموقراطية الأثينية أمكن الحد من مشاعر الحسد بسبب المساواة فى حقوق التصويب .

فقد أمكن للمواطن أن يشعر، على الأقل فى أحد المجالات ، أنه مواطن صالح مثله مثل المواطن الجالس بجواره . ولكن من المحتمل أن الديموقراطية جعلت مشاعر الغيرة تشتد بدلا من أن تقللها . إن تساوى جميع المواطنين فى حق التصويت فى المجلس ، قد يكون قد أسهم ، ببساطة فى جعلهم يدركون بشكل أكبر وأعمق عدم تساويهم سواء فى المولد أو الثروة أو حتى الحظ الطيب ، وهكذا يشير بلوتارخوس بشكل متكرر إلى الحسد فى سير حياة الأثينيين فى القرن الخامس .

ولكى نصيغ الأمر بشكل اخر. فإن المساواه فى التصويت كانت تخلق لدى المرء حافزا قويا لتوقع مساواه ماثلة على المدى الأوسع . وفى الواقع ، إذا كان على المساواه أن تكبح الحسد ، فإنها يجب أن تكون مساواة كاملة تغطى أوجه الحياة المختلفة، ولقد حاول النظام الاسبرطى أن يكون نظاما شاملا .

وكما قلنا سابقا ، فإن الحسد يظهر بين الأشخاص المتساويين أو شبه المتساويين ، ولكن هذا لايتعارض مع فكرة أن المساواة تزيل مشاعر الحسد ، أن الأشخاص المتساويين الذين يتعرضون لحسد أقرانهم ليسوا متساويين بالمعنى المطلق للكلمة ، وإلا ما أثاروا حسد زملائهم، فقد كانت الديموقراطية تمنح للمواطنين درجة جزئية للغاية من المساواة وبمرور الوقت شجعت المساواة السياسية على المطالبة بمساواة فى الفرصة ومساواة فى الملكية ، فإن ذلك الاتجاه يصبح مدانا سياسيا ، وأن يطالبَ معارضوه، كما يحدث اليوم ، بتسمية احدى الفئات المنشقة

باسم «سياسات الحسد» بينما يطلقون على الاتجاه الآخر اسم «العدالة الاجتماعية». ولكن دارس ثوكوديديس يعرف كيف تغيرت المفردات السياسية بسبب الاتفاق مع سياسة محددة أو الاختلاف معها . ويتفق الفلاسفة والسياسيين فى أنهم يستطيعون الجمع بين الضدين وهكذا أمكن لبلوتارخوس أن يقول أن الفيلسوف يحيا حياة سعيدة سواء كان معروفا أم مجهولا : «أن الشهرة سوف تسعد قلبك لأنك ستكون موضع تكريم ، بينما عدم الشهرة يسعد قلبك لأنك لن تكون موضع حسد(٧٠). وفى موضع آخر من مجموعة مقالاته الأخلاقية يلاحظ بلوتارخوس أن الإنسان العادى لايخشى الحسد مثلما لايخشى الإنسان الفقير المدعى (٧١).

لقد سبق أن اقتبست من مقالة بلوتارخوس التى تدور حول «الحب الأخوى» ، ولكننى أجلت - عن عمد- مناقشة النصيحة التى يقدمها حيث أننى أرى أن لها علاقة وثيقة بموضوع الديموقراطية والحسد. وهو يفتتح الجزء المتعلق بهذا الموضوع(٧٢) بجملة منسوبة إلى سولون تقول إن المساواة (Isotes) لاتؤدى إلى انشقاق (٧٣). وأفلاطون هو مصدر بلوتارخوس فى جملة أخرى تقول «إن عدم المساواة تؤدى إلى الفوضى بينما تؤدى المساواة إلى الراحة والاستقرار(٧٤)» . ويستمر بلوتارخوس قائلا: وهكذا فإن جميع أنواع عدم المساواة تتسم بالخطورة خاصة عندما يصل الأمر إلى صراع الأشقاء ... وما يأتى يمكن تطبيقه على المواطن فى النظام الديموقراطى مثلما يصدق على الأشقاء : فمن المستحيل أن يكونوا متساويين فى كافة الأمور، فإن طبيعتنا ، منذ البداية، تؤدى إلى وجود اختلافات ، وفيما بعد يؤدى مستقبلنا إلى ظهور مشاعر الحسد والغيرة إننا لانبدأ متساويين ، وهذه اللامساواة الأساسية تتحول إلى عدم مساواة مركبة بدرجات مختلفة ، بتقدمنا فى حياتنا ويازدهار مهننا . ويسرع بلوتارخوس بملاحظة أنه من المستحيل أن يفوق أحد الأشقاء غيره بشكل كامل فى كافة الأمور رغم عدم المساواة بينهم فى الطبيعة والمستقبل (٧٥). وتسمح له هذه الملاحظة بتقديم نصيحة للأخ الأفضل ثم بعد ذلك للأخ الأدنى. إن الحقيقة الميمونة بأنه ما من أحد يتفوق فى كل الأمور ، أو لكى نكون أكثر تحديدا ، إنه ما من أحد يدعى تميزه بالتفوق فى كافة الأمور، هى التى تجعلنا نتحمل أحدنا الآخر ونعيش معا دون اضطراب مبالغ فيه فى مجتمع منظم بطريقة ديموقراطية ، وذلك لأنه من الممكن قياس أهمية الفرد بطرق مختلفة ، فهناك «طرق» مختلفة لترتيب المعايير . وبكلمات أخرى قد يكون إنسان ما متميزاً فى مجتمعه بسبب ثروته أو بسبب صلاته الواسعة ولكنه أيضا قد يعتبر أقل من زملائه إلى حد بعيد عندما يتعلق الأمر بتقييم أخلاقياته فربما كانت عائلته أو كان هو نفسه مدانا بشكل علنى بشئ يثير الشبهات

حول عاداته الجنسية . إن تصنيف المرء على أنه متميز فى أحد المجالات ولكنه، وبشكل مماثل، أدنى فى مجال آخر يحفظ التوازن ويؤكد المساواة الأساسية فى المكانة . ولم يكن محض الصدفة أن يكون سياسيا له مكانة بركليس هدفًا دائما لكتاب الكوميديا القديمة فى أثينا ، وسوف نكون مخطئين تماما إذا ما افترضنا أن أرستوفانيس وأمثاله كانا ذوى ميول أوليجاركية لأنهم سخروا مر السخرية ، وبشكل شرير غالبا ، من ميول بركليس الجنسية. لقد كانوا ببساطة يشبعون أهواء جمهورهم ، وذلك الجمهور الذى لم يتحمل أن يفوق أحد الوضع الديموقراطى العام، والذى استمتع تماما بوضع الشخص البارز - مكانة وقوة- فى حجم مقبول، وكان الهجوم العنيف على الأخلاقيات الشخصية أسهل وسائل الهجوم . ومن السمات الإنسانية العامة فى مجتمعنا المعاصر أن نتصالح مع نجاح الآخرين بأن نعتقد أنهم قد دفعوا ثمنا فادحا لهذا النجاح ، سواء بالتضحية بالسعادة الأسرية أو بالتضحية بالمتعة الذاتية . ومن الصعب أن نشعر بالحسد من أحد المليونيرات أو من أحد المشاهير الذين تعبدهم الجماهير إذا ما أشتهر عنهم أنهم يحيون حياة بائسة محرومين من رفقة زملائهم خلف أسوار عالية. ولقد مات مؤخرا أشهر نجم من نجوم موسيقى البوب فى هذا الجيل فى الأربعينيات من عمره . وكان ملياردير ، وقضى الشهور الأخيرة من حياته فى منزل شديد الثراء ، ولكنه كان وحيدا تعيسًا ، أو هكذا قالت التقارير الصحفية ، وكان هذا عزاء لنا جميعا ، نحن الذين عانينا طويلا وبقسوة ولكننا بكل تأكيد حققنا حظا أقل منه . ومن المحتمل كذلك أن نسلك سلوكا أكثر إيجابية فى الهجوم ، فنثير الانتباه نحو ضعف جسدى أو شذوذ شخصى لدى الشخصية العظيمة ، وهكذا فإن رسام الكاريكاتير وكاتب المقال السياسى الساخر يسلك فى هذا الخصوص سلوكا كان موجودا إلى حد كبير فى أثينا فى القرن الخامس .

الهوامش

١- الكيبياديس Alcibiades (٤٥٠-٤٠٤ ق . م)

سياسى اثينى كان يتمتع بالذكاء الشديد كما كان على قدر كبير من الجمال، بالرغم أنه كان يملك جميع مواصفات السياسى الناجح فقد انتهت حياته بكارثة جرها على نفسه وعلى مدينته . وفى عام ٤٢٠ ق . م أصبح سياسيا بارزا نتيجة سياساته المعادية لأسبرطه وقد حث الاثينيين على شن حملة ضد سراقوسه ولقد انتهى الأمر بكارثة كبيره واستدعى الكيبياديس للمحاكمة ، فهرب إلى اسبرطه . ولكنه عاد مرة أخرى إلى أثينا ثم مالبث أن قتل على يد خصومه .

لمزيد المعلومات أنظر :

Benson , E . F . : The Life of Alcibiades (1928) , Bloedow, E . F . : Alcibiades , Re-examined (1973) , Hammond , N. G . L . : A History of Greece to 322 B . C . (1967) , Parry , H . : The Individual and HisSociety : Alcibiades : Greek Patriotor Trait or (1969 .

(المترجمة)

٢- Thuc . 6 , 16 ; 1-3 .

قارن الحديث الذى كتبه ايسكوكراتيس لابن الكيبياديس واشارته إلى نفس الحادثة . 34-32 , 16

٣- لفهم الارتباط بين الحسد والحزن أو الالم Lupe أنظر على سبيل المثال :

Xen . : Mem . 3 , 9 8 , Arist. : Rhet . 1387 , b , P, plut . : Mor 1046 B .

٤- 6 , 16 , 5 .

٥- Verse 15 .

٦- النفى من غير محاكمة Ostracisum :

وهى وسيلة يونانية قديمة تبدو الآن غير متفقة مع المنطق ، وتقوم على تسجيل أسماء عدد من الشخصيات الحاكمة أو زعماء الأحزاب الخطرين فوق شظايا من الفخار ، يجمعها المقترعون ثم يحصون عدد شظايا كل اسم على حده ، ويكون النفى نصيب الشخص الذى يتكرر اسمه أكثر من غيره حتى لو كان الملك ذاته . وسميت هذه الوسيلة أوستراكيسموس اشتقاقا من كلمة استراكون التى تعنى شظية الفخار .

(المترجمة)

٧- 1 , 9 .

٨- 1 , 3 .

٩- 1 , 7 .

١٠- 7 , 1 .

١١- 7 , 2 .

١٢- 7 , 5-6 .

١٣- 25 , 7 .

١٤- 22 , 1 .

١٥- Moralia 537 F .

١٦- 22 , 3 .

١٧- 23 , 3 - 4 , cf . 24 , 2 .

١٨- 29 , 4, cf. 31 , 2 .

١٩- Verses 294 FF .

٢٠- Verse 301 .

٢١- Plut . Cimon 5 , 4 .

٢٢- 8 , 5-6 .

٢٣- 6 ,

٢٤- 10 , 5 .

٢٥- Lysias 19 . 18 .

٢٦- Foster , G. M . : : "The Anatomry of Envy . a Study in Symbolic Behaviour , Current Antholegy , 13 (1972) p. 177 .

٢٧- Soph . : Trach . 189-91 .

٢٨- Foster , G . M . : Op. cit . p. 178 .

٢٩- 14 , 2 FF , 15 , 2-3 .

٣٠- 16 , 4 .

٣١- 17 , 2 .

٣٢- فيدياس Phidias (٤٩٠-٤٣١ق.م)

ما كاد بركليس يصدر قراره بتعيين المثال الأثينى فيدياس مشرفا عاما على كافة أوجه النشاط الفنى فى أثينا حتى سخر هذا الفنان خياله التشكيلى المذهل الخصوبة فى خدمة فكرة، ولجح فى تطويع جيش الفنانين العاملين تحت إمرته. وقد أسبغ فيدياس الحيوية على تماثيل العراه وعلى الثياب . وقد خلق فيدياس فوق مبنى البارثينون عالما غريبا نابضا بالحياة وقد حقق فيدياس حلم بركليس فصاغ أثرا لايزال يحرك إعجاب البشر كما لو كانت تنبض فى داخله نفثه شباب خالد وروح لاتعرف الشيخوخة . وكان فيدياس مدركا الادراك كله الغرض الذى أقيم المبنى من أجله ، فلم يتخط البساطة المقرونة بالتحفظ وراعى عند تصميمه للمنحوتات هدفه الأصلى وهو التجميل أو التحلية المعمارية ، فظهرت متناسبة متوازنة مع المبنى كله كوحدة دون أن تصرف انتباه المشاهد عن الإنشاء المعمارى وتستأثر به وكأنها شئ خاص مستقل بذاته . ولقد كان اعتداد فيدياس بنفسه مبعث تجمع الأعداء حوله حتى زيفوا له تهمتى سرقة جزء مما كان فى حوزته من ذهب وعاج لإقامة تمثال الربة والتطاول على قداسة الربة أثينا بحفر صورته وصورة بركليس على ترس تمثالها ، ومن ثم صدر الحكم عليه بالنفى خارج أثينا ، فلجأ إلى مدينة إليس بشبه جزيرة الموره حيث عقد العزم على الأخذ بالثأر من اضطهاد مواطنيه الاثينيين له بتشييد تمثال للإله زيوس يزرى بشهرة تمثال أثينا بارثينوس. ولم يحدث أن تجسدت فكرة الإغريق عن الألوهية بأحلى مما تجسدت فى التمثال الذهبى العاجى لزيوس الذى أتمه عام ٤٤٨ ق .م وكتب له به المجد حتى عُد أعظم انجازاته وأحد عجائب الدنيا وقتذاك . وعلى الرغم مما لحق بفيدياس من ظلم وجور وجحود لم ينحسر نفوذه حتى بعد محاكمته وموته وبقى مؤثرا فى المثالين بل والمصورين على السواء .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Lawrence , A . W. : Greeke and Roman Sculpture (1972) Richter , G . M . A . : Sculptuer and Sculptors of the Greeks , 4 th . ed . (1970), Robertson , C . M . : A History of Greek Art . (1975) .

(المترجمة)

Pericles 7 , 1 .

٣٤- 4 , 1-2 ; 13, 9; 31, 2-5, 32.

٣٥- cf. 31 , 2 . 4 .

٣٦- 13 , 9-11 .

٣٧- 10 , 6 .

٣٨- 3 , 2-4 ; 8, 3;13, 5-6 , 13 , 10 ; 16 , 1-2 ; 24 , 6 ; 30 , 4 . 33 , 7 .

٣٩- 7 , 2.

٤٠- 22 , 3 .

٤١- 13 , 4 .

٤٢- 27 , 3 .

٤٣- Plut : Cimon 10 , 1-2 .

٤٤- المدعى Sycophant :

وهى كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وتعنى الشخص الذى يبلغ السلطات عن من يستوردون التين من اتيكا ، ويرى البعض أنها تعنى الشخص الذى يجمع التين بان يهز الشجرة ويظهر الثمرات المختفية تحت الأوراق، ثم أصبحت تعنى الشخص الذى يحرز الثراء من ابتزاز الآخرين وإقامة الدعاوى ضدهم فينال نصيبه من ثرواتهم .

٤٥- 26 , 1 .

٤٦- 2 , 145 .

٤٧- Aristo .: Ach . 818 FF , Birds 1410FF, Plut 850 FF .

٤٨- Plutarch : Them . 22 , 3 .

٤٩- Thuc . 2 , 35 , 2 .

٥٠- 36 , 1 .

٥١- 37 , 1 .

٥٢- 39 , 1 FF .

٥٣- 41 , 1 .

٥٤- Verses 469 FF .

٥٥- Verses 476-80 .

٥٦- Verses 531-32 .

٥٧- Verses 535 FF .

٥٨- Verses 543 - 45 .

٥٩- Fr . 24 N . I Stob . 3 , 38 , 12 .

٦٠- 679 b-c .

٦١- 3 , 5 .

٦٢- 7 , 2 , cf. Xenephon : Spartan Constitution 15 , 8 .

٦٣- 8 , 1-2 .

٦٤- 9 , 1-2 .

٦٥- 24 , 2 , cf . Xenophon : Spartan Constitution 7 .

٦٦- 10 , cf . Xeno . : Spart. cons . 5 , 2-7 .

٦٧- 10 , 4 , 16 = Jacoby FGH 70 F 149 .

٦٨- 15 , 6 , cf . Xeno . : Spart . const . 1 , 7-10 .

٦٩- Spart . cons . 1 , 7 .

٧٠- cf . Mor . 101 E .

٧١- Mor . 165 D .

٧٢- 484 B .

٧٣- cf . Plut . : Life of Solon 14 , 2 .

٧٤- 484 C . cf Rep. 547 a .

٧٥- 484 F .

الفصل السادس

الحسد والسياسة (٢)

القرن الرابع ق . م

لقد تبنى أفلاطون ضمن آخرين تشريعات ليكورجوس[١] السياسية[٢] ، طبقا لرأى بلوتارخوس ، ففى محاورة «الجمهورية» لانرى وجودا للملكية الخاصة ونجد مشاعية النساء والأطفال بالنسبة لطبقة الحراس ، وهو ما يُعتبر نسخة أكثر تطرفا من النظام الأسبرطى. ومن المؤكد أن مصير سقراط ، معلم أفلاطون ، قد أثر بقدر كبير فى تشكيل أفكار هذا الفيلسوف، إن الاشارات الموجودة فى محاورة «الدفاع» Apology لأفلاطون ودفاع سقراط أثناء المحاكمة يؤكدان جميعا أن سقراط أيضا كان ضحية من ضحايا الحسد . لقد كان سقراط، مثل بركليس ، محل هجوم شعراء الكوميديا الأثينية القدماء والمثال الواضح هو كوميديا «السحب» لأرستوفانيس . ورغم أنك تستطيع أن تذكر اسم عدوك عندما يكون من كتاب الكوميديا ، بينما يكون من المستحيل أن تستدعى لساحة القضاء وأن تستجوب كل أولئك المتورطين فى حسد شخص آخر والافتراء عليه[٣]. لقد كان سقراط واثقًا أن إدانته سوف تكون نتيجة لافتراء وحسد الغالبية وليس نتيجة للتهمة الموجهة إليه [٤]. ويعتبر سقراط نموذجا توضيحيا مهما لأننا هنا نجد رجلا ذا مكانة موضعا لحسد الجماهير ، ونادرا ما نجد ذكرا لشخص عادى. ولكن الخطيب لسياس يقدم لنا مثالا آخر، وذلك فى حديث يلقيه دفاعا عن شخص كسيح أتهم بأنه تلقى معونة من الدولة دون وجه حق . وتستحق الثلاثة أجزاء الأولى من هذا الحديث أن نوردها كاملة .

« أيها السادة، إننى أكاد أشعر بالامتنان لمن اتهمنى لأنه أحضرنى إلى هذه المحاكمة ، فلم يكن عندى من قبل سبب يدعونى إلى الحديث عن حياتى. أما الآن فلدى هذه الفرصة بفضله وسوف أحاول أن أوضح من خلال حديثى أنه كاذب ، وأننى قد عشت حتى اليوم بطريقة تستحق المدح لا الحسد، فقد دبر لى هذا الوضع الخطير ، كما يبدو ، لالسبب آخر سوى الحسد. ولكن إذا ما حسد شخص من تشفق عليه بقية الأشخاص فعن أى الشرور فى رأيكم، سوف يمتنع مثل هذا الشخص ؟ فإذا كان يقدم هذا الاتهام كى ينال مالا فلا بأس ! وإذا كان ينتقم لنفسه منى باعتبارى عدوه الشخصى ، فإنه يكذب ، فليس لى أية علاقة به سواء كصديق أو

كعدو بسبب خسته . ومن ثم، أيها السادة يتضح الآن أنه يشعر بالحسد تجاهى لأننى مواطن صالح أكثر منه بالرغم من سوء الحظ الذى أتمتع به أيها السادة، إننى أعتقد أن افة الحسد يجب أن تعالج بتهذيب النفس .

وكما يبدو تنتشر فكرة أن المواطن الصالح(٥) يجب أن يكون محسودا ، وبالطبع فإن الجمل التى تُقال فى ساحة المحكمة يكتنفها شك ليس بالقليل ، ولكن على ما يبدو فإن كسيحنا هذا يعرف ما يفعله تماما عندما ينسب الاتهام إلى الحسد الفج ، ذلك الحسد الذى يثيره أنه مواطن فاضل بالرغم من علته الجسدية .

ولكننا مع أفلاطون لانتعامل مع مواطن عادى ولكننا نتعامل مع فيلسوف . وإذا ما رجعنا بذهننا دقيقة واحدة للمادة التى ناقشناها من قبل، أى لحسد الآلهة للأمراء والملوك الشرقيين ولأبطال الأساطير والطغاة الإغريقية ، وكلهم قد يجلبون على أنفسهم حسد الآلهة ، فإننا ندرك أننا قد وصلنا مع أفلاطون إلى دائرة مغلقة، فسنجد أنه ينكر فى كتاباته أن الآلهة تحسد (٦)، وقد حث الإنسان أن يحاول بقدر ما يمكن وفى حدود المسموح له به ، أن يصل إلى الكمال الذى تتمتع به الآلهة (٧). ولكن يوجد تناقض واضح بين صورة الدولة التى رسمها أفلاطون فى «الجمهورية» وتلك التى رسمها بعد ذلك فى «القوانين» ، والصورة المتأخرة التى رسمها الفيلسوف تهتم أكثر بحقائق الحياة ، لذا فإنها جديرة بأن نهتم بها فى هذه الجزئية فعلى سبيل المثال ، يناقش المحاور الأثينى فى «القوانين» ملوك الفرس، ووجد الكثير الذى يستحق قورش وداريوس الثناء من أجله ، ولكنه لم يجد شيئا جديرا بالثناء فى ولديهما قمبيز وكسركسيس (٨). لقد كان قورش ملكا ناجحًا ، وكان من بين فضائله أنه لم يشعر بالحسد تجاه الإنسان الذى يتمتع بالذكاء ، أو المقدرة على النصح (٩). بينما اعتقد داريوس أن أفضل سياسة هى أن يحكم بالقوانين التى تساوى بين الجميع(١٠). لقد حطم التعليم السئ أبناء قورش وداريوس ، فقد قتل قمبيز أخاه بسبب خوفه من أن يتساوى أحد معه (١١). ورغم أن افتتاحية محاورة «القوانين» تضم هجوما على النظامين الاسبرطى والكريتى، فإن المحاور الأثينى مستعد أن يضع ثقته فى النظام الإسبرطى بقدر ما يمنح التكريم للجميع بغض النظر عن الثروة والمكانة ، كما يتلقى الجميع نفس التعليم (١٢).

ويظهر سقراط فى كتابات كسينوفون الفلسفية مثلما يظهر فى كتابات أفلاطون ، ولكننا نقترب أكثر من الإنسان العادى مع سقراط كما يظهر عند كسينوفون ، حيث أن فيلسوف

كسينوفون شخص يعنى بصورة أساسية بالأخلاق العملية التى تستخدم يوميا . وفى التذكارات (Memorabilia)[١٣] نجد تحليلا لأنواع مختلفة من الفضائل والرذائل ضمنها الحسد ، ويجب فى البداية أن نلاحظ أن الحسد يظهر ضمن قائمة تضم الشجاعة ، الحكمة، الاعتدال ، الجنون ، الكسل ، السلطة ، التكاسل والفراغ. وإذا ما دعى شخص الآن كى ينظم قائمة من الصفات ، سواء كانت الحميدة أم الذميمة ، يكون من ضمنها عناصر مثل الشجاعة أو الكسل . ولكن الحسد لايقفز بسرعة إلى ذهن الإنسان فى مثل هذا السياق . ولكنه الأمر كان كذلك بالنسبة للإنسان الإغريقى. فقد كان الحسد شعوراً منتشراً لدرجة تجعل من المستحيل ألا تضمه القائمة . وهناك أيضا قائمة شبيهة رسمها ديموسثنيس خطيب القرن الرابع. عندما أدان علنا مكائد الملك المقدونى فيليب ، ويقول : إن أول الرذائل المميتة التى دخلت بلاد الإغريق هى الحسد ، والكلمة المستخدمة هنا هى Zelos ، فإذا حقق أحد شيئا ما وتبعه الآخرون ، فإنه يقابل بالاحتقار إذا ما اعترف ، بينما ينال الذين ثبتت عليهم التهمة العفو ، ويلقى أى شخص يعترض على تلك الأفعال الكراهية[١٤] ويمكننا أن نرى نموذجا مماثلا فى الملاحظات المنفرة التى يقدمها السياسى ضد خصمه فى المحاكم الأثينية: فيمكن اتهام العدو السياسى بالحسد، ويصعب القول بمثل هذا الاتهام اليوم، بالرغم من أن سقطات الآخرين تنسب دائما إلى المنافسين . ويشير أيسخينيس Aeschines فى أحد أحاديثه التى يهاجم فيها ديموستنيس إلى حسد منافسه الزائد عن الحد، وكذلك إلى غطرسته وجبنه ووضاعته [١٥]. ويتحدث فى موضع آخر عن أن ديموستنيس شرير وحسود، وعن أنه شخص هوائي وغيور وخائن ومزيف [١٦]. ولايثير الحسد اليوم مناقشة كبيرة كما لايستخدم للحط من شأن أحد كما كان فى الماضى . فهل يمكن أن يتفق أحد السياسيين المحدثين مع ديموستنيس فى أن أكبر ثلاثة عيوب رئيسية تضر بسمعة الإنسان هى أن يكون حسودا ، وغير مخلص ، ولايعترف بالجميل [١٧]. وفى الحديث نفسه ، وهو ضد ليبتنيس Leptines ، يقول ديموستنيس بعد ذلك أننا يجب أن نتجنب كل نقيصة وأننا يجب أن نتجنب الحسد أكثر من غيره ، فالحسد دليل على الطبيعة الشريرة فى كل شئ ، والإنسان الذى يشعر بالحسد لاعذر له[١٨] وفى فقرة أخرى من هذا الحديث، وهى تقريبا الفقرة الختامية المدويه فى هذا الخطاب ، يرعد ديموستنيس قائلا إنهم إذا رفضوا نصيحته فإن المدينة سوف تبدو فى عيون الجميع خائفة ، حاسدة وعديمة الجدوى[١٩].

وفى «تذكارات» كسينوفون Memorabilia[٢٠] يرى سقراط أن الحسد شعور بالضيق (Lupe) سببه ليس سوء حظ الأصدقاء أو حظ الأعداء الطيب ، ولكنه شعور يشعر به فقط أولئك الذين يتضايقون من نجاح الأصدقاء . ولقد سنحت لنا الفرصة من قبل كى نوضح أن نجاح الأصدقاء يثير الحسد. إن استعداد المرء لمساعدة صديقه فى وقت الأزمات لايمنع شعوره بالاستياء لنجاح نفس الصديق ، إن ذلك قد لايحدث للإنسان الذكى وإنما يحدث فقط لمن يتصفون بالغباء ، ولكنها مع ذلك حقيقة من حقائق الحياة . وقد ناقشت التذكارات من قبل موضوع اختيار الأصدقاء[٢١] وبدت فرصة إقامة صداقة محدودة للغاية ، حيث أن الأشرار لايمكنهم مصادقة أحدهم الآخر، وكذلك لايمكن للأشخاص الطيبين أن يصادقوا الأشرار، فإذا بدأ الأخيار يتعاركون من أجل الزعامة فى مدنهم وبدأوا يحسدون ويكرهون أحدهم الآخر ، فمن الذى سوف يبقى لتكوين الصداقات [٢٢]؟ ويجيب سقراط أن الميل لعمل صداقة ميل فطرى طبيعى[٢٣] وذلك لأن البشر يحتاجون بعضهم البعض ويتعاونون معا ، ولكنهم أيضا يحاربون من أجل نفس الغرض وينافس أحدهم الآخر، فيؤدى الصراع والغضب إلى العداوة ، ويؤدى الجشع إلى البغضاء ، ويؤدى الحسد إلى الكراهية [٢٤]. ويستمر سقراط قائلا إن الصداقة بين الأخيار تقهر مثل هذه الصعوبات الهائلة ، ويختم حديثه قائلا : إنهم يقضون على الحسد نهائيا عندما يشركون أصدقائهم فيما يملكون وحين يعتبرون ما يملكه أصدقاؤهم ملكا لهم[٢٥]. وبتعبير آخر ، فإننا نقابل هنا مرة أخرى مقولة أن الملكية العامة للأشياء يمكنها فى الواقع أن تزيل الحسد، بالرغم من أنه قد يكون منتشرا ومهلكا.

وبعد أن أعاد كسينوفون العشرة آلاف جندى إلى وطنه من قلب الإمبراطورية الفارسية ، اكتسب قبولا كقائد عسكرى أكثر منه كفيلسوف يفهم تعاليم سقراط بعمق . ولذلك يجب أن ننتبه إلى فقرة فى سيرة حياة قورش ، مؤسس المبراطورية الاسبرطية ، والتى كتبها كسينوفون وتُسمى «تربية قورش» Cyropedia ، وهى تبدأ عندما كان قورش العظيم على وشك أن يشن هجوما بقواته ، ونقرأ أن من بين أسباب رغبته فى المبادرة بالهجوم هو أن معظم جنوده كانوا يغارون من بعضهم البعض أثناء أدائهم للتدريبات [٢٦]. ولقد أدرك قورش أن الخطر العام يجعل الحلفاء يبدون ميلا لمساعدة أحدهم الآخر، ففى مثل هذا الموقف ، لايحسدون أولئك المدججين بالأسلحة المزخرفة ، ولا أولئك المتطلعين للتكريم ، إنهم فى الواقع يمدحون نظراءهم (homoioi) ويشعرون تجاههم بالحب لأنهم يرون أنهم يعملون معا من أجل الصالح

العام [٢٧]. وبطبيعة الحال تظهر السمة الاسبرطية أكثر من السمة الفارسية فى قصة «تربية قورش» التى تصور تنشئة قورش ومعاركه. وأن تسميته الصفوة من الفرس باسم homotimoi (هؤلاء المتساويين فى الشرف) لهو من الأمور ذات المغزى. وبالتأكيد فقد كانت هذه الشريحة من الفرس شديدة الحساسية وسريعة الشعور بالغيرة إذا ما اعتقدت أن من تولى حكمها أو قيادتها أدنى منها، مثلما حدث مع فيراولاس Pheraulas وهو رجل من عامة الشعب [٢٨].

ويبدو أن كسينوفون قد كتب جزءاً كبيراً من «تربية قورش» بوحى من تجربته الشخصية عندما رافق العشرة آلاف جندى، فإن الصورة الموجودة فى «الحملة» (Anabasis) لشخصية الأمير قورش، المطالب بالعرش الفارسى والذى حاول أن يفوز بهذا العرش بمساعدة المرتزقة الإغريق، بما فيهم كسينوفون، تذكرنا، بشكل متكرر، بتفصيلات من قصة حياة مؤسس الإمبراطورية الفارسية التى كتبها كسينوفون. وكما يبدو كان قورش الصغير يحتل مكانة أدنى من قورش الأعظم فقط، وذلك لأنه كان الملك القادم لبلاد فارس [٢٩]. ولكنه كان إغريقيا من الناحية الأخلاقية، فقد كان يصلى ويتضرع دائما أن يطول به العمر كى يعامل أصدقاءه وأعداءه نفس المعاملة [٣٠]. ولم يكن هناك ضرر بالنسبة لقورش أن ينجح أحد أتباعه فى تكوين ثروة وأن يعرف قورش ذلك، لأنه لم يكن يشعر بالحسد تجاه أولئك الذين يصبحون أغنياء بطريقة علنية واضحة [٣١]، إن محاولة الأمير قورشى اغتصاب العرش من أخيه تقدم مثالا نموذجيا للمنافسة العائلية، لقد حارب أفراد قوته من الإغريق من أجل المال على أمل أن يعودوا سالمين إلى وطنهم فتجعلهم ثروتهم التى حصلوا عليها حديثا موضع حسد أصدقائهم[٣٢]. وقد يظن البعض أن الغيرة كانت متفشية بين القادة الإغريق عندما كان كسينوفون يدافع عن تصرفاته أمام الجنود، فقد كان يتحدث عن القصص التى روجها بعض الأشخاص السخفاء، أو أولئك الذين كانوا يشعرون بالغيرة لأن القوات كانت تعامله معاملة متميزة [٣٣]، إن ذلك المنصب الذى كان يتولاه كان يثير استياء الآخرين إذا ما رفض لأحدهم طلبا واحداً [٣٤]. إذا كنت شخصا معروفا فيجب أن تتوقع أن يطلق الآخرون سهامهم عليك وأن تتوقع قبل كل شئ مقدارا كبيرا من الحسد.

وفى القرن الرابع، لم يكن كسينوفون الأثينى الوحيد الذى شعر أنه معرض للحسد إذ أنه ضحية له بالفعل، ويقدم لنا الخطيب ايسوكراتيس مثالا فريداً. ففى عمله الأخير المسمى

Panathenaecus والذى ألفه عندما كان بالفعل فى التسعينيات من عمره، وهو عمله الأخير، وفيه يرد ايسوكراتيس على من ينتقدونه قائلا : أنهم قد يمدحون أحاديثه ولكنهم مع ذلك يحسدونه لا لشئ سوى أن الناس قد استقبلت أحاديثه هذه استقبالا حسنا [٣٥]. ولايعجب المرء إذا ما شعر أولئك الذين يعتقدون أنهم أفضل من أيسوكراتيس بالحسد تجاهه، وأن يحاولوا تقليده ويكونوا أكثر عداء له من عامة الناس إذا ما أظهر أن موهبته أعظم منهم [٣٦]، ويدافع أيسوكراتيس عن نفسه مرة أخرى فى عمله المسمى "Antidosis" وهو عمل يماثل دفاع سقراط عن نفسه كما يقدمه أفلاطون فى محاورة «الدفاع» ، وهنا يقول إن ألئك الذين يشعرون بالحسد تجاهه يجدون سعادة فى تقديم صورة مزيفة له ، بالرغم من أنهم يعرفون شخصيته جيدا وطبيعة الحياة التى يحياها [٣٧]. أن موقفه صعب للغاية : فإذا مدح نفسه فسوف يضايق الناس وحتى قد يثير حسدهم [٣٨] ، لقد كان الغرض من دفاعه أن يكشف حقيقة شخصيته ، وأن يجعل الجاهل يعرف، وأن يجعل الإنسان الحسود يحزن أكثر ، فذلك هو الانتقام الأعظم الذى يستطيع ايسوكراتيس أن يقوم به [٣٩]. وعندما يصل إلى التفاصيل ، يقول أيسوكراتيس إن الشخص الذى يتهمه يحاول أن يصوره كمعلم يتقاضى مبالغ ضخمة من تلاميذه الأغنياء ، معتقداً أن المبالغة فى تقدير قيمة ما يتقاضاه سوف يشجع المستمع على الشعور بالحسد تجاهه [٤٠]. وفيما بعد يتحدث عن بداية وظيفته التعليمية ويقول «إن أمله فى تحقيق مكانة متميزة قد تحطم» [٤١]. ، ويستمرقائلاً «إن أولئك الذين يحسدونه يريدون أن يمتلكوا موهبتة ولكنهم مهملين ، ولكن عندما يحقق الآخرون ما يطمعون فيه يتضايقون ويشعرونْ بالغيرة وتضطرب نفوسهم مثل المحبين». ويدعى ايسوكراتيس أن هذه النقطة الأخيرة مثال جيد : إنهم يحسدون أولئك الذين يستطيعون استخدام اللغة بصورة جيدة ولكنهم يلومون الصغار الذين يطمعون فى تحقيق هذه المكانة المتميزة . إن موقفهم كله ملئ بالتناقض وببساطة، فإن الحسد يدمر البشر [٤٣]، وبتعبير آخر، فإن الإنسان الحسود هو أعظم عدو لنفسه. ولقد عبر أيسوكراتيس عن هذا المعنى فى إحدى قصائد المدح التى كتبها ، وذلك عندما يشير إلى الحسد باعتباره سبب فشلنا فى تحقيق شهرة مثل التى نالها أبطال الملاحم والتراجيديا . ويعلق على ذلك بقوله إن حسنة الحسد الوحيدة أنه أكبر شر لمن يملكه ، فإن بعض الناس قد يكونون فطين بالفطرة لدرجة تجعلهم يجدون متعة أكبر فى سماع مديح من لايعرفونهم عن سماع الثناء على من لهم فضل عليهم [٤٤]. ويقدم أيسوكراتيس فى هذا

العمل تعليقا لاشك فى أنه خيالى ، يقول إن بعض البشر يكونون عدائيين - سواء بسبب الحسد أو العوز- لدرجة أنهم يدخلون فى حرب ليس مع الشر ولكن مع النجاح ، إنهم لايكرهون أفضل الرجال فقط ، ولكنهم يكرهون أيضا أنبل التصرفات، إنهم يتعاطفون مع الأشرار ، وإذا ما استطاعوا فإنهم يحطمون أولئك الرجال الذين يشعرون بالحسد تجاههم [٤٥].

ومن ثم ، كان أيسوكراتيس محسوداً ، ووفقا لما يقوله هذا الخطيب، فقد كان تلميذه تيموثيوس Timotheus محسودا أيضا . وقد يبدو ذلك غريبًا بعض الشئ لأن تيموثيوس كان معاديا للديموقراطية . ويمكننا أن نرجع مرة أخرى إلى Antidosis حيث يذكر أيسوكراتيس فى إحدى الفقرات المعاملة القاسية التى لقيها تيموثيوس ، وأضاف تعليقا عن جهل الرجل وعن الحسد واضطراب العصر[٤٦]. عندئذ يعترف أيسوكراتيس أن مهارة تيموثيوس فى إدارة الأمور كانت تعادل عدم مقدرته على التعامل مع الاخرين ، لقد تميز تيموثيوس بالكبرياء وهى صفة مفيدة للغاية للقائد العسكرى ، ولكنها لاتكون صفة مناسبة عندما يتعلق الأمر بالحياة اليومية[٤٧] وبعد ذلك بقليل يلاحظ أيسوكراتيس أن تيموثيوس كان يعانى من عدم قدرته على النزول إلى مستوى الرجال الذين يشعرون بالألم ممن يتفوقون عليهم[٤٨] . وكل هذا يجعل تيموثيوس يبدو إلى حد كبير نسخة القرن الرابع لثيموستكليس الذى عاش فى القرن السابق، كما يوضح بالصدفة ، كيف كان أيسوكراتيس مخطئا عندما زعم أن أثينى القرن السابق كانوا أكثر بعداً من معاصريه المساكين فى الشعور بالحسد تجاه الأفضل منهم[٤٩]. إن الفساد لم يبدأ فقط بتحول أثينا إلى دولة إمبريالية[٥٠] ، لقد كان الحسد موجودا هناك دائما، وجعل وجوده محسوسا بشكل دائم .

وفيما بعد، كان ليكورجوس مسئولاً عن ترتيب الأوضاع فى أثينا فى القرن الرابع على أساس اقتصادى سليم . ولقد وصل إلينا خطاب يحمل إسم ديموسثنيس ، نعرف منه أنه بعد موت ليكورجوس أودع أبنائه السجن بسبب عدم قدرتهم على سداد العجز المالى، الذى يقال إن والدهم تسبب فيه [٥١]. وطبقا لهذه الوثيقة فكثيرا ما كان يتم اتهام ليكورجوس أثناء حياته من أولئك الذين يشعرون بالحسد تجاهه [٥٢]. ولقد فُرضت غرامه على أولاده، بسبب النميمة والحسد، كما يزعم الخطاب [٥٣]. ويوضح الخطاب أنه من الجنون معاقبة الأبناء ، ويقول إن الدولة يجب ألا تغير رأيها الذى كانت تتبناه إبان حياته ، لأنها حين تمنح الأبناء مكافآت مناسبة بعد موت آباؤهم ، حتى لو كان الحسد قد حال دون تكريم الآباء أثناء حياتهم

فإنها بذلك تشجع الناس على تبنى سياسيات مؤيدة للشعب (٥٤). وتقترب ملاحظته التالية أكثر من هذه النقطة ، وهى عتات للجميع : إنها كارثة بالنسبة للدولة أن تبدو مشاعر الحسد أقوى من مشاعر الامتنان على ما يؤديه الفرد من خدمات ، إن الحسد مرض، أما الامتنان فله مكانة بين الآلهة (٥٥). وتزداد قوة الرسالة باللعب على الكلمة اليونانية Charites التى يمكن أن تعنى الآلهة المعرفة باسم Graces(٥٦) ، كما تعنى ببساطة مشاعر الامتنان .

لقد أنتهينا تقريبا من استعراضنا الدليل المأخوذ من القرن الرابع والذى تم انتقاءه من كتابات أفلاطون وكسينوفون والخطباء «بنوع من التأمل الذى يتصف بالتكلف، ومن بين أكلشيهات القرن الرابع لانجد مصدرا أكثر فائدة من كتاب الكوميديا الحديثة . وبالفعل نجد أن الفقرة التى يوردها ستوبايوس عن الحسد فى مجموعته هى بعض سطور من فليمون Philemon تقول إن الحسد هو أعظم الشرور للرجل الذى يختار طريق الشر(٥٧) كما يقدم مناندر بيتين من الشعر :

إن الرجل الحسود يدخل فى حرب مع نفسه

لأنه يكون محاطا دائما بالأحزان التى يبتلى بها نفسه(٥٨)

وتنتهى الفقرة بجملة أطول تقوم على فكرة أفلاطون بخلود الروح التى قالها فى الكتاب الأخير من «الجمهورية» (٥٩)، ويورد فيها مجموعة من الأمثلة توضح أن كل شئ يفسد من رذيلة معينة موجودة بداخله . وقبل أن تنتهى الفقرة يصل إلى نتيجة مؤداها أن الحسد هو أكثر الشرور شرا ، فهو الرفيق القبيح للروح الشريرة (٦٠). ولكننى لا أزمع استعراض الدليل المتاح لنا من الكوميديا الحديثة ، رغم أنه سيكون من السهل علينا أن نقتبس منه الكثير ، حتى من فليمون الذى حفظه لنا ستوبايونس (٦١)، وذلك لأن النقطة الأساسية لاتحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، وبدلا من ذلك سوف أتجه إلى ثغرة موجودة فى دليلنا : فبالإضافة إلى سقراط ، وربما كان كسيح لسياس أفضل منه ، فإننا لم نجد فرصة للتركيز على ما يمكن أن نسميه وقوع الرجل العادى ضحية للحسد . ورغم أننا لم نفكر فى الآلهة أو الملوك أو الطغاة إلا بشكل عرضى فإن اهتمامنا الأساسى فى هذا الفصل والفصل السابق بالسياسيين البارزين وبالفلاسفة والخطباء ، وهؤلاء لايكادوا يوصفوا بأنهم مواطنين عاديين . ولايمكننا أن نضيف شيئا إلى القليل الذى قيل بالفعل فى بداية هذا الفصل عن كسيح لسياس ، رغم أنه يمكننا أن نذهب أبعد من ذلك قليلا مع سقراط .

ولقد كتب كسينوفون أيضا كتاب «الدفاع» دفاعا عن سقراط ، واعتمد فيه على معلومات واحد من مجموعة سقراط هو هيرموجنيس Heromogenes ، وهنا نعرف أن سقراط قد أغضب المحلفين لأنه كان يزعم أنه يوحى إليه من الإله ... » فقد صدقه بعضهم بينما شعر البعض الآخر بالحسد لأن الآلهة ترض عنه أكثر منهم»[٦٢] . ويلاحظ كسينوفون فى ختام «الدفاع» أن سقراط قد جعل إدانته أكثر تأكيدا وذلك عندما عظم نفسه أمام هيئة المحكمة،، وبذلك جلب الحسد على نفسه [٦٣]، وبطبيعة الحال فإن ما نحتاجه بالفعل هو التعرف على تقييم سقراط نفسه للحسد ، أن يتحدث عن شخصه مثلما فعل أيسوكراتيس ، ولكن لم يبق لنا شئ من سقراط . أو هل بقى شئ؟ . إن ثلاثة من المقتطفات التى حفظها لنا ستوبايوس منسوبة إلى سقراط وهى تقول : «سرعان ما يزيل جمال الشهرة ويختفى بين طيات الحسد كما لو كان يختفى بين طيات داء عضال» [٦٤]. «إن الحسد يتبع أولئك الذين يتقدمون عبر طريق الشهرة مثل الظل الذى يتبع المسافر فى ضوء الشمس» [٦٥]، ولقد قال سقراط «إن الحسد هو جرح فى الروح»[٦٦] . وقد يبدو من السذاجة أن نحاول اكتشاف الكلمات الأصيلة لسقراط لأن ستوبايوس قد جمع هذه الفقرات وقام بتصنيفها بعد الفترة التى عاش فيها سقراط بمئات السنين . ولقد أثبت جون بارنز Hohn Barns بالدليل المدعم بتفصيلات عديدة أن هذه النوعية من مقتطفات ستوبايوس الأدبية لها تاريخ طويل ، وأن هذا النوع من المساعدات التعليمية الذى استخدم بالفعل بواسطة ايسوكراتيس ، من المحتمل أنه مستوحى من السوفسطائيين. وقد تكررت المادة المتضمنة فى مثل هذه المقتطفات الأدبية من مجموعة إلى المجموعة التالية حتى جعلت من الممكن القول أن التعليقات الثلاث التى حفظها ستوبايوس ترجع فعلا إلى سقراط فى القرن الخامس ق . م .

ولكننى ما زلت أعترف بصراحة أن دليلنا عن موضوع الإنسان العادى والحسد دليل مبتسر بشكل محزن . ورغم ذلك ، فقد نكون مخطئين ، إننا نلاحظ ذلك ببساطة ونحزن له ولانفعل شيئا بعد ذلك . ولكن يبقى طريق يجب أن نستغله ، فهناك ارتباط مباشر بين فكرة الفلاح المعاصر عن الحسد وفكرة الإنسان البدائى عنه : فإن نفس كلمة الحسد التى يستعملها مثل هؤلاء الناس تعنى«العين الحسود »،وتبرز فى الحال أفكار أخرى إلى الذهن مثل السحر والعرافة والدجل إلى آخر ذلك . وبالتأكيد فإن الفعل baskainein الذى يعنى « يحسد بعينه الحسود » فعل شائع بقدر كاف فى اللغة اليونانية القديمة . وهناك كذلك الاسم baskainia

(حسد) والصفة baskanos (حسود) . إن فكرة أن أكون موضع حسد فكرة لا تزعجنى ، فأنا لا أؤمن أن من يحسدنى يملك القوة كى يؤذينى أو يؤذى عائلتى أو يؤثر فى رخائى ، ولكن الأمر مختلف للغاية بالنسبة لكل من الإنسان البدائى والريفى : فإن مجرد اقتناعه بأن مجرد نظرة قد تفسد محصوله أو قد تجعل طفله الرضيع يمرض هو أمر كاف للغاية لكى يضيف لتهديد الحسد بعدا جديدا مفزعا . إن المدخل الذى تقدمه فكرة العين الحسود هو الذى جعلنى أخصص الفصل القادم لهذه الفكرة، وسوف أرى إذا كان هناك المزيد الذى يمكن قوله عن الإنسان العادى والحسد أم لا . ومن حسن الحظ يمكننا أن نبدأ بحثنا بالشاعر الهللينستى كاليماخوس ، وبذلك نحافظ على التسلسل الزمنى ، ونسير من القرن الرابع ق . م ، الذى تناولناه فى هذا الفصل إلى القرن الثالث ق . م فى الفصل التالى .

الهوامش

١- ليكورجوس Lycurgus :

يُعتبر ليكورجوس مؤسس النظام الاسبرطى فهو المشرع الذى ينسب له التراث اختراع هذا النظام الاجتماعى والعسكرى الفريد. ويذكر هيرودوت أنه عاش حوالى عام ٩٠٠ ق . م ولكن المؤرخين المتأخرين ، وفيهم بلوتارخوس يعتقدون أنه عاش فى بدايات القرن الثامن ق . م ويشك بعض الدارسين المحدثين فى وجود ليكورجوس ويعتبرونه شخصية اسطورية .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Finley . M . I : The Ancient Greeks (1963), Bury T . B : History of Greece , 3rd . ed . 1952 .

(المترجمة)

٢- 31 , 2 .

٣- cf. Apology 18 d.

٤- 28 , a .

٥- cf . Lysias 3 , a .

٦- Phaedrus 247 a, Timaeus 29 e , cf Epinomis 988 b .

٧- Phaedrus 253b , Rep . 500 C. d , Theaetetus 176 b-c, Tim . 90 . b-c .

٨- 694 ff .

٩- 694 b .

١٠- 695 c .

١١- 695 b .

١٢- 696 a.

١٣- 3 , 9 .

١٤- 9 , 39 .

١٥- 2 , 22 , cf . 2 , 139 , 3 , 81 .

١٦- 2 , 54 .

١٧- 20 , 10 .

١٨- 20 , 140 .

١٩- 20 , 164 .

٢٠- 3 , 9 , 8 .

٢١- 2 , 6 .

٢٢- 2 , 6 , 19-20 .

٢٣- 2 , 6 , 21 .

٢٤- 2 , 6 , 21 .

٢٥- 2 , 6 , 23 .

٢٦- 8 , 2 , 26 .

٢٧- 3 , 3 , 10 .

٢٨- 8 , 3 , 5 ; 8, 3 , 8.

٢٩- 1 , 9 , 1 .

٣٠- 1 , 9 , 11 .

٣١- 1 , 9 , 19 .

٣٢- 1 , 7 , 4 .

٣٣- 5 , 7 , 10 .

٣٤- 6 , 1 , 29 .

٣٥- 12 , 15 .

٣٦- 12 , 16 .

٣٧- 15 , 4 .

٣٨- 15 , 8 .

٣٩- 15 , 13 .

٤٠- 15 , 31 .

٤١- 15 , 163 .

٤٢- 15 , 244 -46 .

٤٣- cf . 15 , 259 .

٤٤- 9 , 6 .

٤٥- 15, 141-42.

٤٦- 15 , 130 .

٤٧- 15 , 131 .

٤٨- 15 , 138 .

٤٩- 7 , 32.

٥٠- cf . 15 . 316 .

٥١- Letter 3 .

٥٢- 3 , 6 .

٥٣- 3 , 10 .

٥٤- 3 , 20.

٥٥- 3 , 28.

٥٦- ربات البهجة Graces :

طبقا للأساطير الإغريقية كانت تلك الربات ثلاث شقيقات ، وكانت أسماؤهن مشتقة من صفاتهن ، فالأولى تحمل اسم Aglaia أى «التألق» والثانية تسمى Euphrosne أى «البهجة »والثالثة تسمى Thalia أى «النضاره». ولقد أصبحت تلك الربات رفيقات للموسيات ولافروديتا وكذلك لديونيسوس بسبب سحرهن وسلوكهن الجذاب . وكن يشرفن على مأدب الطعام والاحتفالات الاجتماعية وحفلات الترفيه .

(المترجمة)

٥٧- 3 , 38, 1 .

٥٨- 3 , 38 , 11 = Fr . 537 Hoerte .

٥٩- cf . 609 a .

٦٠- 3 , 38 , 29 = Fr 538 Koerte .

٦١- cf . Stob . 4 , 33 , 19 .

٦٢- 14 .

٦٣- 32 .

٦٤- 3 , 38 , 35 .

٦٥- 3 , 38 , 35 .

٦٦- 3 , 38 , 48 .

الفصل السابع

العين الحسود

إذا ما رجعنا بأذهاننا إلى بدايات هذه الدراسة ، فسوف نتذكر كيف يشير هسيود ، فى ملحمته «الأعمال والأيام» ، إلى انتشار الغيرة بين الحرفيين وبين الشحاذين وحتى بين المغنيين[١] (المنشدين) وبالنسبة للتنافس بين المنشدين بالتحديد ، فهناك نص قديم يحكى قصة اشتراك هسيود وهوميروس فى مسابقة شعرية ، وهذا النص ما زال موجوداً ويسمى تنافس هوميروس وهسيود ، ومن الصعب أن يكون هذا التنافس قد حدث حقيقة . ولكن ما يذكره التاريخ كمثال للحسد بين المنشدين هو التنافس الشهير بين الشاعرين السكندريين كاليماوخوس [٢]، وأبوللونيوس الرودى[٣] وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث ق . م ، ويردد الأخير نفس كلمات هسيود عندما يشير إلى هذه المناظرة فى الايامبوس الثالث عشر[٤] وتخبرنا الأبيات الختامية فى قصيدة كاليماخوس المسماة «أنشودة لأبوللو» بالكثير ، ونقتبس منها هذه الكلمات التى قالها الحسد سرا لأبوللو: «إن المغنى (المنشد) الذى يغنى كثيرا مثل البحر لايعجبنى، وهنا يأتى رد الإله أبوللو (والذى جاء مصحوبا بركلة) : كبير هو مجرى النهر الأشورى، ولكنه يجرف فى مياهه الكثير من قذارة المجرى والكثير من الفضلات ، إن النحل لايحمل المياه إلى الربة ديميتر[٥] من أى مكان ، ولكنه يختار الأفضل ، يختار الماء المقطر من النبع المقدس ، فهو غير ملوث ونقى[٦]. وينتهى البيت الأخير بتوديع أبوللو للحسد وبتمنيه أن يلحق اللوم (Momos) هو الآخر بالحسد[٧] . وقد صاغ كل هذه الأفكار على هيئة ألغاز قريبة من لغة الوحى والنبوءة ، ورغم ذلك فإن إيحاءاتها ما تزال واضحة ، فالحسد واللوم يمثلان اثنان من نقاد كليماخوس ، وهو هنا يسخر من حماسها للقصيدة الطويلة. إن قصيدة «أنشودة إلى أبوللو» لكليماخوس توضح كيف ابتعدنا فى عهد خلفاء الإسكندر عن مفهوم الحسد الإلهى الذى ساد فى القرن الخامس ق . م ورغم أن القصيدة تخبرنا أن التنافس مع الآلهة شئ سئ ، فإن عبادة الحاكم ، التى ظهرت فى العصر الهللينستى ، قد جعلت بطليموس، سواء كان ثانى أو ثالث ملك من الأسرة الإغريقية يحكم مصر من عاصمتها الاسكندرية ، إلها حيًا مثل الفراعنة السابقين ، وجعلت التنافس مع الآلهة هو تنافس مع

بطليموس ، والتنافس مع بطيلموس هو تنافس مع الآلهة [٨]. ويقف بطليموس وأبوللو معًا كحاميان للفنون ، وهما يحتقران معا منافس كاليماخوس ، الشاعر الذى يرفض القصيدة التقليدية الطويلة ، ويفضل عليها القصيدة القصيرة جيدة الصنع : ويقول كاليماخوس فى إحدى ايجراماته : «إننى أكره القصيدة الطويلة، ولا أجد متعة فى الطريق الذى يقود كثيرين إلى هذا الطريق أو ذاك »[٩]. ولقد كتب كاليماخوس فى إبجرامة أخرى [١٠]، كما لو كان يكتب مرثيته ويفتخر بأن قصيدته أقوى من عين الحسود baskania . وسنرى بعد قليل العلاقة بين نقاد كاليماخوس والعين الحسود .

وفى مقدمة إحدى قصائده الأخرى، تلك المسماة Aetia، يتجه كاليماخوس إلى الهجوم على نقاده ويصفهم بأنهم Telchines [١١]، وهم شخصيات أسطورية إغريقية كانت ترتبط بحرفة التعدين. ولكن لماذا يستخدمهم كاليماخوس ليمثلوا نقاده ؟ وكيف كان شكلهم بالتحديد ؟ يصف مؤلف المعاجم هسخيوس Hesychus فى نهاية العصر القديم التلخينس بثلاث صفات هم : goetes ، baskanol و Phthoneroi . وإذا ما تركنا الصفة baskanol جانبا للحظة ، فسوف نلاحظ أن هسخيوس يصف التلخينيس بأنهم سحرة (goetes) وحسودين (Phthoneroi) . ولقد قال الجغرافى سترابون Strabo قبل ذلك فإن التلخينيس سحرة وفقا لبعض الآراء ، بينما يدعى البعض الآخر أنهم حسودين (baskanthenai) وأنهم حققوا شهرتهم المشينة من خلال التنافس بين الحرفيين شديدى المهارة ، وهو ما يوحى به ديودور الصقلى Diodorus Sicutus عندما يقول إن التلخينيس كانوا غيورين للغاية فى مجال المهنة[١٢]، ومن ثم فإن كلمة تلخينيس Telchines، كما يبدو ، تستخدم كوصف فاحش لنقاد كاليماخوس لأنهم ، مثل الشعراء ، حرفيين (أوسحرة) ، ومرتبطين بالحسد ، أما كضحايا له أو كمتسببين فيه وإن وضعهم كحرفيين يجعلنا نفكر مرة أخرى فى القائمة التى يذكرها هسيود عمن يتنافسون فى المهنة الواحدة وبذلك يحسد أحدهم الآخر. ولكن ماذا عن وصف التلخينيس بأنهم baskanoi. عند هذه النقطة ، يجب أن نقرأ مقدمة قصيدة كاليماخوس المسماة Aetia وحتى السطر ١٧ ، حيث يقوم الشاعر بطرد معارضيه بغضب : أخرجوا باسلالة Baskania اللعينة ، فالمستقبل يحكم على القصيدة على أسسا جودتها وليس على أساس طولها . وفى هذا السطر تبدو كلمة (baskania) مرادفة لكلمة (Phthonos) فى قصيدته «أنشودة إلى أبوللو» ، أى أنها تعنى الحسد أو الغيرة . ومما لاشك فيه أن الفعل baskainein يكون

(غيورا) يتردد بالقدر الكافى بهذا المعنى عند الخطباء : ففى إحدى الفقرات عند ديموستنيس يثار السؤال «إذا امتلك شخص ما ثروة ولم تمتد يده بالأذى إليكم أيها الأثينيين، فبلاشك يجب ألا يشعر أحدكم بالغيرة منه (baskainein) ، أليس كذلك ؟ «ويمكننا بسهولة أن نجد أمثلة مشابهة . وحيث أننا نشير إلى هذه الكلمة ، وإلى استخدام ديموستنيس لها ، فلايجب أن نتجاهل تعليقه على موضوع المدعين (Sychophants) ، حيث يقول : «شرير ... شرير هو المدعى ، فهو غيور (baskanon) دائما ويتمادى فى الاتهام» [١٣].

وليس المعنى الأساسى للفعل baskaisein هو أن «يشعر المرء بالغيرة،» ولكن معناه «أن يسحر» ، ولكى نكون أكثر دقة فإن معناه «أن يلقى نظرة مملوءة بالحسد» ، ولذلك نجد فى محاورة أفلاطون المسماة "Phaedo" عندما يطنب أحد أصدقاء سقراط فى مدحه لبراعته فى الجدل ، يحذره سقراط بقوله : لاتكن متفاخراً حتى لاتقلب العين الحسود (baskania) الحجة التالية رأسا على عقب» [١٤]. وكما سنرى فإن المدح ، سواء كان لشخص أو لشئ ، هو أمر خطير لأنه يجلب التأثير الخبيث للعين الحسود ، ولايلزم لهذا التأثير أن يكون موجهًا بطريقة واعية ومتعمدة إلى الشئ أو الشخص الممدوح . وقد يتضح الفرق بين معنى الفعل «يشعر بالغيرة» والفعل «يوجه نظرة حاسدة» أكثر إذا ما قارنا الاستخدامات المختلفة للفعل فى قصائد ثيوكريتس الطبيعية . وثيوكريتس هو معاصر لكاليماخوس ومؤيده فى نظرياته الشعرية . وفى القصيدة الخامسة لهذا الشاعر نجد اثنين من الريفيين يتعاركان ، فقد أهان كوماتس Comatas زميله لاكون Lacon قائلا إن الأخير قد سرق منه «جلد الماعز» الذى أعطاه إياه كروكيلوس Crocylus ، ذلك الجلد المنقط ، وذلك عندما قدم الماعز قربانا للحوريات (Nymphs) .. لقد أضناك الحسد أيها الشرير ، والآن جردتنى من كل شئ فى النهاية» [١٥]. والكلمة التى ترجمتها بكلمة «الحسد» فى سطر ١٣ هى فى الواقع اسم فاعل من الفعل baskainein ، والتى من المحتمل أنها هنا لاتعنى أكثر من الحسد. وفى القصيدة السادسة لثيوكرتيس نجد أيضا اثنين آخرين من هؤلاء الريفيين المزيفين : داموتياس Damoetas ، الذى يتخيل نفسه الكيكلوبس بوليفيموس Polyphemus المتغنى بحبه لجالاتيا Galatea الجميلة، ولكى يحاول أن يثير غيرة جالاتيا ، فإنه يزعم أنه يحب أخرى ، فعندما تسمع جالاتيا ذلك تشعر بالغيرة وتذبل[١٦] وينكر الكيكلوبس أنه قبيح المنظر[١٧] فقد وجد أسنانه أكثر بياضا من الرخام، لذلك يقول : لقد بصقت فى صدرى ثلاث مرات حتى

لايحسدنى أحد (baskantho)[١٨] فقد علمتنى العجوز كوتيتاريس Cotyttaris ذلك ».
ولقد أعتبر البصق ثلاث مرات إجراء كافيًا لتجنب العين الحسود ، وكان إجراء شائعًا . ومن الواضح أن بوليفيموس كان يتبع نصيحة إحدى الساحرات ، وذكر هذه الساحرة يجعلنا نعود مرة أخرى إلى ما ذكره كاليماخوس من إن «التلخينيس» كانوا سحرة ، وقبل أن نترك تلك الشخصيات يجب أن نضيف أنه كان لديهم عين حسود ، ففى إشارة عابرة يذكر الشاعر الرومانى أوفيد عيون التلخينيس التى تنزل الأذى بكل شئ بمجرد نظرة[١٩] وبالطبع عرف الرومان ، مثل كل الجنس البشرى ، العين الحسود وأدركوا قدراتها وفعل (Fascinare) اللاتينى يعادل الفعل اليونانى (baskainein) . وهكذا ولكى نأخذ مثالا واحداً فقط، نأخذ الفقرة التالية من «رعويات» فرجيل[٢٠]، وهى المقابل الرومانى لقصائد ثيوكرتيس فى الطبيعة ، يقول فرجيل «إن العين الحسود تحسد (fascinat) حملانى الرقيقة »[٢١]، وبالطبع كلما صغر حجم الضحية كلما سهلت مهاجمتها.

«من الصعب أن تهرب من كل العيون الحاسدة» كما تقول إحدى الشذرات التى حفظها لنا ستوبايوس فقد كان الإيمان بالعين الحسود اعتقاد قديم للغاية ، وبالتأكيد ليست هناك حاجة أن ننتظر خطباء القرن الرابع أو شعراء القرن الثالث ق.م حتى نتحقق بالدليل من انتشار هذا الاعتقاد بين الإغريق ، ففى إحدى أغانى بندار يصلى الشاعر «أن ينال كسيناركيس Xenarces فى كل أموره اهتمام الآلهة الخالى من الحسد» [٢٢]، ذلك بعد أن طلب من الإله أبوللو أن ينظر بانسجام إلى كل خطوة يخطوها [٢٣]، وتعبير «ينظر بانسجام» هو المضاد الحرفى للتعبير «ينظر بحسد»[٢٤]، وهذا يوضح أن العين أيضا لها الكثير من نفس الصفات المتناقضة التى ينسبها هسيود للربة اريس Eris ، فإن نظرتها قد تكون مفيدة وقد تكون مدمرة . ونقرأ فى مسرحية «أجاممنون» لإيسخولوس أنه لأمر خطير أن تُمدح كثيرا ، فإن عيون زيوس تقذف الصواعق ، ويستمر الكورس فى حديثه ليعبر عن رغبته فى تحقيق نجاح خال من الحسد [٢٥]. ويتضرع أجاممنون ، وهو يخطو فوق البساط الأرجوانى ألا تصيبه نظرة من عين حسود تنظر إليه من بعيد[٢٦] ولكن ما نقتبسه من بندار وايسخولوس هو اقتباس من الأدب «الراقى» والدليل الذى يقدمه أقل ارتباطا بالحياة اليومية من ذلك الموجود عند الخطباء أو حتى عند ثيوكرتيس الذى رغم عدم سذاجته ، يقدم لنا الأغنية الشعبية ، وبذلك يقترب من الإنسان العادى. فهل يوجد نص يمكننا أن نتجه إليه ونصفه بأنه أدب شعبى وبالتالى يملأ الفراغ الذى رأيناه بوضوح فى نهاية الفصل السابق ؟ أعتقد أن مثل هذا النص موجود ، وهناك مناقشة أخرى للعين الحسود يجب علينا أن نقتبسها حتى تملأ القليل من فجوتنا .

لقد أشرنا من قبل بقدر من الاستفاضة إلى بلوتارخوس ، المؤلف وافر الانتاج ، الذى ماذالت مؤلفاته تذهلنا بغرارتها بالرغم أن ما بقى أقل من نصف ما ألفه . وفى مجموعة المقالات الشاملة التى تطلق عليها اسم Moralia نجد أمثلة على مايسمى أحاديث المائدة وذلك فى الجزء المسمى Quaestiones Convivales ولقد كرس إحدى هذه المقالات للحديث عن أولئك الذين[٢٧] يحسدون (Katabaskainein) وأن عيونهم حسود baskanas) (Ophtalmos ومن الواضح أن الضيوف كانوا متشككين فى هذا الأمر ، لكن المضيف ، وهو مستريوس فلورس Mestrius Florus ، يأتى بالأسانيد التى تؤيد الاعتقاد فى العين الحسود ، وكان شكهم قائما على عدم وجود أى تفسير لهذه الظاهرة ، ولكنه يستمر فى حديثه كى يدحض هذه المقولة . ففى البداية يؤكد وجود وفرة من الدليل القائم على الحقائق المحررة والتى تؤكد وجود عين حسود. إننا نسمع عن أولئك الذين يؤذون الأطفال بعيونهم الحسود إيذاءً بالغا ، حيث أن بنيتهم أضعف ... وطبقا لمصدر موثوق به ، فإن الـ Thibeis لم يكونوا خطرين على الصغار فقط بل كانوا خطرين أيضا على البالغين ، فقد ذبل أولئك الذين تعرضوا لنظراتهم ووقعوا فريسة المرض». كما تعرض بعض الناس للأذى لأنهم كانوا عرضة لنظرات حسود [٢٨]. ويتبع ذلك إجابة تجعلنا نستدعى إلى الذاكرة كلمات باكون Bacon عن الحسد . فهى وإن كانت توسع معنى الإشعاع ، وإشعاع العيون بشكل خاص، إلا أنها تعتمد على مالايندرج تحت اسم العلم، لذلك فإنها لن تستوقفنا كثيرا . ولقد ضرب مثلا بعاطفة الحب، أكثر عواطف النفس قوة ، فالحب يبدأ من نظرة ، وتكون النتيجة أن «يذوب» المحب عندما يتأمل شخص المحبوب ، وكما تتسبب النظرة فى الحب ، فقد يُضار الإنسان بنفس الكيفية . فإن الرؤية، أن يرى الإنسان ويُرى، أكثر قوة من اللمس والسمع، وتتسم الحقيقة التالية بالتحديد الشديد : فإن الأشخاص الذين يعانون من مرض الصفراء يتم علاجهم بالنظر إلى الطائر الذى يعرفه الإغريق باسم Charadrios ، وهذه الحقيقة هى مقياس صحيح لقيمة هذه المناقشة من الناحية العلمية [٢٩].

لم يكتمل الدليل بعد ويكتسب الجزء الباقى أهمية خاصة بالنسبة لهذا البحث . فالروح المعذبة تؤثر فى الحسد، ومن الطبيعى أن يغوص الحسد (Phthonos) فى النفس أكثر من أية مشاعر أخرى فيملأها بالمرض . وعندما يسلط أولئك الذين أكل الحسد قلوبهم أنظارهم على شخص ما فإن عيونهم تسحب الشر من أرواحهم وتوقع بالشخص كما ولو كان قد أصابته

سهام مسمومة ، ويفسر ذلك مدى فاعلية الأشياء التى تقى من العين الحسود، مثل التعاويذ ، فإن غرابة مظهرها تجذب العين وتكون النتيجة أن يقل التأثير على الضحية[٣٠]. وعند هذه النقطة من المناقشة يظهر اعتراض : لقد قيل أنه من المعتقد أن الأصدقاء والأقارب وحتى الآباء قد تكون عيونهم حسود ، لدرجة أن الزوجات قد تحجب صغارها بعيدا عن تأثير نظراتهم المدمرة ، فكيف يمكن ربط الحسد بالعين الحسود مع وجود هذه العلاقة الوثيقة ؟ وهناك أيضا من يقال أنهم يحسدون أنفسهم مثل Eutelidas ، وكان من النوع النرجسى ، فعندما رأى جماله الشديد منعكسا على صفحة الماء وقع مريضا وخسر الجمال والصحة . وسرعان ما تظهر إجابة على هذا الاعتراض : أن الحسد ، إذا ما تطور يصعب تحكم الإنسان الحسود فيه، فيصبح حاقدا على القريبين منه مثلما يحقد على الآخرين ، وهو يتصرف وفقا لطبيعته وليس وفقا لرغبته ، وقد يظهر حسد الإنسان الحسود على نطاق كونى، وفى الواقع فإنه يؤذى الأشخاص القريبين منه والعزيزين عليه أكثر، ببساطة لأنهم أكثر تعرضا لنظراته[٣١]. ويقتبس أحد المشتركين فى هذه المناقشة من ديموقراطس فيلسوف القرن الخامس الذى تحدث ، كما يبدو، عن انبعاث الجزئيات المحملة بالشر والحسد ، تلك الجزئيات التى تسكن بإحكام أجساد أولئك المحسودين ومن ثم تدمر أجسادهم وعقولهم [٣٢].

ورغم أن هؤلاء المتحدثين يقدمون لنا المعتقدات الشعبية فإنهم لاينتمون لفئة رجل الشارع الذى نود توضيح معتقداته ولكنهم ينتمون لفئة «الفلاسفة والعلماء». ولكن ماذا نعنى بقولنا أنهم علماء؟ وتشبه مناقشة بلوتارخوس لموضوع العين الحسود إلى حد كبير قصة هليودوروس Heliodorus المسماة Aelthiopica ،سواء فى اللغة أو فى المضمون ، وهذا التشابه يوحى بأن تحليله لفكرة العين الحسود يمثل العلم الشعبى ، وهو موضوع له أهمية كبيرة للكثيرين ولكنه ليس مشكلة أكاديمية ، وتظهر هذه القصة سمات الكتابة الشعبية ، وبهذه القصة التى ينتمى كاتبها إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادى فإننا نقترب من نهاية العالم القديم .

وتحكى «الأثيوبيات» Aethiopica مغامرات اثنان من المحبين هما ثياجنيس Theagenes وخاركليا Chariclea ، وتجذب اهتمامنا بشدة الفقرة التى نقرأ فيها وصفا لرد فعل خاركليا بعد أن رأت ثياجنيس لأول مرة[٣٣]. فعندما يزورها والدها يجدها حزينة ومهمومة ولكنها تخفى السبب الحقيقى لمرضها ، وهو الحب، وتتحدث عن إحساسها بالصداع، فقد عادت لتوها من أحد الاحتفالات الصاخبة ، وعندما يناقش والدها أمر ابنته مع أحد

أصدقائه ، فإن الصديق يقول له إنها ربما جذبت إليها بعض العيون الحسودة فى مثل هذا الزحام البشرى (opthalmos baskanos) . عندئذ يتسأل الأب إذا كان هذا الصديق يؤمن ، مثل الجميع بالعين الحسود. ولايؤكد الصديق إيمانه الشخصى بمثل هذه الظاهرة فقط، ولكنه يبدأ فى شرحها على أساس نفس التفسير العلمى الذى رأيناه عند بلوتارخوس ، فالهواء الذى يحيط بنا يدخل بعمق فى عيوننا وأنوفنا وجهازنا التنفسى وغيرها من الممرات ، ويحمل معه خصائص خارجية توحى لمن يستقبله بالمشاعر المشحون بها هذا الهواء . ومن ثم فعندما ينظر أحدهم بحسد لشخص جميل ، فإنه يملأ الهواء المحيط بصفات شريرة ويفرغ أنفاسه فى الشخص القريب منه.. تلك الأنفاس المليئة بالمرارة . كل هذا يغوص عميقا فى العظام والنخاع ويصبح الحسد سببا فى مرض الكثيرين ، وهذا ما نسميه العين الحسود أو baskania .

ويلى ذلك بعض الأمثلة التى رأينا بعضها بالفعل عند بلوتارخوس عن أصل الحب وعلاج مرض الصفراء عن طريق الطائر المسمى Charadrios ، كما يخبرنا أيضا أنه ليس مستغربا أن يحسد البعض أكثر الناس قربًا لهم «فالأشخاص الذين يكونون حسودين بطبيعتهم لايفعلون مايريدون ولكنهم يفعلون ما تمليه عليهم طبيعتهم ». وسواء كان هناك مصدر مشترك تأثر به كل من المؤلفين، أو أن هليودورس كان يقلد بلوتارخوس، فإن ذلك لايؤثر فى فكرتى الأساسية وهى أن موضوع العين الحسود ومحاولة تفسيرها بشكل علمى زائف كانت موضوعات ذات أهمية كبرى بحيث تظهر فى اللحظة الحرجة وبالتفصيل فى الكتابات الموجهة للجمهور العام .

ولم يتجاهل الكاتب تأثير العين الحسود فى المواضع الأخرى من القصة : (فهو يشير فى أحد المواضع إلى أن عين كورنوس وقعت على إحدى الأسر فجعلت حالتها تسوء) [٣٥] ويشير إلى أن الخوف من حسد (baskania) أحد الأرواح (daimon) قد يحرم الإنسان من أن ينجب إبنه بدلا من تلك التى فقدها [٣٦] ، كما يشير إلى أنه قد ظهرت على ثياجنيس Theagenes نفس أعراض المرض التى ظهرت على خاركليا والتى سبق الإشارة إليها، وهو الأمر الذى يعنى أنه أيضا قد تعرض لنظرة من عين حسود. ويقول فى تعليقه التالى إن هذا التفسير معقول للغاية حيث أن ثياجنيس كان أكثر الأشخاص لفتا للأنظار فى تلك الاحتفالات ، فيما عدا خاركليا[٣٧]، وهو يعلن فى موضع آخر أن خاركليا كانت ضحية لعين حسود[٣٨]. ويشير إلى أن البعض ظن أن ثياجنيس هو الذى حسد خاركليا ، لأنه كان يراها بصورة مستمرة وعن قرب

وكان ينظر إليها بشغف بعض الشئ [٣٩]، وهذا غير صحيح ، عندئذ نجد إشارة إلى إمرأة كانت مفاتنها لاتُقاوم - فقد كانت تأسر الجميع وكان من المستحيل مقاومة عينيها والهروب من الشبكة التى كانت تلقيها على من تنظر إليه[٤٠] .

وفى قصة «الأثيوبيات» نجد الغيرة سببا كافيا للقيام ببعض الأفعال، خاصة فى الكتاب السابع حيث نتعرف على شخصية أرساكى Arsace شقيقة الملك الفارسى وزوجة حاكم (Sa-trap) مصر. ويبدأ هذا الكتاب ومدينة ممفيس (Memphis) محاصرة على يد ثياميس (Thyamis) ، وهو الابن الأكبر للكاهن كالازيريس Calasiris ، وقد تم طرده ونفيه بتدبير من أرساكى وشقيقه الأصغر بيتوزريس Petosiris، وكانت أرساكى غاضبة عليه لأنه لم يستجيب لمحاولاتها معه بينما شعر أخوه الأصغر بالغيرة لتوليه منصب الكاهن[٤١]، ولقد استولى ثياميس على مدينة ممفيس واستعاد وظيفته ككاهن ، وتم الصلح بين الأخوين على يد والدهما ، ولسوء الحظ يجذب ثياجنيس انتباه أرساكى ، ولكن ظهور خاركليا المفاجئ على المسرح وإعادة شملها مع ثياجنيس وحبهما الظاهر للعيان يسبب لأرساكى ألما حاداً وتشعر بالغيرة [٤٢]، إن منظر المحبان وهما يمسكان بيد أحدهما الآخر يزيد من غيرة أرساكى فتكاد تشعر بالجنون وتطلب العون من خادمتها العجوز المتواطئة معها فى قصة حبها ، وكان اسمها سيبيلى Cybele . ويلى ذلك قصة معقدة ، لكننا نخرج منها متأكدين من غيرة أرساكى[٤٣] وتشعر بطلة القصة خاركليا أيضا بنفس مشاعر الغيرة ، فقد نصحت حبيبها بأن يحاول كسب ود أرساكى وأن يستغل سذاجتها ، ولكنها تطلب منه أن يأخذ حذره حتى لايذعن لها بالفعل. ويبتسم ثياجنيس ويقول لها «حتى فى وسط الأخطار فإنك لاتتخلين عن الغيرة ، مرض النساء الفطرى»[٤٤]، وفى الأحداث التالية فى القصة تعبر خاركليا بصورة علنيه عن شعورها بالغيرة[٤٥] كما تظهر شخصية جديدة فى هذا الجزء من القصة ، هى شخصية أخيامينيس Achaemenes ، ابن سيبيلى ، وكان أيضا ضحية من ضحايا الشعور بالغيرة ، فقد كان يغار من مكانة ثياجنيس المميزة لأنه حامل كاسى أرساكى [٤٦]، وتعمقت مشاعر الغيرة فى نفسه أكثر عندما عرف أنه لن ينال خاركليا لأنها تحب ثياجنيس بالفعل .

وهكذا فإننا نجد فى رواية هليودوروس دليلاً غزيراً حول موضوع العين الحسود والغيرة ، ومن المفترض أن الرواية الإغريقية مصدر من المصادر التى نستنبط منها الدليل للتاريخ الاجتماعى مثل الكوميديا الإغريقية الحديثة ومثل روايات ديكنز بالنسبة لمؤرخ انجلترا فى

العصر الفيكتورى . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد نجد دليلا أخر ، فإن بلوتارخوس يذكر التعاويذ باعتبارها وسيلة حماية ضد العين الحسود ، كما جعل هليودوروس أحداث روايته تدور فى مصر ، وتوحى هاتان الحقيقتان بأننا يجب أن نفحص ، ولو بشكل مقتضب ، التعاويذ السحرية التى وصفها وناقشها العالم كامبل بونر (Campbell Bonner) وكانت إغريقية مصرية فى معظمها ، خاصة وأن هذا العالم يهتم بالتعاويذ التى تنتمى لنفس الفترة التى عاش فيها بلوتارخوس وهليودوروس أى ١٠٠-٥٠٠ م تقريبا . وعندما يبدأ بونر فى فحص التعاويذ الخاصة بالعين الحسود [٤٧]، فإن أول التعاويذ التى يذكرها تعويذة من حجر اليشم الأخضر عليها النقش التالى : «إن الإله سيرابيس Serapis يهزم الحسد» . ويعلق بونر بقوله أن الحسد لايبدو هنا «كفكرة مطلقة، ولكن كتجسيد للنظرة الحاسدة التى تسبب الضرر» . ويذكرنا هذا التجسيد للنظرة الحاسدة بما ذكرناه فى بداية هذا الفصل حول كاليماخوس ومنافسيه فى مجال الأدب . ويمكننا رؤية مثالا آخر، أكثر وضوحا، للحسد المجسد فى تعويذة من حجر العقيق ترجع للفترة المتأخرة من الإمبراطورية ، ويصفها بونر فى كتالوج التعاويذ كالتالى [٤٨]:

«رجل عارى يقف فى المقدمة ، ورأسه ملتفت إلىَّ ... ويداه معقودتان على صدره . ويلتف ثعبان ضخم حول جسده كله، وتضرب رأسه رأس الرجل. تهاجم الرجل مخلوقات مختلفة : فهناك طائر ينقر عينيه، ويهاجم عقرب التاج الموجود فوق رأسه ، بينما يهاجم آخر عضوه التناسلى ، وهناك ثالث يهاجم ركبته اليمنى ، بينما تغرس أم أربعة وأربعين مخالبها فى مرفقيه. والخط الذى يستخدم كخط الأرضية به عقدة فى المنتصف ، ومن المحتمل أن ذلك يوحى بأن قدماه مقيدتان . وكتب فى الناحية اليمنى ، أيها الحسد (Φθονε) حظ سئ لك (aTuxe) ويجسد الشخص الذى يتم تعذيبه الحسد ، والحجر عبارة عن تعويذة للحماية من العين الحسود.

وطبقا لبرنر ، فإن أكثر التعاويذ ضد العين الحسود انتشاراً كانت التعاويذ التى ترسم عينا واسعة مفتوحة وهى تُهاجم «العين التى تتعذب كثيرا». ومن الواضح أنهم اعتقدوا أنه يمكن إبطال تأثير العين الحسود برسم «العين التى تعانى كثيرا». ويصف بونر أمثلة عديدة من هذا الرسم الذى لم يقتصر على التعاويذ[٤٩].

وهناك دليل آخر يقدمه البردى المكتشف فى مصر من العصر اليونانى بالرومانى . حيث يظهر الفعل «ينظر بغيرة (epophthalmian) فى عقد لإيجار أرض بمبلغ كبير وذلك فى مجموعة بردى أوكسرنيخوس (Oxyrhynchrus) [٥٠]. كما نجد خطابا يرجع للقرن الرابع يختتمه مرسلة بإرسال تحياته إلى المرسل إليه وإلى أبنائه وأهل بيته ، ويتمنى أن تحفظهم الآلهة من العين الحسود[٥١] ، ويعلق ناشر الخطاب بأنه حتى الإنسان المسيحى لم يكن فوق مستوى الإشارة إلى العين الحسود ، إذ توجد بالتأكيد تعاويذ مسيحية مثل التعاويذ الوثنية . إن انتصار المسيحية بشكل نهائى لم يحطم الإيمان بقوة العين الحسود ، ويكتسب الدليل المسيحى أهمية خاصة حيث أن هذه الديانة قد جذبت أتباعا من جميع الطبقات الاجتماعية ، وكانت الأرستقراطية الوثنية ، أى أعلى شريحة فى هذه الهيراركية الاجتماعية ، هى التى قاومت المسيحية بشدة حتى فى القرن الرابع الميلادى، عندما تحول الأباطرة إلى المسيحية .

ولاحاجة بنا إلى التخوف من عدم إدراك الإنسان المسيحى لانتشار ظاهرة الحسد، فهو من ضمن قائمة الرذائل بالنسبة للمسيحى . وإذا ما نظرنا بإمعان إلى رسائل القديس بول، نجده يخاطب الرومان ويقول إن أولئك الذين لايعرفون الله تكون نفوسهم مليئة بالحسد وينزعون إلى القتل والصراع والخداع والحقد [٥٢]. وهو يخبر الجلايين أن الحسد يؤدى إلى الصراع ومشاعر الغيرة (Zeloi) ومشاعر الحسد (Phthonoi) وغير ذلك الكثير[٥٣]. ويحذر تيموثى Timothy أن العلم المزيف يكون لديه ميل شديد للجدل الخبيث وهو ما يؤدى إلى الحسد والصراع والكذب والشكوك الخبيثة والتشاجر[٥٤]. وعندما يتحدث القديس بول عن أحواله فى الماضى مع تيتوس يقول «إنه كان يقضى أيامه آنذاك فى الشر والحسد»[٥٥] وكانت وظيفة بول كمتحدث باسم المسيح تتسم بالاضطراب ، وهو لايقصر سخريته على غير المسيحية ، فإنه يشير بالفعل فى خطابه إلى اتباع فيليب إلى بعض مواعظ المسيح التى تدور حول الحسد والصراع [٥٦]. ويقول القديس بيتر أنه يجب تنحيه كل الشرور جانبا مثل الخداع وعدم الإخلاص والحسد (Phthonoi) والافتراء[٥٧] وسنجد فى انجيل القديس مارك[٥٨] قائمة بالرذائل خاصة تلك التى تعنينيا فى هذا الجزء من البحث ، وذلك عندما يحدد المسيح ما يلوث الإنسان بقوله :

«إن ما يخرج من الإنسان هو ما يلوثه، فمن داخله، من قلبه ، تخرج الأفكار الشريرة مثل الزنا ، والسرقة والقتل والخيانة والطمع والشر والخداع والخلاعة والحسد والافتراء والغطرسة

والحماقة. إن كل تلك الشرور تأتى من داخل الإنسان وتلوثه [٥٩]. والكلمتان اللتان تمت ترجمتها بكلمة الحسد هنا، هما الكلمتان اليونانيتان (Opthalmos Poneros) ومعناها «العين الشريرة» [٦٠].

وطبقا للقديس متى[٦١] Matthew ومارك بيلات Mark Pilate ، كتبه الانجيل ، فقد تطهر المسيح من الحسد [٦٢]. ولاتتركنا هذه الملاحظة فى شك من تقييم الإنسان المسيحى للحسد (Phthonos) ، ولكن النقطة التى أثارت كثيرا من الجدل[٦٣] هى أن الحسد رذيلة ، أو خطيئة إذا ما استخدمنا اللغة المناسبة ، وبما أن هذا الفصل يقترب من نهايته فسوف يكون من المفيد أن نبحث كيف تنظر مجموعة من اتباع المذهب الأرثوذوكس إلى هذه الخطيئة المحددة وإلى العين الحسود، ونعنى بها مجموعة الجراكسة الذين يعيشون فى الشمال الغربى لبلاد اليونان الحالية والذين أشار جون كامبل إلى طريقة حياتهم ونظامهم الأخلاقى بالتفصيل . ويعتقد الجراكسة أن حاجز الخطيئة يقف بين الله والإنسان ، وأن الخطيئة نوعان : خطيئة شخصية وخطيئة السلف ، وفى الحقيقة فإن الإنسان مسئول فقط عن النوع الأول[٦٤]. إن خطيئة السلف هى حالة العالم قبل الوجود والتى ولد فيها الإنسان وهى تتعلق بالوجود الإنسانى العام وليس بانتهاك الإنساك الفرد لمحرمات معينة[٦٥] . وتنتمى الشهوة وكذلك الحسد إلى قائمة الخطايا السلفية ، وقد ظهرت الخطيئة الأولى نتيجة سقوط آدم ضحية اغراء حواء أما الحسد فقد تسببت فيه ثورة الشيطان على الله. وتهدد الشهوة الأسرة الجركسية التى تعتبر النساء مصدرا دائما للقلق ، ورغم أنه من غير الممكن الغاء هذا المصدر فمن الممكن احتواءه . أما الحسد فإنه لايتعارض مع متطلبات النظام الأخلاقى ، بل أنها تشجعه ، فإن السعى وراء الشرف الشخصى يكون على حساب الآخرين وهو يحفز التنافس الحاد. . ويرى الإنسان الجركسى أن البشر ليسوا متساويين ، مثل اصابع اليدين ، والأشخاص الأقل حظا والأقل شرفا سوف يحسدون من يفوقونهم حظا وشرفا ، وسوف يقودهم الحسد إلى الخديعة والمكر بشكل مباشر . إن العين الحسود هى شكل من اشكال العداوة النفسية والشر الذى تسود العالم ويفرق معنويا بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والله. وبتركيز الحسد فى عين الإنسان الحسود قد يتسبب فى أحداث تأثيرات جسديه تتمثل فى المرض والفناء. ومن المتفق عليه، أن هذه المشاعر مشاعر شريرة ، ولكنها تنبع من الظروف الخارجية لعالم محدود المصادر وضد إرادة البشر، وليس من الخطيئة الواعية للأفراد. وهناك شعور بانتشار قوة الحسد لدرجة

أنه من العبث محاولة التحكم فيها ومقاومتها مثلما يقاوم المرء الشهوة ، وخاصة وإن الإنسان قد ينظر بحسد لشخص آخر دون معرفة واعية أو قصد منه (٦٦) . وبصياغة الجركسى الأمر على هذا النحو فقد جعل الحسد خطيئة سلفية وهو الأمر الذى لايختلف عن القول بأن الإنسان حسود بطبيعته .

وبالنسبة للإنسان الجركسى فإن الشيطان أمر حقيقى للغاية، وبالرغم من أن الشيطان لايستطيع أن يتقلب على الله، فانه قادر على القيام بعمله المدمر فى الأرض. ولقد اعترفت الكنيسة بأن، سحر العين الحسود هو أحد أسلحة الشيطان ، وهناك صلوات يمكن أن يقرأها أحد القساوسة على الضحية . ويقال بين الجراكسة أنفسهم عن الإنسان المعروف بأن عينه حسود «بأن له عينا من الشيطان»(٦٧) وكى يوضح كامبل مدى قوة العين الحسود فإنه يورد مجموعة من الأمثلة على ما يمكن أن نعتبره تأثير العين الحسود مثل مرض الحيوانات ، ومرض الإنسان وسقمه، وعدم اختمار العجين ، والعجز وعدم القدرة.

وقد يكون ذلك صدى لكلمات بلوتارخوس أو هليودوروس : إن قوة العين الحسود تكمن فى جذب الاشياء المحسودة . ومن المهم أن الأطفال والقطيع ، وهما أهم ركنين فى المكانة الاجتماعية للإنسان ، كانا أكثر الأشياء عرضة للهجوم . إن الرجال الناجحين ، وبصفة خاصة الناجحين للغاية ، هم المعرضين للخطر. ومن الأمور التى لاتسعد الرجل الجركسى أن يقال له أن قطيع أغنامه فى حالة ممتازة . فمن المعتقد أن المدح والإعجاب يشيران إلى رغبة المعجب ، حتى لو كانت غير متعمدة لامتلاك الأشياء التى ترى عيناه أنها جميلة ، وحيث أن امتلاكها مستحيل، فإن الحسد يلى الشعور بالاحباط . وحيث أن العين الحسود قد تحسد بطريقة غير متعمده ، فإنه ما من انسان يكون متأكدا من أنه قد يؤثر فى وقت من الأوقات فى الناس الآخرين أو فى ممتلكاتهم أو حتى فى نفسه(٦٨). ويضيف كامبل أن البصق ثلاث مرات على الشخص أو الشئ الذى يثير إعجاب المرء هو إجراء احتياطى فعال ضد الحسد، ولقد سبق ورأينا هذا الشكل من أشكال الحماية من الحسد عندما تناولنا موضوع العين الحسود والشاعر ثيوكرتيس. وفى إحدى قصائده يصف أحد القرويين كيف رفضته إحدى بنات المدنية عندما تقدم لها وطلبت منه أن يبتعد عنها ثم بصقت فى صدرها ثلاث مرات (٦٩). وفى قصيدة أخرى يتغنى صديق أحد المحبين يستحثه بترك السعى وراء الحب وليكن البحث عن السلام والهدوء كل اهتمامنا ، «حتى لاتكون هناك عجوز شمطاء تبصق ولنتجنب كل ما هو

قبيح[٧٠] وتشير مقطوعة صغيرة لكاليماخوس أن النساء يبصقن فى صدورهن» [٧١]. وفى كتاب ثيوفراستوس «الشخصيات» نجد أن الشخص المؤمن بالخزعبلات يبصق إذا ما رأى رجل مجنون أو مصاب بالصرع [٧٢]. إن الاحتياطات التى يقوم بها المرء ضد العين الحسود أمر مسلم به مثلها مثل الإيمان بالعين بالحسود نفسها ، ورغم تقدم التعليم وتزايد الرخاء فإن المعتقدات والممارسات المتعلقة بالسحر مستمرة . لاتحاول اقناع أحد بأن يمر من تحت السلم وبألا يلوث شباك سيارته الأمامى بالتعاويذ التى تجلب الحظ السعيد .

لقد اقتبست على مدى هذا الفصل بعضا من كتابات أقل الكتاب الإغريق شهرة، كاليماخوس وثيوكرتيس وهليودوروس . وإننى أود أخيراً أن أشير إلى كاتب أقل شهرة هو نونوس Nonnus من مدينة بانوبوليس (Panepolis) فى مصر فى القرن الخامس الميلادى على ما نظن . ولقد تحدى نونوس انتقادات كاليماخوس وألف قصيدة طويلة للغاية، وأخشى أنها مملة إلى حد ما ، تقع فى ثمانية واربعين كتابا ، بعنوان الديونيسيا (Dionysiaca) أو قصة الإله ديونيسوس، وأننى أختم بالشاعر نونوس لأننى أود أن أوضح ايمان الإغريق الهائل بالعين الحسود . ويبدأ الكتاب الواحد والثلاثين من القصيدة بتزايد مشاعر الغيرة فى نفس هيرا «وذلك عندما رأت جيش الهنود الذى سحق على ديونيسوس واندروميدا مطلق السراح[٧٣] ولقد تملكها الغضب الحاسد والغيرة المتدفقة ضد بيرسيوس Perseus وديونيسوس[٧٤]، فخططت لخداع زيوس . وكخطوة أولى خدعت برسيفونى وجعلتها تساعدها ، ولقد اشعلت غيرة برسيفونى بأن قالت لها إن زيوس اعطاها العالم السفلى بينما اعطى سيميلى ام ديونيسوس[٧٥] السماء المزينة بالنجوم هدية زواجها[٧٦] . ولقد اقتنعت برسيفونى بمساعدة هيرا وأعطتها ميجيرا (Megaera) ، احدى الهات الغضب ، لتكون رفيقتها «حتى تحقق بعينها الحسود مهمة هيرا الغيورة [٧٧]. ولقد تطورت الخطة بعد ذلك ، ولكن النقطة التى أرغب فى توضيحها هى أن ربات الغضب كن شخصيات مرعبات للغاية ، وهو ما توضحه بشكل تام مسرحية «آلهات الغضب» لايسخولوس ، ولقد وضحت القوة المخيفة للعين الحسود من ارتباطها بمسوخ خرافية مثل ربات الغضب ، ولقد كانت ميجيرا ، فى قصيدة نونوس هى ربة الغضب المناسبة تماما حيث أن اسمها يعنى الحسد (الفعل megairein يعنى أحسد) .

الهوامش

١- Verses, 25-26 .

٢- كاليمارخوس Callimaches (٣١٠-٢٣٥ ق. م)

من أشهر شعراء الاسكندرية ، ولد فى برقة وهاجر فى شبابه إلى الاسكندرية حيث وكل إليه بطليموس الثانى الإشراف على مكتبة الاسكندرية ، فوضع فهرسا مفصلا فى مئة وعشرين مجلدا . وكان أبرز شعراء عصره فى قرض الشعر ولاسيما الشعر القصصى والغنائى والرثائى . وقد اكتسى جانب من شعره بطابع الحزن والأسى.

لمزيد من المعلومات أنظر :

Trypanis , C . A (ed.) : Callimachus, Aetia, Iambi , Lyric Poems, Hecale , Minor Epic and Elegiac Poems . (1958)

٣- أبوللونيوس الرودى Apollonius Rhodius (٢٩٥-٢١٥).

أحد كبار شعراء العصر الهلينستى بالأسكندرية . نظم قصيدة «ملاحو السفينة أرجو» فى ملحمة بطولية انحرف فيها عن اسلوب شعر العلماء الذى ينظمه استاذه كاليماخوس إلى شعر الأدباء الذى كان ينظمه هوميروس وعندما رفضته مدرسة كاليماخوس قصد رودس حيث رحب به زعماؤها ومنحوه لقب المواطن ، غير أنه عاد إلى الاسكندرية ثانية بعد أن حقق شهرة واسعة بفضل شعره الحديث ومعارفه فى علوم البلاغة وشغل منصب أمين مكتبة الاسكندرية حتى آخر أيامه .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Duckworth , G . E . : Foreshaclowing and Suspence(1470) .

٤- Fr . 203 , 52-53 .

٥- ديميتر Demeter :

شقيقه زيوس وربه الفاكهة والبقول والبذر والحصاد . ولما كانت الزراعة أم الحضارات فقد عُدت ديميتر إلهة للقانون والنظام والزواج وقد تزوجت ابنتها برسيفونى، والتى انجبتها من زيوس ، من هاديس إله العالم السفلى بعد أن اختطفها . على أن ديميتر إعرابا عن غضبها لاختطاف ابنتها حرمت الأرض من خصبها فغدت

قاحلة . وحين رأى زيوس أن رعاياه جميعا سوف يموتون جوعا وأنه سيصير إلها بلا بشر يعبدونه أطلق رسوله هرميس إلى هاديس مطالبا بعودة برسيفونى إلى أمها التى كاد يعصف بعقلها الجنون ، فحصل على موافقة هاديس بأن تقضى ثلثى عامها مع أمها والثلث الباقى مع زوجها فى العالم السفلى، وبذلك أصبحت رمز لميلاد الطبيعة وموتها الدائمين المتجددين كل عام .

٦- Verses 106-12 .

٧- Verre 113 .

٨- Verses 25-27 .

٩- Epigram 28 , Verses 1-2 .

١٠- Epigram 21 , Verre 4 .

١١- تلخينيس (Τέλχινες) ، وتعنى أحد أفراد التخلينيس Telchines وكانوا من أقدم المستوطنين وأول من اشتغل بطرق المعادن . ولقد استخدمت الكلمة بمعنى جنى شرير .

١٢- 5 , 55 , 3 .

١٣- 18 , 242 .

١٤- 95 , b

١٥- Verses 11-13 .

١٦- Verses 25-27 .

١٧- Verses 34 FF .

١٨- Verre 39 .

١٩- Metamorphos 7 , 366 .

٢٠- فرجيل :

كان من الطبيعى أن يتألق الفن الأدبى فى عصر قيصر أوغسطس أول الأباطرة الرومان، والذى آلى على نفسه أن يعيد المجتمع الرومانى إلى قيمته الأصيلة وأن يجعل من مدينة روما عاصمة كبرى لأمة تدرك عراقة

ماضيها ولم تلبث المثل النبيله التى كانت موشكة على الاحتجاب أمام عطن الجو الفاسد للقرن الأخير لحكم الجمهورية الرومانية أن عادت إلى الظهور من جديد فأمكن للأدب أن يقوم بدور الخطيب المنبرى أو الإعلامى المروج لسياسات نظام الحكم الجديد ، فتتابعت الموضوعات القومية الطابع الجليلة الأهداف، وقام الإمبراطور ومستشاره مايكيناس Maecenas بتجميع عدد من الشعراء ورجال الأدب حولهما ليذكى فى نفوسهم الحماسة ويؤجج فى وجدانهم بواتق الابداع ، وعلى رأس هؤلاء فرجيل أقرب الرومان إلى قلوب عشاق الأدب . نشأ فرجيل فى الريف ثم انتقل فى صباه إلى روما حيث درس البلاغة ، وما لبث أن استقطبه ميكناس وشغف به ورأى فيه أداة شعبيه يحقق بها اصلاحات قيصر وأقترح عليه أن يكتب عدة قصائد يمجد فيها حياة الريف إذ كان يرى أن صحة الأمة الجسدية والنفسية تتطلب العودة إلى هذه الحياة وأخلاقياتها . ومن أعماله : الزراعيات، والرعويات «والإنيادة» ، وهى ملحمة فرجيل الخالدة وتتكون من اثنى عشر كتابا يعرض فيها القصة الأسطورية لتأسيس لافينيوم أصل روما على يد أينياس Aeneas الطروادى الذى خلف أطلال طراودة المحترقة وراح يشيد بعون الآلهة مدينة جديدة فى الغرب يحلم لها بمصير رائع .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Commager , S (ed.) : Virgil : A Collectien of Critical Essays (1966) , Dudley , D . R . (ed.) Virgil (1909), Otis , B . : Virgil . A Study in Civilzed Poetry (1963) Woodberry , G . E : Virgil (1972) .

٢١- 3 , 103 .

٢٢- Pyth 8, 71-72.

٢٣- Verses 67-69.

٢٤- cf . Nem . 4 , 39 .

٢٥- Verses 468 - 71 .

٢٦- Verses 947 .

٢٧- Quest . conviv . 5 , 7 = Mor . 680 , c ff .

٢٨- 680 D . F .

٢٩- 680 F. 681 D .

٣٠- 681 D . 682 A .

٣١- 682 A-D .

٣٢- 682 F - 683 A .

٣٣- 3 , 7 .

٣٤- 3 , 8 .

٣٥- 2 , 24 .

٣٦- 2 , 33 .

٣٧- 3 , 11 .

٣٨- 3 , 19 .

٣٩- 4 , 5 .

٤٠- 2 , 25 .

٤١- 7 , 2 .

٤٢- 7 , 7 .

٤٣- e. g . 7 , 10 ; 7 , 26 ; 8,7 .

٤٤- 7 , 21 .

٤٥- 7 , 26 .

٤٦- 7 , 27 .

٤٧- Campbell Bonner : Studies in Magical Armulets chiefly Graeco - Egyptian (univ. of Michigan Press), 1950 , pp. 96 FF .

٤٨- Ibid . p. 277 .

٤٩- Ibid . pp. 96 FF , non 298-303 in the catalogue.

٥٠- P . O . 1630 , Line 6 .

٥١- Abinnaeus 35 , 28-29 , cf also 30 , 23-24 and 374 .

٥٢- Rom . 1 , 29 .

٥٣- Gal 5 , 20-21 , cf . 5 , 26 .

٥٤- I Tim . 6 , 4-5 .

٥٥- Tit . 3 , 3 .

٥٦- Phil . 1 , 15 .

٥٧- I Pet . 2 , 1 .

٥٨- القديس مرقص :

كان القديس مرقص الانجيلى من رسل المسيح ، وقد كتب انجيله للرومان خاصة ، لذا لم يعنى بايراد نصوص من العهد القديم وإذا عرض له مصطلح من مصطلحات اليهود لم ينقله بنصه بل ترجمة بما يستطيع الرومان فهمه . وكان يرمز للقديس مرقص فى كل تصاويره بشكل أسد مجنح ، كما كان يصور حاملا للقلم والانجيل. أمضى اثنى عشر عاما من حياته فى ليبيا مواصلا الدعوة إلى المسيحية ، انتقل بعدها إلى الاسكندرية حيث استشهد بعد تأسيسه الكنيسة المسيحية بها، وبعد موته بعدة قرون نقل البحارة البنادقه رفاته إلى البندقية التى اتخذت من الأسد المجنح الذى كان رمزا له شعارا لها .

٥٩- Mark 7 , 20-23 .

٦٠- 7 , 22 .

٦١- القديس متى :

كان القديس متى الرسول الانجيلى تلميذا من تلاميذ المسيح الاثنى عشر وجه انجيله مخاطبا اليهود ، بادئا بتقديم المسيح فى صورته الإنسانية ، ولدته مريم، ذاكرا نسب المسيح على مدى اثنين واربعين جيلا. وقد أمعن متى فى وصف تجسيد المسيح (أى تلبسه أو حلوله فى جسد) ، ولذا يرمز إليه فى الفن بصورة ملاك أو إنسان مجنح . وقد أخذ فى انجيله خمسا واربعين نبوءه من العهد القديم ليدلل على صدق تنبوءات الانبياء بالمسيح ، وبهذا يضمن تصديق اليهود برسالة يسوع . ولقد كان متى قبل أن يصبح تلميذا من تلاميذ المسيح جابى ضرائب للرومان. لذا نراه مرة مصورا يحمل صرة نقود إشارة إلى هذه المهنة ، كما نراه مرة أخرى مصورا ممسكا بقلم ، وثمة ملك بين يديه يحمل محبره، وفى هذا وذاك اشارة إلى كتابته الانجيل، كما نراه مرة ثالثة مصوراً إلى جوار بلطة اشارة إلى مقتله .

٦٢- Malt . 27 , 18 . Mark 15 ,6 .

٦٣- Jas . 4 , 5 .

٦٤- Campbell , J . : Op. cit. p. 324 .

٦٥- Ibid . p. 326 .

٦٦- Ibid . p. 327 .

٦٧- Ibid . 337 - 38 .

٦٨- Ibid . 338 .

٦٩- 20 , 11 .

٧٠- 7 . 126-27 .

٧١- Fr . 687 .

٧٢- 16 , 15

٧٣- Verses 4 ff .

٧٤-

٧٥- ديونيسوس Dionysus :

أنجبه زيوس من سيميلى ابنة كادموس والتى هام بها زيوس حبا فحملت منه، وعندما عرفت هيرا بذلك اقسمت أن تنتقم منها ، فتخفت فى هيئة امرأة عجوز ونصحت سيميلى أن تطلب من زيوس أن يقدم الدليل على حبه ويظهر لها فى صورته الإلهية .. ففعلت وحاول زيوس عبثا أن يثنيها عن طلبها . فلما ظهر لها بصورته الإلهية لم يقو جسدها البشرى على تحمل الإشاعات الصادرة من جسد الإله فاحترقت وأصبحت رمادا ، فأسرع زيوس فانتزع الجنين الذى لم يكن قد اكتمل نموه وأخرجه من بطن أمه، وافسح له مكانا فى فخده وخاط عليه حيث بقى شهور الحمل. وبعد ولادته تعهدته الحوريات بالرعاية . وعندما شب عن الطوق اتقن فنون الزراعة وخاصة زراعة الكروم وتقطير النبيذ من عصير العنب مما جعله إلها للخمر ولاخصاب الطبيعة .

٧٦- Verses 49 FF .

٧٧- Verses 73 , 74 .

الفصل الثامن

مشكلة الحسد

والآن ، فإننى أعتقد أن السبب الأساسى فى إيماننا بفكرة الحسد يرجع إلى فقدان الثقة فى قيمتنا كما يرتبط به إحساسنا بالعجز . وإن طريقنا فى الحياة ينقصها الاستمتاع بالحياة ، لإننا نشعر بعدم قدرتنا على تغيير حياتنا أو امتلاك الوسائل التى تمكننا من تحقيق مانريد . وبالعكس فإن الإنسان الواثق من قيمة هدفه فى الحياة وفى قدرته على تنفيذه لايستسلم للحقد ولايغار على حظه الطيب [١] .

جون راديس نظرية العدالة

من خلال العين الحسود يمكن للحسد أن يعجز شخصا عن الحركة أو أن يحطمه تماما ، ولكن هناك وسائل وإجراءات للحماية ، فيمكنك أن ترتدى تعويذه أو أن تبصق ثلاث مرات، إن تأثير الحسد قد يكون أقل وضوحا فى الناحية المادية، رغم أنه لايقل فى مدى خطورته ، وقد يتطلب الأمر بعض التوجيه الأخلاقى وليس اللجوء إلى التعاويذ التى تجلب الحظ السعيد أو غيرها من المسكنات . ويعقد أفلاطون ، على سبيل المثال، مقارنة بين ما يمكن أن يقدمه كل من الإنسان الحسود وغير الحسود لزملائه المواطنين ، ويمكننا دائما أن نعود إلى تلك النصيحة العامة ، خاصة وأنها تعود على مصلحتنا الذاتية ، والتى تؤكد أن الإنسان الحقود هو أسوأ عدو لنفسه .

ورغم ذلك فإن المشكلة التى يثيرها الحسد تصبح أكثر حدة عندما يُصنَّف الحسد على أنه خطيئة فظيعة ، عندئذ فإن محاولاتنا لحل المشكلة تتطلب السرعة الملحة . ولايمكن للإنسان المسيحى أن يتجاهل الحسد ولكن لايكفى فقط أن يدينه، إننا نحتاج إلى توضيح نتائجه الخطيرة وأن نقدم حافزا إيجابيا لعدم شعورنا بالحسد .

ويقدم العهد الجديد الحسد دائما على أنه شئ سئ ، وعلى الرغم من أن كلمة الغيرة (Zelos) لها معانى مختلفة فإننا نجدها بالفعل مصاحبة لكلمة الحسد (Phthonos) ، وفى مواضع كثيرة تظهر كلمة الغيرة (Zelos) فى سياقات تظهر طبيعتها المنفرة بشكل واضح [٢]،

وينضم للدليل المستمد من حكايات العهد الجديد ما تعارف التراث على تسميته رسالة كليمنت الأولى للكورنثين ، وهى الرسالة التى أرسلتها كنيسة روما إلى كنيسة كورنثا فى محاولة لقمع الخلاف والنزاع بين أتباع الكنيسة فى مدينة يونانية . ورغم أنه لايمكن التأكد من أن كاتب الرسالة هو كليمنت أسقف كنيسة روما ، فإنه من الممكن بكل ثقة تأريخ الخطاب بأواخر القرن الأول الميلادى. وتكشف محتوياته أن الغيرة (Zelos) والحسد (Phthonos) والصراع ، والشقاق والفوضى العامة والحرب[٣] قد اندلعت فى أرجاء المجتمع المسيحى فى كورنثا ، «إن طرق الله قد هُجرت، وأن كل فرد يسير وفقا لرغبات قلبه الشرير ، بعد أن عادت الغيرة الظالمة والمتجردة من الورع والتقوى [٤]. ويستمر كليمنت بعد ذلك ويحاول أن يرى شعور الغيرة - فيما يمكن أن نسميه «منظوره التاريخى» ويستشهد بقتل قابيل لأخيه هابيل[٥]، «أنتم ترون أيها الإخوة ، أن الغيرة تسببت فى جريمة قتل الأخ» [٦]. ولايجد كليمنت صعوبة فى أن يأتى بأمثلة أخرى من العهد القديم ، فبسبب الغيرة هرب يعقوب من وجه أخيه[٧]، كما تسببت الغيرة فى أن يساق يوسف إلى الموت وأن يصبح عبداً [٨]، وبسبب الغيرة عسكر هارون Aaron ومريم Miriam خارج المعسكر [٩]، كما قادت الغيرة داثان Dathan وإبيرام Abiram إلى عالم الموتى وهم أحياء ، لأنهم ثاروا ضد خادم الله موسى[١٠]، وبسبب الغيرة جلب ديفيد David حسد رجال القبائل الآخرين كما اضطهد أيضا على يد شاؤل Saul ملك إسرائيل [١١]. ولقد جاءت هذه الأمثلة فى الفصل الرابع من الخطاب، ويتجه فى الفصل الخامس والسادس إلى التاريخ المعاصر ، إلى الرسل بطرس وبولس فى الفصل الخامس ، وإلى مجموعة كبيرة غير محددة الأسماء فى الفصل السادس ، كل هؤلاء الذين يصفهم بأنهم ضحايا الغيرة والحسد يدفعون كاتب الخطاب إلى كتابة خاتمة عامة «إن الغيرة والصراع قد أسقطا مدنًا كثيرة وقضيا على شعوب عظيمة » [١٢].

هذه هى الحقائق وهى تؤكد أن المسيحيين كانوا مثل الوثنيين يدركون تماما انتشار مشاعر الغيرة والحسد وخطورتها على مدى قرون عديدة . ولكن ماذا عن النظرية المسيحية؟ وماذا عن محاولات آباء الكنيسة لمناقشة الحسد وتخفيف آثاره ؟ توجد العديد من المقالات المسيحية التى تدور حول الحسد . وفى منتصف القرن الثالث الميلادى بدأت بصورة جدية الاضطهادات الخطيرة لمعتنقى المسيحية، وكان الإمبراطور دكيوس Decius هو الذى بدأ هذه الاضطهادات عام ٢٥٠م، وبعد ذلك بعدة أعوام تجددت الاضطهادات على يد ڤاليريان Valerian . وظهر فى خضم هذا الصراع كيبريان Cyprian أسقف قرطاجة الذى كتب بحثا باللغة اللاتينية عن

الغيرة والحسد (de Zelo et Livores) . ويبدأ هذا العمل بتحذير الأسقف من أضرار الحسد، فهو ليس رذيلة بسيطة وإنما هو رذيلة مهلكة [١٣].

ويبرر كيبريان تحذيره من الحسد بتتبع أصوله وتوضيح مدى هوله . إن أصل الحسد موجود في الشيطان الذى كان مقبولا لدى الرب وعزيزا عليه، ولكن عندما رأى أن الله قد شكَّل الإنسان على شاكلته، بدأت الغيرة والحسد الشرير، وبسبب هذه الغيرة شعر هو نفسه بالهموم قبل غيره ، ووقع أسيرا قبل أن يأسره غيره ، وتحطم قبل أن يُحطم[١٤]. وقبل أن ينتهى الفصل يقول كيبريان بلغة بلاغية . «كذلك فإن الحسد يقبع منتظرا فى كل أنحاء الأرض ، بينما يطيع الإنسان ، الذى يكون على وشك الفناء، المتسبب فى تحطيمه ، ويقلد الشيطان فى غيرته». وهنا يورد بعض الأمثلة مثل قابيل وهابيل ، إشاو Esau ويعقوب ، يوسف وإخوته ، شؤول وديفيد ، ولقد سبق ورأينا هؤلاء عند كليمنت . ويتساءل كبريان : ألم يُهلك اليهود لأنهم فضَّلوا أن يحسدوا. بدلا من الإيمان بالمسيح ؟ ويضيف قائلا : لقد خدعتهم الغيرة العمياء[١٥]. وفيما يبدو ، فإن فكرة أن الحسد بدأ مع الشيطان هى فكرة يؤمن بها الرعاة الجراكسة الآن ، وبالنسبة لتأثير الحسد فهو يرى أنه أصل كل الشر radix est malorum omnium ، بل هو أسوأ من ذلك، فهو نبع كل المصائب ومهد كل الجرائم وأصل كل الخطايا[١٦]. وهناك المزيد فى نفس المعين .

ولحديث كيبريان رنين مألوف رغم أن مسيحيته تمثل فى بعض الأحيان تحولا جديدا فى المفاهيم التقليدية ، مثل تفضيله للسعادة والفضيلة حتى على كرم الإله وليس على رغبات الفرد فقط [١٧]. وهو مالا يجعل الغيرة أقل بشاعة . والغيرة ، عكس الرذائل الأخرى، ليس لها حدود[١٨] ، ولايمكن الشفاء منها[١٩]، والإنسان الغيور أسوأ اعداء نفسه . وبينما نكون محاطين بمثل هذه الملاحظات المألوفة لنا بشكل ممل، نأتى إلى جملة تشكل جزءاً حيويا من الحل المسيحيى لمشكلة الحسد، وهو حل يقلب نظام القيم فى العالم القديم رأسا على عقب: فكما يخبرنا كيبريان ، عندما سُئل المسيح من قبل تلاميذه، من منهم الأعظم أجاب «إن أقلكم جميعا هو الذى سوف يصبح أعظمكم » وذلك لكى يمنع غيرة الأخ من أخيه [٢٠]. وهو بهذه الإجابة قد سد باب التنافس واجتث كل دوافع الحسد المهلك وتخلص منه [٢١].

إن على التواضع أن يحل محل الغرور ، وأن يكون حب الشرف هو الفضيلة الأسمى، وأن نزيل كل مسببات التنافس والحسد الملازم له وذلك بأن نقضى على الرغبة فى تحقيق الشهرة

عظمة التواضع»(٢٢). وعندما يتحدث كيبريان عن حب المسيح لمريديه ونصيحته لهم بأن يحب أحدهم الآخر (٢٣)، نجد فى ذلك تحديا لمبدأ أساسى آمن به الأقدمون وهو أن علينا أن نحب أصدقاءنا وأن نكره أعدائنا ، وهو ما يلغى المجال الذى يسمح بظهور الحسد، ونجد كذلك أن هيمنة الكتاب المقدس حاسمة وقاطعة ويستشهد كيبريان بها (٢٤)، لقد سمعت أنه قد قيل أنك يجب أن تحب جارك وأن تكره عدوك . ولكنى أقول لك حب أعدائك ، وصل من أجل أولئك الذين يضطهدونك حتى يمكن أن تكون مثل أبيك الذى فى السماء والذى يجعل الشمس تشرق على الصالح والطالح ويرسل المطر للعادل والظالم (٢٥).

ويقتبس كيبريان كلمات القديس بول التى تقول «إن الحب لايحسد»(٢٦) أننا نتجه الآن إلى عالم يحتقر قيم الوجود الأرضى ويتطلع إلى عالم الروح ، وإذا كان الحسد سيختفى فإنه يرفض بشكل كامل هذا الوجود الأرضى (٢٧). ويجب أن نركز أفكارنا على الفردوس الذى طُرد منه هابيل وأن نفكر فى الجنة السماوية التى يسمح الرب بدخولها لأولئك الذين يملكون قلبا وعقلا واحدا (٢٨).

ويوجد أسقف آخر من دائرة شمال أفريقيا يمثل اكتمال إنجازات آباء الكنيسة المبكرين ، إننى بالطبع أعنى أوغسطين من هيبو Hippo ، الذى جاء بعد قرن ونصف من كيبريان ، وماحدث من اضطهادات فى منتصف القرن الثالث الميلادى. إننى لا أنوى أن أسرد آراء أوغسطين فى الحسد حيث أنها تتفق مع آراء كيبريان ، رغم أن أحد التعليقات التى ذكرها أوغسطين فى كتابه «الاعترافات» تستحق الاهتمام . فكما يبدو من إحدى الفقرات(٢٩) كان القديس مقتنعا أنه حتى الأطفال قد يكونوا عرضة لخطيئة الحسد». لقد رأيت بنفسى طفلا صغيرا يشعر بالغيرة ، ولم يكن يجيد الكلام بعد، ولكنه كان شاحبا وكانت نظراته القاسية (amaro aspectu) مصوبة نحو أخيه فى الرضاع» . ويذكرنا هذا التعليق بما سبق وذكرناه فى الفصل السابق عن العين الحسود. وهدفى الأساسى فى هذه النقطة أن أوكد ما سبق قوله حالا عند مناقشة آراء كيبريان من أن المسيحى قد أجاب على مشكلة الحسد بأن طالب بإنسان جديد ومجموعة جديدة من القيم تقلب بصورة كاملة النموذج الكلاسيكى . لقد دفعت صورة أوغسطين للمسيحى الفاضل إلى عقد مقارنة حادة مع الرجل الفاضل حسب المقاييس الوثنية . وتتضح هذه الصورة وهذه المقارنة بشكل عام فى أحد أجزاء الكتاب الخامس من «مدينة الله»، عندما يحاول أوغسطين أن يشرح كيف استطاع الرومان القدماء أن يشيدوا إمبراطورية

مترامية الأطراف رغم أنهم كانوا لايعبدون الإله الحقيقى ، ويعدد بعد ذلك فضائل هؤلاء الرومان .

ويقتبس أوغسطين من المؤرخ الجمهورى ساللوست Sallust[٣٠] ويقول إن الرومان، القدماء كانوا تواقين لسماع المديح وكانت الرغبة الملحة فى المجد تأكل قلوبهم ، لذلك أرادوا الحياة ولم يترددوا أمام الموت ، وقد قمعوا كل الرغبات الأخرى من أجل الرغبة العميقة فى ذلك . لقد كان هذا الشبق بالمديح وهذه الرغبة فى العظمة هى التى حققت العديد من الأفعال العظيمة ، أفعال تستحق المديح بالفعل ، وإذا ما قيست بالمقاييس التبشيرية فإنها أفعال جليله. ولقد استمر التدهور الأخلاقى فى عصر سالوست وفرجيل ، اللذان يقتبس منهما أوغسطين ، وكان من الممكن استخدام الخيانة والخداع للحصول على جائزة العظمة والشرف والقوة . ولكن ماذا أضافت العظمة للرومانى ؟ لقد كانت العظمة هى الفضيلة المحببة للبشر، بينما كانت الفضيلة المسيحية هى الفضيلة التى يقرها ضمير الفرد وليس شهادة البشر[٣١]. وإذا كان المجال الرومانى متسعا فذلك لأن الله قد منح السلطة لمن يخدمون وطنهم من أجل الشرف والمديح والعظمة ، وذلك لكى يتحكم فى خطايا الشعوب العديدة الخطيرة ، ولقد قُهرت خطايا أخرى عديدة من أجل خطيئة واحدة هى حب المديح [٣٢]. وكما يخبرنا الكتاب المقدس ، فإنه لأمر طبيعى أن يكبح الإنسان المسيحى شهوة حب المديح والتى ربما لايمكن اقتلاعها من قلبه أثناء حياته [٣٣]. لقد حصل الرومان على العظمة الدنيوية وقد استحقوا ذلك[٣٤]، ولكن مكافأة القديسيين مختلفة تماما. ولكن يجب أن نفكر فى المثال الذى يقدمه الرومان لنعرف أن مدينة السماء تستحق كثيرا من الحب من أجل الحياة الخالدة. فإذا كان سكان المدينة الأرضية يحبونها إلى هذه الدرجة من أجل العظمة الإنسانية ، فإن مدينة السماء التى تمنحنا حياة خالدة تستحق مقدارا أكبر من الحب [٣٥]. ويلى ذلك كثير من الأمثلة [٣٦]، ونحن بحاجة لمعرفة هذه الأمثلة لتنتشر بيننا بشكل واسع فإنها أيضا تشرح لماذا سمح الله بنمو روما . وفى الحقيقة ، فقد تضخمت العظمة وأصبحت مليئة بالغرور ، ولكنها لم تكن مدعمة بقيم قوية ومتينة ، وإذا ما ازدرى الإنسان المجد وعمد إلى ارضاء نفسه فقط فإنه ما زال يهدف إلى ارضاء إنسان واحد وعلى النقيض من ذلك ، فإن الإنسان المسيحى يهتم أكثر بما لايرضيه شخصيا ، ويشكر الله على تخليصه من بعض أخطائه ويصلى حتى يتخلص الآخرون أيضا من أخطائهم [٣٧]. وبتعبير آخر، لقد قامت المسيحية بما هو أكثر من تقديم قيم جديدة وإدانة القيم القديمة ، لقد

قدمت قيمًا جديدة ومكافآت جديدة بعيدة عن القيم القديمة بقدر بُعد مدينة السماء عن مدينة الأرض ، وكما اسُتبعد من هذه القيم المجد والمديح والتكريم، فقد استبعد نظريا ، إن لم يكن عمليا ، الحسد الذى يتسبب فيه السعى وراء المجد .

يجب استبعاد السعى للمجد (من القيم الإنسانية) ، والأمر لايستلزم وجود أفكار مسيحية صرفة لتبرير هذا الاستبعاد . وقد استطاع بوثيوس Boethius بعد أوغسطين بقرن من الزمان، أن يكشف بشكل دقيق فى كتابه «عزاء الفلسفة» محدودية المجد (Gloria) فى المصطلحات البشرية فالعلم يوضح أن الأرض مجرد نقطة صغيرة إذا ما قورنت بالسماوات ، وفى الحقيقة لها ليس لها حجم على الإطلاق ، وأن جزءاً بسيطا من الأرض هو فقط الذى تعيش فيه المخلوقات الحية التى نعرفها ، وإذا ما طرحنا من هذا الجزء البحار والمستنقعات والصحارى ، فلايبقى للإنسان سوى جزء ضئيل للغاية يتسنى للإنسان أن ينشد المجد فيه . وتوجد فى هذا الجزء المأهول بالسكان، بعض الشعوب التى تختلف فى طريقة حياتها ، وهذا بدوره يحول دون انتشار شهرة المدن ناهيك عن الأفراد ، ثم إن ما يمدحه أحد الشعوب قد يدينه شعب آخر، ومن ثم فسوف تقتصر شهرة الفرد ومجده على شعبه فقط ، إن الشهرة لاتضمن الخلود ، إن الشهرة تكون فى أحسن الأحوال قصيرة الأمد بينما الخلود ممتد ومستمر . لذلك يجب أن نزدرى العمل الدنيوى ونبتهج لتحررنا من الأشياء الدنيوية وأن نعلق أهمية أكبر على فرحة السماء [٣٨].

ومن الممكن أن يثق الإنسان المسيحى فى وجود هدف للحياة وأنه هو شخصيا جزء من خطط الإله الكبيرة . ويمكن أن نكتشف مدى فاعلية التعليم المسيحى ، سواء تمثل فى المناقشة التى أجراها كيبريان أو الموعظة التى كتبها باليونانية الأب باسيل Basil أسقف قيصرية ، إذا ما طالعنا نظيره الوثنى له والمتمثل فى حديث ديوخرسوستوم Diochrysostom معاصر بلوتارخوس ، والذى أسماه أيضا باسم «عن الحسد». إن تحليل هذا الفيلسوف الشعبى للحسد (الأحاديث ٧٧ ، ٧٨) لايشجع على القراءة ، خاصة فى النصف الأول من هذا العمل، حيث يقدم لنا حديثا بين ديو Dio وشخص آخر مجهول الهوية ، ويبدأ كذلك باقتباس بيت الشعر الذى يتحدث فيه هسيود عن التنافس بين الخزافين الحرفيين[٣٩].

ويقول إن هسيود يزعم أن هؤلاء الحرفيين غيورين ولايتعاطف أحدهم مع الآخر ، لأن الفائدة تقل إذا ما اشترك كثيرون فى نفس الحرفة ، ولكن ديوخرسيوستوم يجعل مقولة هسيود تمتد لتشمل جميع المهن قبل أن ينكرها، حيث أنها تعميم شامل وعام للغاية : إن السفينة تحتاج إلى أكثر من بحار [٤٠]، وقد يحدث أن يمرض الطبيب شخصيا ، لذلك فإنه يرحب بوجود ممارس آخر لنفس مهنته ليعالجه[٤١] ، وتتميز هذه الحجة بالمهارة أكثر من تميزها بالإقناع . ولاتصبح حجة ديو أكثر قوة حين يشير إلى أن المدينة المعرضة لهجوم تحتاج إلى أكثر من صانع أسلحة واحد وأكثر من شخص واحد لبناء الأسوار[٤٢] وأخيرا يضفى الكاتب مسحة فلسفية على وجهة نظره عندما يتحدث عن الفيلسوف الذى لايبالى بالثروة المادية، ومن ثم لايهتم بدافع الربح[٤٣]. وهنا نلمح تدخل بؤثيوس ومشاركته المباشرة من خلال حديث ديو عن أن الشهرة هى مديح الأغلبية ، والأغلبية جاهلة[٤٤] مما يجعل مديحها عديم المعنى، فإن مديح ذوى الخبرة فقط هو الذى يتمتع بالقيمة . ولكن سرعان ما يصبح كلام ديو عن النتائج الخطيرة للاهتمام برأى الأغلبية دربا من التخريف (اللامعقول) عندما يستعرض براعته ويحاول استغلال أسطورة بندورا التى عرفناها فى البداية من هسيود [٤٥]. فإن هسيود يصف قصة خلق وتكوين المرأة الأولى، ولكن ديو يفسر تصرف بندورا المدمر – عندما أطلقت الشرور على الجنس البشرى – بأن تشكيلها وخلقها تم على يد جمع غفير من الآلهة ، أى على يد غوغاء ديموقراطية[٤٦]. ويرفض الفيلسوف مبدأ المنفعة المادية كما يرفض التقدير العام ويجد بديلا هذه المرة فى الحقيقة الفلسفية وليس فى الحقيقة الإلهية . ويسعى وراء مثال أكثر شموخًا ، ولايشعر بالحسد تجاه أولئك الذين يسعون وراء هدف أقل نبلاً . وهنا يُنَحِّى جانبا التظاهر بوجود حوار ونجد حديثا لايقطعه شئ يستعرض فيه ديو كيف أن الفيلسوف لايشعر بالحسد. ولكنه لايضيف شيئا جديدا ونفتقد كذلك الحرارة والإحساس بالاقتناع الذى ينقله لنا كيبريان أو أوغسطين . ويهدف الفيلسوف قبل كل شئ إلى مجرد إرضاء نفسه ويبدو هذا هدفا محدودا. أما حديث ديوخريسوستوم السابع عشر والذى يناقش موضوع الجشع (Pleonexia) المرتبط بالحسد، فلايستحق أكثر من مجرد ذكره باختصار ، وهو يستحق الإشارة إليه فقط لأن ديو يسئ الاقتباس من مسرحية «الفينيقيات» ليوربيديس [٤٧]. حيث يضع حب الشرف (Philotimia) محل الجشع (Pleonexia) وبعد ذلك يمدح المساواة [٤٨]. وهو الموضوع الذى سبق وناقشناه والذى سنعود إليه الآن لاتصاله بمظاهر الحسد.

ويحاول الفلاسفة المسيحيون والوثنيون أن يحلوا مشكلة الحسد ، فيفضل فلاسفة المسيحية العالم الآخر على هذا العالم بينما يحاول فلاسفة الوثنية أن يتقوقعوا فى عالم تتمتع فيه صفوة الفلاسفة فقط بالأهمية. ومن المحتمل أن تفضيل أى الحلين يعتمد على وجهة النظر الشخصية وعلى الذوق ، فقد يجد البعض الحل المسيحى ساذجا بينما يجده آخرون صادقا ، وهنا فإن الإجابة الفلسفية التى طرحها ديوخريسوستوم قد تصدم البعض باعتبارها تلاعبا بالألفاظ ، وأن هناك فلاسفة آخرون يمكنهم نيل احترامنا ، وهناك أيضا خط ثالث للهجوم يتمثل فى الإجابة السياسية لمشكلة الحسد، وهنا نعود إلى مناقشتنا السابقة حول الحسد والديموقراطية وإلى فكرة أن المساواة تقضى على مشاعر الحسد ولكن، كما سبق ولاحظنا فى تلك المرحلة من مناقشتنا ، فإن مبدأ أن يملك كل رجل (وهذا الرجل مواطن بالطبع) صوتا هو مبدأ لايصل إلا إلى سطح المشكلة فحسب ، حيث أنه يترك مساحات كبيرة يكون الناس فيها بعيدين تماما وبشكل واضح عن أن يكونوا متساويين. وفى الحقيقة، فإنه لايمكن للبشر أن يتطلعوا إلى أن يكونوا متساوين سوى فى المدينة الفاضلة ، وتنتمى المدن الفاضلة إلى الخيال أكثر من انتمائها إلى السياسات العملية . والمدن الفاضلة اليونانية ، على سبيل المثال ، هى مدن خيالية مثلها مثل القصص اليونانية، وبالفعل يبدو أن نوع المدينة الفاضلة، الذى وجده بعض الأشخاص الغامضين الغرباء، ليس فى متناول الجميع ، ولكننا نجده فى «الأوديسيات» لهوميروس وفى تربية «قورش» لكسينوفون ، الأولى بقصتها عن الرحلات الخيالية ، والثانية بقصتها عن الصبى الذى قهر العالم. ويبدو أن هذا النوع من المدن الفاضلة يتمتع بشئ يساعد راوى هذه النوعية من قصص المغامرات ومن ثم ساعدت فى تطور فن القصة القديمة. وبالرغم من أن مساحة العالم الواقعى أقل من المساحة التى يخصصها الفيلسوف لدولته المثالية ، فقد استطاعت المدن الفاضلة اليونانية أن تواجه مشكلة الحسد، وأن تستفيض بعد ذلك فيما أسميته من قبل بالإجابة السياسية .

لقد كان هليودوروس هو كاتب القصة اليونانى الذى استرعى انتباهنا فى الفصل السابق، وإذا ما أراد المرء أن يضع بجانب مدينة «الأثيوبيات» Aethiopica لهليودوروس مدينة أخرى فاضلة تنتمى للتاريخ القديم ، فإن البديل الواضح سوف يكون من الفترة الهللينستية[٤٩]، أى تلك المدينة الفاضلة التى وصفها أيامبولس Iambulus والتى عرفناها من كتابات ديودور الصقلى[٥٠]. وكان من المعتقد أن مدينة أيامبولوس الفاضلة توجد فى

جزيرة تقع فى المحيط جنوب الجزيرة العربية، أو بشكل عام جنوب أثيوبيا . وهناك ارتباط آخر بقصة هليودوروس يتمثل فى أن سكان هذا الفردوس كانوا يعبدون إله الشمس . لقد أرسل الأثيوبيون أيامبولوس ورفاقه إلى الجزيرة ، وبعد أن قطعوا مسافة شاسعة من البحر هبت العواصف فضلوا طريقهم إلى الجزيرة وظلوا أربعة أشهر تائهين وأخيرا وصلوا إلى مقصدهم(٥١) وكان سكان الجزيرة شديدى الغرابة فقد امتدت المساواة بينهم إلى التشابه فى شكل الجسم إلى حد كبير (٥٢)، وكان القانون يسمح لهم بالحياة فترة محدودة من العمر فقط بعدها يقتلون أنفسهم باختيارهم ، وكانت النساء والأطفال ملكية عامة فاختفى الزواج (٥٣).

ويخبرنا أيامبولوس أنه كان من نتائج هذا الإلغاء للروابط الأسرية أن اختفى من مجتمعهم حب الشرف (Philotimia) ، كما اختفى الصراع الأهلى، وأنهم كانوا يعلون من شأن الوحدة أو الوفاق (homonoia)، لقد كان الطعام ينمو من تلقاء نفسه بقدر كاف ويسد جميع الاحتياجات ، ولكن سكان الجزيرة كانوا يستخدمون منه القدر الضرورى فقط (٥٤). بالإضافة إلى ذلك ، لم يكن بينهم تنافس لأنهم كانوا يسدون احتياجات أحدهم الآخر بالتناوب وفى دورة محددة (٥٥).

وهذه بطبيعة الحال قصة خيالية ، أو مجرد أمنية تنتظر أن تتحقق ، وعلى سبيل المثال كانت فترة الحياة التى ينص عليها القانون ١٥٠ عاما (٥٦). وقضى أيامبولوس ورفاقه سبع سنوات على الجزيرة ضد رغبتهم ، ثم تم طردهم بعد ذلك «لأنهم من مقترفى الآثام ولأنهم تربوا على طرق شريرة» (٥٧). وكان أيامبولوس هو الوحيد الذى عاد إلى بلاد اليونان ، مثل أودوسيوس ، وذلك عن طريق الهند وبلاد فارس . ولقد عاد أيامبولوس إلى العالم الحقيقى، وكلنا نعيش فى هذا العالم الحقيقى حيث تكون المنافسة وحشية، وحيث يوجد الحسد بشكل كبير . ومن كتاب «السياسة» لأرسطو نعرف المزيد عن المدن الفاضلة الإغريقية فهو يقدم لنا مدينة فالياس Phaleas الفاضلة وهو مفكر من خلقدونية حسبما يذكر أرسطو ، وهو أول من اقترح أن يتساوى جميع المواطنين فى الثروة (٥٨). ولانحتاج إلى إمعان النظر فى النماذج المتشابهة التى ذكرها أرسطو أو فى تعليقاته الكثيرة ، ولكن خاتمته تستحق التسجيل بالتأكيد : «من الضرورى أن نجعل الرغبات والميول متساوية أكثر من المال، ويمكن تحقيق هذا فقط من خلال قدر كاف من التعليم فى ظل القوانين» (٥٩). ويتمتع أرسطو بقدر كبير من التفكير العملى يجعله لايؤمن أن المساواة فى الثروة لن تقضى على السرقة ، فالناس

لايسرقون فقط لكى توفروا ضروريات الحياة ، ولكنهم يسرقون لأنهم يرغبون فى أشياء اشتهوها طويلا . وينتهى أرسطو إلى القول بأن اقتراحات فالياس سوف تلغى الجرائم الصغيرة فقط . ويعترف أرسطو بأهمية محدودة للتساوى فى الثروة وذلك لأن فيها حماية من الفوضى الأهلية، ولكنه يرفض المبالغة فى أهميتها (٦٠). ويقول أرسطو إن الطبيعة البشرية تعانى من عيب خطير ، يتمثل فى أنها لاتشعر بالرضا أبدا . ففى البداية قد يقنع المرء بالقليل ويكون سعيدا ، ولكنه سرعان ما يرغب فى المزيد وتصبح طلباته ليس لها حدود بالفعل . ولقد ذكر الشاعر الرومانى*(والفيلسوف الرواقى) لوكريتيوس(٦١) نفس هذه النقاط، فهو يصف كيف شعر الإنسان البدائى بالضجر من استخدامه جلود الحيوانات كملبس ، بالرغم من أنه عندما اكتشف مثل هذه الملابس فى البداية أثار كثيرا من الحسد ، لدرجة أن الإنسان الأول ناضل حتى الموت من أجل هذه الجلود وخرج بها من معركته وهى ممزقة قطعا(٦٢). وكالمعتاد يعرض أرسطو المنطق العام ، وعرض المنطق العام وتَقبُّل الناس وتَقبُّل الطبيعة البشرية كما هى بكل عيوبها وليس كما نرغب أن تكون هو أمر إغريقى صميم . وقد يحاول التشريع الاجتماعى أن يحد من الحسد ، وقد يكون نظام النفى صمام أمان ، ولكن فاعليته محدودة . ومن المحتمل أن العقوبات التى لايفرضها القانون قد تكون أفضل وأكثر فاعلية، مثل ظهور عبادة إله الحظ أو الإيمان بأن كل شئ قد أعد سلفا ، عندئذ قد ننسب عدم المساواة إلى الحظ الشخصى أو القدر، فنخرج بنتيجة مؤداها أننا لايجب أن نلوم أى إنسان أو نشعر تجاهه بالحسد . ولكن هل ينجح الحظ أو القدر فى أن يقمع مشاعر الحسد ويحد منها ؟ إننى شخصيا أشك فى ذلك، أتذكر، تلك الكلمات التى قالها المؤرخ اليونانى الهللينستى بوليبيوس Polybius ، فبعد أن يقص قصة ظهور روما وبداية قوتها يتضرع إلى جميع الآلهة أن تجعل البقية الباقية من حياته على نفس المنوال بعد أن رأى أن الحظ الجيد tyche (الطيب) يثير حسد الناس (Phthonosai)، وخاصة عندما يظن المرء أنه مبارك وأنه أكثر الناس نجاحا فى حياته (٦٣).

ولايفتقر حديث بوليبوس إلى الإثارة فى غير هذا الموضع وإننا نميل إلى وضعه على قدم المساواة مع ثوكوديديس ونعتبر هذين الأثنين أكثر المؤرخين القدماء فطنة وحصافة - ولكننا نشعر بشئ من المفاجأة عندما نجد بوليبيوس فى القرن الثانى ق.م كما لو كان يعكس صدى المفهوم الهيرودوتى عن الحسد الإلهى، خاصة وأن حسد «الحظ» أو «الفرصة» يذكرنا كيف ينسب هيرودوت الحسد إلى قوة إلهية أو قوى إلهية غير محددة ، وهو ما يشير بدوره إلى

الاعتقاد الشعبى . وإذا ما نظرنا لبولبييوس فسوف نجد أن الحظ قد لايُحسد فقط ولكن يمكن لومه أيضا لأنه غير عادل(٦٤) لدرجة أن الإيمان بفكرة أن العالم تحكمه الصدفة لايجعلنا نتسامح إزاء نجاح زملائنا أكثر منا. ويقتبس بوليبيوس أيضا مقولة غضب الآلهة ليشرح سبب حدوث الكوارث (٦٥)، ويقول إن غضب الآلهة يسبب حدوث الجرائم الكبرى(٦٦). ويذكر أحد الملوك الذى مات مجنونا بتدبير من أحد الآلهة لأنه كان ينوى تدنيس معبده (٦٧). وطبقا لبوليبيوس يمكن للحظ أن يعاقب البشر(٦٨) ولايسمح لهم بمواصلة النجاح(٦٩) . ونترك المؤرخ وهو يحث الإنسان على الاعتدال عندما ينجح مرة بعد أخرى (٧٠)، وتفوح من كلماته تمسك الناس بالاتجاهات التقليدية دائما . وهذا ما يجعلنا نيأس من إيجاد حل لمشكلة الحسد على الإطلاق ، ولقد كانت مهمتى ، والحمدلله، أن أصف الحسد وأن أفسره وأحاول ربطه بالقيم الإغريقية عموما ، وليس حل الصعوبات التى يتسبب فيها ميل الإنسان للشعور بالحسد . ولقد حاول الإغريق التعايش مع مشكلة الحسد ونجحوا فى ذلك بدرجة معقولة، لقد واجهوا حقائق هذا العالم على الأقل ولم يحاولوا أن يخفوا تحت سجادة الأمثال كل ما هو مخجل ، وربما تكون حياتنا أكثر سعادة لو سرنا على منوالهم .

إن تناولنا لمشكلة الحسد عند الإغريق قد أدى بنا إلى أن نفحص بسرعة مجموعة مختلفة من النصوص تمتد على مدى فترة طويلة من الزمن تزيد على ألف عام . فقد بدأنا بهوميروس وهسيود فى النصف الثانى من القرن الثامن ق . م ، وجمعنا أدلة كثيرة من شعراء آخرين عاشوا فى النصف الأول للقرن الخامس ق . م مثل بندار ، وباخيليديس وأيسخولوس وكذلك من هيرودوت فى الربع الثالث من نفس القرن . ولقد لاحظنا ، رغم ذلك ، وجود اتجاه مختلف عند يوربيديس وثوكوديديس قرب نهاية القرن الخامس . ولقد مثَّل القرن الرابع ق . م كل من أفلاطون وأكسينوفون وايسوكراتيس والخطباء الآخرون ، خاصة ديموستينيس . ولقد أنتج غزو الإسكندر للإمبراطورية الفارسية العصر الهللينستى بشعرائه كاليماخوس وثيوكرتيس ، كما أنتج بعد ذلك بقرن مؤرخ آخر هو بوليبيوس . وينتمى بلوتارخوس وديوخريسو ستوم إلى بدايات الإمبراطورية الرومانية ، بينما كانت الفترة المتأخرة فترة ظهور كتاب متباينين مثل هليودوروس والقديس أوغسطين. ولحسن الحظ فقد بقيت لنا ثروة من النصوص الأدبية ، رغم قلة المادة غير الأدبية ، ولم أحاول ذكر كل إشارة للحسد وردت عند الكُتَّاب الذين اقتبست من أعمالهم ، وقد نشعر بالامتنان لذلك ، كما تبقى مجموعة أخرى من الكُتَّاب لم أذكرهم .

ولكننى أتصور أننى قد ذكرت ما فيه الكفاية ، أى ما يكفى لإثبات انتشار الحسد فى المجتمع الإغريقى. وبعد خضوعى للإغراء سوف أشير إلى دليل أخير، وذلك لأنه كان من الممكن أن أشير إلى هذا الكاتب أكثر من ذلك. فمسرحية «بلوتوس» أو «الثروة» هى آخر مسرحيات أرستو فانيس التى بقيت لنا ، وتتميز خطتها بالبساطة : فقد أصيب إله الثروة بالعمى على يد زيوس ، ونتيجة لذلك أصبحت الثروة والفضيلة لاتجتمعان بين البشر ، وبعد ذلك يستعيد إله الثروة بصره ويصبح الجميع أغنياء ، وهو وضع مثالى ، ولكنه من النوع الشائع الذى يستغله أرستو فانيس لإثارة الضحكات. ولكن لماذا أصاب زيوس إله الثروة بالعمى ؟ لقد فعل ذلك بسبب شعوره بالغيرة من الجنس البشرى ولكى لايفرق إله الثروة بين الصالح والطالح[٧١] ، إن جملة «أن زيوس يغار للغاية من الرجل الصالح » تُذكّرنا بالدافع الذى قاله لسياس على لسان ذلك الشخص الكسيح ونسبه لمعارضه . وبعد ذلك تظهر ربة الفقر على المسرح وتقدم حجة لاتدحض تقول فيها «إذا ظهر إله الثروة مرة أخرى وتقاسم الناس الثروة بالتساوى ، فإنه ما من إنسان سوف يتعب نفسه ويتعلم أى مهنة أو حرفة»[٧٢]، وبذلك فإننا نرجع مرة أخرى إلى بداية بحثنا ، إلى الأعمال والأيام وهى القصيدة التى يدّعى فيها هسيود أن الصراع الجيد هو الذى يلهمنا التصرف عندما نرى جارنا وقد مُنح نعمة الثروة . وتماثل هذه الحجة القول : إن المرء يحتاج إلى حافز ، ونجاح الآخرين الكبير هو الذى يقدم لنا هذا الحافز . إن وجود كثير من النسخ من مسرحية «بلوتوس» توضح أن التفسير الأخلاقى لربة الفقر كان مقبولاً لدى الأجيال القادمة ، ومازال كثيرون يقبلون هذا التفسير حتى اليوم .

الهوامش

١- John Rawis : A Theory of Justice (Oxford , 1972) .

٢- e . g . Rom . 13 , 13 , I cor . 3 , 3 ; 2 cor . 12, 20 , Jas 3 , 14 .

٣- 1 , 3 , 2 .

٤- 1 , 3 , 4 .

٥- cf. Gen. 4, 3-8.

٦- 1 , 4 , 7 .

٧- cf . Gen . 27 , 41 FF .

٨- cf . Gen . 37 .

٩- Num . 12 .

١٠- cf . Num . 16 .

١١- cf . I Sam . 18 ff .

١٢- 1 , 6 , 4 .

١٣- 1 , 3 .

١٤- 4 .

١٥- 5 .

١٦- 6 .

١٧- 7 .

١٨- 7 .

١٩- 9 .

٢٠- cf . Luke 9 , 48.

٢١- 10 .

٢٢- 16 .

٢٣- 12 .

٢٤- 15 .

٢٥- Matt. 5 , 43-45 .

٢٦- 1 Cor . 13 , 4 .

٢٧- cf . 14 .

٢٨- 18 .

٢٩- 1 , 7 .

٣٠- 5 , 12 , ff .

٣١- cf . 2 cor . 1,12 and Gal 6,4 .

٣٢- 5 , 13 .

٣٣- 5 , 14 .

٣٤- 5 , 15 .

٣٥- 5 , 16 .

٣٦- 5 , 17 FF .

٣٧- 5 , 20 .

٣٨- 2 , 7 .

٣٩- Works and Days 25.

٤٠- 6 .

٤١- 8-9 .

٤٢- 12-13 .

٤٣- 15 FF .

٤٤- 17 .

٤٥- cf . Theogony 570 FF , Works and Days 54-89 .

٤٦- 25 .

٤٦- Verses 531-40 .

٤٨- 8-11 .

٤٩- الهيلينستية Hellenisticism :

الهيلينستية أو التأغرق ، ترجمة عربية للكلمة الألمانية Hellenizein التى كانت تعنى التحدث باللغة اليونانية السليمة أو انتهاج السلوك اليونانى الأصيل أى محاكاة الإغريق فى أسلوب حياتهم وثقافتهم . وعلى هذا فقد كان التأغرق أصلا صفة لغير الإغريق ، غير أن بعض المؤرخين قد استخدم لفظ التأغرق للدلالة على ظاهرة التحام الشرق بالغرب التى سادت فى تلك الحقبة حين كانت الحضارة الإغريقية هى السمة الغالبة فى العالم المأهول بأسره ، وذلك هو سر تسمية المؤرخين لهذا العصر بالعصر المتأغرق . والحق أن الحضارة الإغريقية قد جمدت عن أن تتطور فى بلادها قبل أن تنزح إلى البلاد الأخرى ، فأمدها هذا الانتشار بقدرات خلاَّقة جديدة داخل اليونان وخارجها شارك فيها اليونانيون وغيرهم بنصيب كبير يختلف باختلاف البلاد . ولقد انتشرت اللغة اليونانية على امتداد العالم القديم . فخلقت بانتشارها عقلية مشتركة جمعت تحت لوائها المتشبعين بالثقافة اليونانية دون النظر إلى الأصول التى ينتمون إليها ، ويمكن تقسيم العصر المتأغرق إلى حقب ثلاث : الأولى ما بين عامى ٣٢٣ ق .م و٢٨٠ ق .م حين أخذت إمبراطورية الإسكندر فى الانحلال لتحل محلها مجموعة من الدول الجديدة ، الثانية بين عامى ٢٨٠ ق. م إلى ١٨٠ ق.م وهى حقبة ازدهار الحضارة اليونانية بعلومها وفلسفتها وأسلوب حياتها خلال رقعة فسيحة من العالم القديم، والثالثة بين عامى ١٦٠ إلى ٣٠ ق .م حين دب الانحلال السياسى وسادت اللاعقلانية ثم ما لبثت أن تسللت الروحانية وافدة من الشرق .

لمزيد من المعلومات أنظر :

Tarn , W . W : Hellenistic Civilzation , 3 d . ed (1952) , Rostovtzeff , M. I . : Social and Economic History of The Hellenistic World 3 vols (1941) .

٥٠- 2 , 55 .

٥١- 2 , 55 , 5-6 .

٥٢- 2 , 56 , 2 .

٥٣- 2 , 58 , 1 .

٥٤- 2 , 59 , 1 .

٥٥- 2 , 59 , 6 .

٥٦- 2 , 57 , 4 ; 58 , 6 .

٥٧- 2 , 60 , 1 .

٥٨- 12 66 a .

٥٩- 12 66 b .

٦٠- 12 67 a .

٦١- لوكريتيوس (٩٩-٥٥ ق.م)

شاعر وفيلسوف رومانى رقيق الوجدان متوثب الاحاسيس شديد الملاحظة لظواهر الكون ، بالغ الدقة فى مناقشة الأفكار ، جسور فى الكشف عن الخرافات التى تتضمنها العقيدة الدينية السائدة أيامه والتى لم يلبث أن نبذها متعلقا بفلسفة ابيقور Epicurus التى أنقذته من حيرته وأنس إلى ما فيها من اراده متحرره ومن ماديه لاتعترف إلا بآلهة فكهة ساخرة لاتفرض على العالم سلطانا ولاتطالب البشر بالعبودية ، واعتزم اعادة صياغة أفكار ابيقور الجافة فى قالب شعرى رقراق وميسور الفهم حتى يستميل القارئ إلى الغوص فى أعماقها الفلسفية ، كما يفعل الطبيب حين يخلط الدواء المرء بقليل من العسل يُغرى به المرضى على تناوله . ولم يلبث أن أخرجها فى قصيدة سماها «فى طبيعة الأشياء» De Rerum natura فانشب أظافره فى الأساطير الدينية فى سخرية رائعة . ويعتبر لوكريتيوس أعظم الشعراء الفلاسفة الذين سموا بالأدب اللاتينى إلى قمة الجمال الفنى والسلاسة اللفظية والرقة التعبيرية .

٦٢- On the Nature of the Universe 5 , 1418-22 .

٦٣- 39 , 8 , 2 .

٦٤- e. g . 16 , 32 , 5 ; 32 , 4 , 3 .

٦٥- e. g .36 , 17 , 15 ; cf . 27 , 8 , 4 .

٦٦- e. g . 23 . 10 , 14 .

٦٧- e. g . 31 , 9 , 4 .

٦٨- e . g . 4 , 81 , 5 ; 15 , 20 , 5-8 .

٦٩- e. g. 29 , 21 .

٧٠- e. g . 15 , 6 , 6-7 , 6 .

٧١- Verses 87-92 .

٧٢- Verses 510-12 .

الفصل التاسع

قائمة المصادر والمراجع

أعتقد أننا يجب أن نركز إنتباهنا على النصوص الأصلية التى حفظها لنا الزمن من التاريخ القديم ، أما بالنسبة للقراءة فى المراجع الحديثة والاقتباس منها فيجب أن يكون لها حدود. ولهذا السبب فقد اخترت أن أقطع كلامى ، بين الحين والآخر، وأشير ، ليس إلى المراجع الحديثة، وإنما إلى المصادر القديمة ، واتعشم أن يكون ما أقتبسه كاف لتقديم تفاصيل توضح الفكرة وتدعمها . ولقد حاولت أن أذكر فى قائمة المصادر والمراجع تلك الدراسات التى ساعدت بقدر كبير فى تشكيل أرائى وفى تهذيبها ، كما حاولت التعليق عليها فى بعض الأحيان : ولكننى أوكد على أن الأمر المهم هو الدراسة المتعمقة للمؤلفين الإغريق . وسوف أنصح القراء المتخصصين فى الدراسات الكلاسيكية بتخطى الجزء الأول من قائمة المصادر والمراجع وأن يتخطى القراء المتخصصين فى الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية الجزء الثانى.

١- المؤلفين الإغريق :

لقد استخدمت فى قراءتى للمؤلفين الإغريق، بالطبع، النصوص الموجودة فى سلسلة Oxford و Teubner وطالعت الطبعات التقليدية . ووجدت أن أكثر الترجمات إقناعًا تلك الموجودة فى سلسلة : Loeb Classical Library (Harvard U . P. and Heine mann , London) .

وهى تلك السلسلة التى تحتوى على النص اليونانى وترجمته فى الصفحة المقابلة . وتوجد بها أعمال الغالبية العظمى من المؤلفين ، بالرغم من أنه لايوجد بها حتى الآن جزء لهيليودورس Heliodorus اوستوبايوس Stobaeus وإن ظهرت بعض الترجمات الأخرى لهليودوروس مثل :

M. Hadas: An Ethiopian Romance (University of Michigan Press, 1957) , W . R . M . Lamb : Ethiopian Story (Every man`s Library) .

أما كتاب :

A. M . W . Green : Classics in Translation , a Selective Bibliography , 1930-76 (University College, Cardiff, 1976) .

فيعطينا الكثير من التفاصيل عن ترجمات الأمركيين والبريطانيين منذ عام ١٩٣٠ .

ولقد حاولت تقديم بعض المعلومات المختصرة عن كل مؤلف ، مع اعترافي بأنه قدر ضئيل من المعلومات . ولكننا سوف نجد كما أكبر من المعلومات في كتاب .ليسكيA . Lesky

A . History of Greek Literature (Methuen , London 1966) .

أما كتاب هيرمان فرانكل Hermann Fränkel فهو مفيد للغاية خاصة بالنسبة للمؤلفين القدماء مثل هوميروس وهسيود وبندار وباخيليديس .

ونجد تتبعًا لتطور الأفكار حتى القرن الخامس ق.م وما بعده في

E. R. Dodds : The Greeks and the Irrational (University of California Press, 1951) .

H . Lioyd - Jones : The Justice of Zeus (University of California Press 1971) .

ولقد وجدت مقدمة لموضوع الحسد عند الفلاسفة في مقالة

E. B. Stevens : "Envy and Pity in Greek Philosophy" American Journal of Philology 69 (1948) pp. 171-89 .

كما وجدت معالجة مستفيضة لهذا الموضوع عند E. Milobenski في كتابه

Der Neid in der griechischen Philosophie (Harrassowitz, Wies baden1964) .

أما كتاب S. Ranulf والذي يقع في جزئين ويحمل اسم

The Jealousy of the Gods and Criminal Law at Athems (Levin and Munksgaard, Copenhagen and Williams and Norgate, London 1933 and 1934) .

فهو قليل الأهمية بالرغم من طوله ، والجزء الثاني بصفة خاصة ليس وثيق الصلة بالموضوع.

ولقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة اهتماما متزايداً بالقيم والمفاهيم الاجتماعية ، غير أنه لاتوجد إشارات للحسد بصفة خاصة ، وإذا وُجدت فأنها قليلة للغاية خاصة عند

J . Ferguson : Moral Values in Ancient World (Methuen . London, 1958) .

= A . W. H. Adkins : Merit and Responsibility, a Study in Greek Values (Oxford U . P. 1966) .

= ________________ : Moral Values and Politcal Behaviour in Ancient Greece (Chatte and Windus , London , 1972) .

= L. Pearson : Popular Ethics in Ancient Greece (Stanford U . P. 1962) .

= K. J. Dover : Greek Popular Morality in the time of Plato and Aristotle (Blackwell . Oxford 1974) .

وقد قمت بعمل بعض التعليقات التمهيدية فى الفصل الخامس من كتاب :

Greek Peasants, Ancient and Modern, a comparison of Social and Moral Values (Manchester U . P. 1970) .

ويوجد ما يرغب المرء فى معرفته عن الرمزية المرتبطة بالعين مجموعة فى :

W . Deonna : Le Symbolisme de L'oeil (Travaux et Mémoires des ancients Membres étranges de L`Ecole et de divers Savants Fasc. XV , Ecole Francaise d`Athenes de Boccard , Paris, 1965) .

الفصل الخامس من هذا الكتاب يتمتع بأهمية خاصة ، وهو يحمل عنوان :

"Réceptivité et Force active de l`Oeil" (pp. 143-96) .

أما التعاويذ التى أشرت إليها فموجودة فى كتاب :

Campbell Bonner : Studies in Magical Amulets Chiefly Graeco - Egyptian (University of Michigan Press, 1950) .

٢- الاجتماع والأنثروبولوجيا :

إن أكثر الأعمال التى تدور حول موضوع الحسد اكتمالا هو كتاب Helmut Shoeck الذى نشره بالألمانية بعنوان :

Der Neid, eine Theorie der . Geslleschaft (Verlag Karl Alber , 1966) .

ولقد نُشرت ترجمته الإنجليزية بعنوان :

Envy , a Theory of Social Behaviour (Harcourt , Brace and World Inc. New York , 1470) .

ولقد استفدت بصفة خاصة من مناقشة R. K Merton لمفهوم الحرمان النسبى فى كتابه :

Social Theory and Social Structure (The Free Press, New York . enlarged editien 1968) .

كما توجد مقالة لعالم الأنثروبولوجيا G. M. F. Foster بعنوان :

"The Anatomy of Envy , a Study in Symbolic Behaviour " , Current Anthropology 13 , 1972 , pp. 165-202 .

كما ناقش كتاب . J . Rawls : A Theory of Justice

مشكلتى «الحسد» و «الحسد والمساواة» .

وأعتقد أنه لايمكن لأى إنسان يهتم بالإغريق القدماء أن يغض الطرف عن الدراسات الأنثروبولوجية للمجتمعات اليونانية المعاصرة وعلى منطقة البحر المتوسط بشكل عام. وتوجد مقدمة مدهشة لأنثروبولوجيا هذه المنطقة فى كتاب :

J. Davis : People of the Mediterranean, an Essay in Comparative Social Anthropology (Routledge and Kegan Paul , London , Henley and Boston , 1977) .

وتظل تعليقات Ernestine Friedl عن حياة الفلاحين اليونانيين هى أفضل التعليقات فى هذه الجزئية وقد وردت فى كتاب :

Vasilika, a Village in Modern Greece (Holt Rinehart and Winston , New York 1962) .

وكذلك تعليقات J . K. Campbell فى كتابه :

Honour , Family and Patronage , a Study of Institutions and Moral Values in a Greek Mountain community (Oxford U . P . 1964) .

كما تتميز تعليقات Juliet du Boulay بالجدية ، وقد وردت فى كتابها :

Potrait of a Greek Mountain Village (Oxford U . P. 1974) .

وهناك ثلاثة أعمال تتميز بأهمية خاصة :

= F . G . Bailey (edit.) : Gifts and Poison , the Politics of Reputation (Blackwell , Oxford 1971) .

= J . P. Peristiany (edit) : Honour and Shame, the Values of Mediterranean Society (Weidefeld and Nicolson, London , 1965) .

= Julian Pitt- Rivers : The Fate of Shechem or the Politics of Sex , Essays in the Anthropology of the Mediterranean (Cambridge U . P. 1977) .

ويناقش الكتابان الأخيران فكرة الشرف والمفاهيم المتعلقة بها .

وسوف نجد تقريبا أن كل دراسة عن جماعة الفلاحين تشير، سواء بإيجاز أو بتطويل، لقوة العين الحسود . وتظهر فكرة الحسد والعين الحسود فى حياة اليونانى المعاصر فى كتابين هما :

= Richard & Eva Blum : Health and Healing in Rural Greece , a Study of Three Comvrunities (Stanford. U . P. 1965) .

= ________________ : The Dangerous Hour , the Lore and Culture of Crisis and Mystery in Rural Greece (Chatto and windus , London . 1970) .

أما كتاب :

Clarence Maloney (ed.) : The Evil Eye (Columbia U . P. 1976) .

فيناقش مشكلة الحسد والعين والحسود عند اليونانيين الذين يعيشون فى جزر البحر الإيجى .

فهرس المؤلفين الإغريق والفقرات المقتبسة منهم :

= ايسخينيس Aeschines

(من ٣٩٧-٣٢٢ ق . م تقريبا)

Macedon :

(1,102-3) , 40 ; (1, 129) , 16; (2 , 22) , 69 ; (2,51) , 69; (2,54) , 69; (2, 139), 69; (2, 145), 16, 60; (3,81) , 69 .

= ايسخولوس Aeschylus :

(من ٥٢٥ / ٤ - ٤٥٦ق.م)

شاعر تراجيدى أثينى، يُنظر إليه دائما على أنه يدعو لفكرة عدالة زيوس ، باعتباره النظير الإغريقى للإله ياهو Yahweh فى العهد القديم .

= ديموستنيس Demosthenes :

(٣٨٤-٣٢٢ ق.م)

خطيب من أكبر الخطباء الأثينيين وسياسى عارض تجاوزات فيليب المقدونى .

(2.18) , 18 : (9,39) , 69; (11,12) , 18: (18,3) , 11: (18,242) , 79: (18,315) , 11 , 45-46; (20,10), 69; (20,24) , 79; (20, 140) , 69; (20. 164) , 69-70; (21-36) , 40 ; (30,15) , 40 .

Letters (2, 4-5) , 2; (3,6) , 73; (3.10), 73; (3,20) , 73; (3,28), 73-74 ; (3,32), 3 .

= ديوخريسوستوم Dio Chrysostom :

(ديو ذهبى الفم)

(من ٤٠-١١٢م تقريبا)

خطيب وفيلسوف رواقى- كلبى ، أخذت بعض أحاديثه موضوعاتها من الأخلاق الشعبية .

On Envy (6) , 96; (8-9) , 96-97; (12-13) , 97 : (15ff.) , 97; (17) , 97; (25) , 97

On Greed (8-11) , 97 .

= ديودور الصقلى Diodorus Siculus :

من (٦٠ - ٢٠ ق.م تقريبا)

مؤلف كتاب «تاريخ العالم» وترجع أهميته بصفة خاصة إلى المادة المبكرة التى يحتوى عليها .

(2, 55ff) , 98; (2, 55, 5-6) , 98; (2, 56, 2), 98; (2, 57, 4) , 99; (2, 57, 5) , 98; (2, 58, 1) , 98 ; (2, 58, 6) , 99; (2, 59, 1) , 99; (2, 59, 6) , 99; (2, 60, 1) , 99; (2, 55, 3) , 79 .

= ايفوروس Ephorus:

(من ٤٠٥-٣٣٠ق.م تقريبا

مؤرخ إغريقى

(FGH 70 F 149) , 63 .

= ابيخارموس Epicharmus :

(٥٥٠-٤٦٠ق.م تقريبا)

شاعر كوميدى من صقلية أو سيراكوسه

(Fr. 285 {Kaibell}) , 39 .

= هوميروس Homer :

(حوالى ٧٥٠ ق.م)

أعتبر مؤلف ملحمتى «الإلياذة» و«الأوديسيا» ، وهو الذى كون الفكرة الإغريقية عن وجود عائلة من الآلهة يتميز اعضاؤها بالشكل الإنسانى وتشعر أيضا بمختلف المشاعر الإنسانية .

Iliad (1, 278-79) , 31 ; (4,51ff.), 26 ; (4, 55-56) , 26 ; (6, 130-40), 25 :

(6, 150ff.), 6 ; (6, 163-65) , 6; (7, 446-53) , 25; (9, 44ff.) , 6, ; (9, 452), 6; (9, 533-36) , 25; (15 18ff.) 27; (17 , 70-71), 26; (23, 38ff.), 25; (23, 391ff.), 25; (23, 86ff.), 25; (23 , 865), 25

Odyssey (4, 71ff.), 26; (4, 78-79), 26; (4, 181), 25-26 ; (5,97 ff.), 23; (5, 118), 23; (5, 119-29), 23; (7, 298 ff.) , 24 ; (7, 307), 24; (8, 565-66), 26; (11, 305-20), 26; (11, 576-81), 26; (13, 173-74), 26; (14, 207-9), 27; (18, 15-16), 26; (19, 518-23), 4; (23, 211-12), 25

= ايسوكراتيس Isocrates :

(٤٣٦-٣٣٨ ق.م)

خطيب ومعلم إغريقى ارتبط اسمه بصفة خاصة بنظام التعليم القائم على البلاغة ، كما اشتهر بفكرة أن يشترك الإغريق جميعا فى هجوم على الإمبراطورية الفارسية فى آسيا الصغرى.

(1, 26), 35; (1, 36), 14; (2,32), 16; (3, 18), 30; (5, 68), 2-3 ; (5, 69), 3; (5, 73), 3; (5,134), 16; (7,32), 37; (9,6) , 72; (10,56), 35; (12,15), 71-72; (12, 15-16), 35; (12, 16), 72 ; (12, 81) , 3; (14, 47), 35; (15, 4), 72; (15,8), 72; (15,13) , 72; (15 , 21) , 72; (15 , 130), 73; (15, 131), 73; (15, 138), 73; (15, 141-42) , 72-73 ; (15, 163), 72; (15, 217), 15; (15, 244-46), 72; (15, 259), 72; (15, 316), 73; (16, 32-34) , 52

= لوكريتيوس Lucretius :

(٩٤-٥٥ ق.م تقريبا)

شاعر رومانى وفيلسوف ابيقورى

On the Nature of the Universe (5, 1418-22) , 99

= بوليبيوس Polybius:

(٢٠٠-١١٨ ق.م تقريبا)

سياسى ومؤرخ إغريقى كتب فى التاريخ الإغريقى - الرومانى فى الفترة من ٢٢٠-١٤٦ ق.م وتتبع ظهور روما وازدهارها .

= سالّلوست Sallust

(٨٦-٣٥ ق.م)

مؤرخ رومانى

= سوفوكليس Sophocles :

(٤٩٦-٤٠٦ ق.م تقريبا)

ثانى ثالوث الشعراء التراجيديين العظام ، اشتهر بورعه وتقواه

Ajax (127-33), 25; (157), 35; (293), 43; (756ff.), 25

Antigone (506-7), 38

Oedipus Tyrannus (873ff.) , 38; (1005-6), 57

Trachiniae (189-9), 57

= ستوبايوس Stobaeus :

(القرن الخامس الميلادى)

مؤلف كتاب يحتوى على مختارات من كتابات الشعراء وكُتّاب النثر ومُقسم على أساس الموضوعات

(3,38,1) , 74; (3,38,3), 35; (3, 8, 10), 80; (3, 38, 11) , 74; (3, 38,12), 62; (3, 38, 21), 39; (3, 38, 29), 74; (3, 38, 32), 12; (3, 38,34), 75; (3, 38, 35), 75; (3, 38, 48), 75; (4, 33, 19), 74

= سترابون Strabon:

(٦٤ ق.م - ٢١م)

مؤرخ وجغرافى إغريقى

(10, 4, 16), 63; (14, 2, 7), 78-79

= ثيوكرتيس Theocritus :

(٣٠٠-٢٦٠ ق.م تقريبا)

شاعر رعوى شارك كاليماخوس فى تفضيله للقصيدة القصيرة جيده الصنع

(5, 11-13), 79-80; (5,13), 80; (6, 25, 27) , 80; (6, 34ff.), 80; (6,39), 80; (7, 126-27), 89; (20, 11), 89

= ثيوفراستوس Theophrastus:

(٣٧٠-٢٨٨ / ٢٨٦ ق.م)

تلميذ أرسطو وخليفته ومعروف اليوم بسبب شهرة كتابه «الشخصيات» الذى يصور بعض أنماط البشر

Characters (16,15), 89

فهرس الكتاب

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا	جون كوين	أ. د. أحمد درويش
الوثنية والإسلام	مادهو بانيكار جى. ام	أ. أحمد فؤاد بلبع
التراث المسروق	جورج/ جيمس	ت : شوقى جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	اتى كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : د. محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : د. سعد مصلوح/ د. وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الانطاكى
مشعلوا الحرائق	ماكس فريش	ت : د. مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : د. محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وآخرون
مختارات	فيسوافا شمبيوريسكا	ت : د. محمد هناء عبدالفتاح
طريق الحرير	ديفيد برانستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسون سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
حركات الفن المعاصر	ادوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : د. لطفى عبد الوهاب يحى/ د. فاروق القاضى/ د. حسين الشيخ/ د. منيرة كروان / د. عبد الوهاب علوب
واحة سيوة وموسيقاها		ت : محمد جمال عبد الرحيم
تجلى الجميل	هانز جورج جادامر	ت : سيد توفيق
المثنوى	جلال الدين الرومى	ت : د. إبراهيم الدسوقى شتا
ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : د. بكر عباس
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى		

المشروع القومى للترجمة
(تحت الطبع)

مختارات	فيليب لاركين	ت : د. محمد مصطفى بدوى
الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : د. طلعت شاهين
الأعمال الكاملة	حورج سفيريس	ت : د. نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كرواثر	ت : د. يمنى طريف الخولى/ د. بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صمد بهرنكى	ت : د. ماجدة محمد على
مذكرات رحالة	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
اللهب المزدوج	اكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
التنوع البشرى الخلاق		ت : نخبة
ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : د. محمد عاطف أحمد السيد/ إبراهيم فتحى سليمان/ محمود ماجد
الانقراض	ديفيد روس	ت : د. مصطفى إبراهيم فهمى
النظريات الحديثة للسرد	والاس فاوتن	ت : د. حياة جاسم
قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : د. محمود السيد
التراث المغدور	روبرت تونيا جون فاين	ت : أحمد محمود
الرواية العربية	روجر ألن	ت : د. حصة عبد الرحمن منيف

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢٤١٩ / ١٩٩٨

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 235 - 983 - 9)

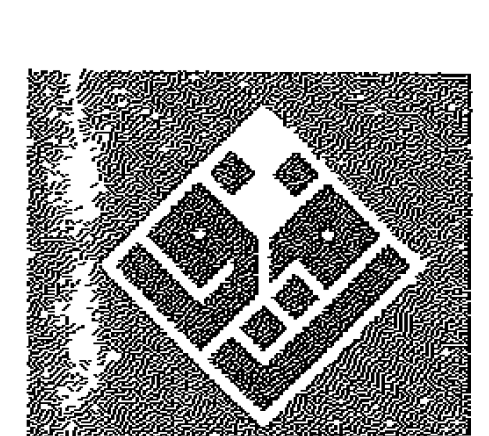
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٩٩٨٠ - ١٩٩٧ - ٣٠١٦



Envy and the Greeks
A Study of Human Behavior

PETER WALCOT



ربما كانت عاطفة الغيرة والحسد التى تتحكم فى سلوك بنى الإنسان أجمعين من أهم العواطف التى تؤثر على الإنسان ؛ سواء بالمعنى الاجتماعى أو على المستوى الفردى . وبينما تكتسى كلمة «الغيرة» بعض المعانى الحميدة أحيانًا ؛ فإن كلمة «الحسد» توحى دائمًا بمعان كريهة تحمل فى طياتها الضرر والشر والإيذاء . وعلى مستوى دلالات اللغة ومفرداتها لا نجد فى الحسد سوى مشاعر الحقد ، والرغبة فى الاستيلاء على ما يمتلكه الغير ، أو حرمانه منه وتدميره على أقل تقدير . أما على مستوى الموروث الثقافى ؛ فإن أمم الأرض جميعا جعلت الحسد مرادفًا للشر الاجتماعى ؛ فهو يولد العداوة والبغضاء ويسبب الألم والضرّ للأفراد ، كما أنه يشعل حرائق الحروب والغزوات ويتسبب فى إراقة الدماء والتخريب على مستوى الأمم والشعوب والقبائل .

